

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الرابع والثلاثون

محرم ١٤٣٦هـ





رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ - ١٦٥٨

المشرف العام

معالي الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الخيل

مدير الجامعة

نائب المشرف العام

الأستاذ الدكتور / فهد بن عبد العزيز العسكر

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز المقبل

عميد البحث العلمي

مدير التحرير

الدكتور / رعد بن عبد الله التركي

وكيل عمادة البحث العلمي للشؤون الثقافية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبراهيم صلاح السيد سليمان الهدهد

نائب رئيس جامعة الأزهر

أ.د. شكري عز الدين المبخوت

عميد كلية الآداب في جامعة منوبة بتونس

أ.د. صالح بن محمد الزهراني

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية

أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي - معهد تعليم اللغة العربية

أ.د. عبد الله بن سليم الرشيد

الأستاذ في قسم الأدب - كلية اللغة العربية

أ.د. محمد عبد الرحمن خطابي

الأستاذ في جامعة ابن زهر في أغادير بالمغرب

د. هشام عبدالعزيز محمد الشرقاوي

أمين تحرير مجلات الجامعة - عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة، وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A ٤) .
- ٣- أن يكون حجم المتن (Traditional Arabic ١٧)، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .
- ٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

- ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
- ٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
- ٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً:** عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً:** عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً:** تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً:** تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .
- ثامناً:** لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- تاسعاً:** يُعطى الباحث خمس نسخ من المجلة، وعشرين مستلة من بحثه .
- عنوان المجلة :**

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

- ١٣ الجوانب الصوتية في الاعتداد بالعارض وعدمه عند القراء: عرض وتحليل
د. عبد الله بن فهد بن بتال الدوسري
- ٦٧ حقيقة العَلَم المختوم بـ (ويه) وأحكامه النحوية: تحليل صوتي دلاليّ نحويّ
د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري
- ١٢٥ هل تفيد (لن) النفي التأييدي كما زعم الزمخشري؟
د. حسن عبد العاطي محمد عمر
- ١٨٧ الشاهد في رسائل القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ) من خلال
(فصوص الفصول وعقود العقول) لابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ)
د. محمد بن إبراهيم الدوخي
- ٢٤١ ظاهرة الأَلَم في شعر حسن بن عبد الله القرشي: دراسة في المضمون
د. عبد الرحمن بن أحمد السبت



الجوانب الصوتية في الاعتداد بالعارض وعدمه عند القراء: عرض وتحليل

د. عبدالله بن فهد بن بتال الدوسري
قسم النحو والصرف وفقه اللغة- كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الجوانب الصوتية في الاعتداد بالعارض وعدمه عند القراء: عرض وتحليل

د. عبد الله بن فهد بن بتال الدوسري
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

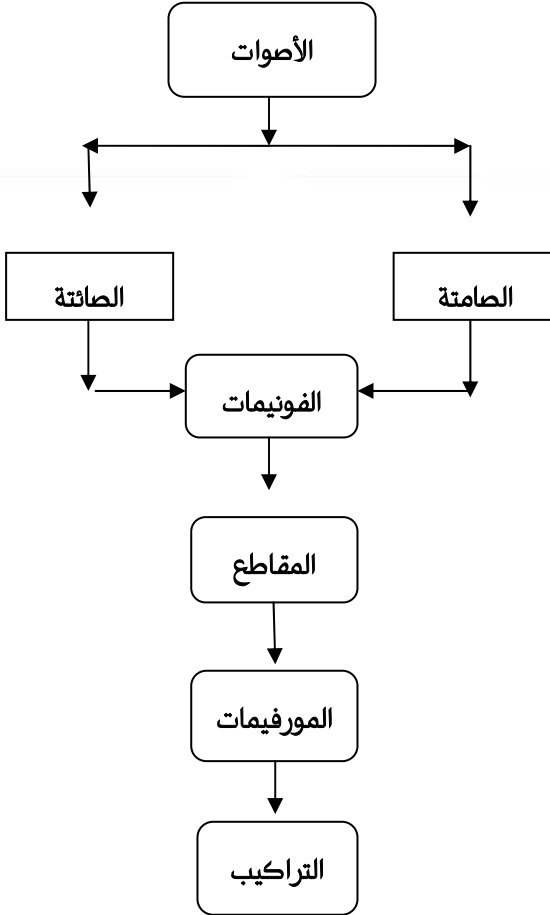
ملخص البحث:

يعنى هذا البحث بالجوانب الصوتية الخاصة بمسائل الاعتداد بالعارض وعدمه عند القراء، عارضاً لهذا الأمر أولاً في المدرسة النحوية، مبيناً قسميه المعنوي منه على نحو مقتضب، واللفظي بشكل مبسوط من خلال بعض النماذج التي تكشف عن أصول هذا الباب التي استند إليها العلماء في تسويغ ما قرأ به القراء، وأثر القوانين الصوتية الحاكمة في هذه المسألة، وخصوصاً قانون السهولة في النطق، وعرضها بصورة واضحة، وبيان آراء العلماء فيما وقع من خلاف بين القراء في اعتبار العارض وعدمه، مع محاولة الباحث الاستئناس بنتائج البحث الصوتي الحديث في وصف بعض الظواهر الصوتية، واستخدامها في التحليل الصوتي فيما يقتضيه المقام .



تقدمة:

وفيها: أهمية البحث لغوياً - نطاق البحث - منهج الدراسة.
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآله وصحبه
أجمعين.



برز الجانب الصوتي في
تفسير كثير من الظواهر
اللغوية على نحو يولي أهمية
بالغة للقيمة المادية في
التعاطي اللغوي إدراكاً من
الباحثين من أن الجانب الصوتي
يَعَدُّ اللبنة الأولى في التركيب
اللغوي صرفياً ونحوياً، إضافة إلى
أنه يتفق مع الحقيقة الطبيعية
للغة في كونها أصواتاً تعبر بها
الجماعة اللغوية عن شتى
غاياتها المختلفة من أفكار
وأحاسيس^١، وغير ذلك مما
يلزمه التواصل اللغوية.
وفي المخطط^٢ أدناه
يتجلى لك أن المادة الصوتية
هي اللبنة الأساس في
التخطيط اللغوي لأي لغة
تتكامل فيها فيها الحقول
اللغوية عرضاً وتحليلاً:

١- الخصائص : ٣٤/١ ، ومقدمة لدراسة اللغة : ٦٢ .

٢- علم الصرف الصوتي : ٢٩ .

ولا ننسى في هذا السياق الإشارة إلى أهمية اصطباغ البحث اللغوي بالمنهج العلمي التجريبي القائم على الملاحظة والمشاهدة والبعد عن التفسيرات الخارجية عن السياق اللغوي، مع اتجاهه إلى الإفادة من وسائل التقنية الحديثة التي ساعدت على نحو واسع ومميز في تسجيل المادة اللغوية ومحاولة تحليلها آلياً، وهذا أضفى قيمة لم تكن موجودة في جهود اللغويين وخاصة البحث الصوتي منه.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث من خلال ما يأتي:

- ١- أن الاعتداد بالعارض وعدمه أخذ بعض الاهتمام من التحليل اللغوي عند أهل النحو والصرف، وعليه استند القراء في بيان ما لم يجر على الأصول.
- ٢- أن كثيراً من المباحث التي تعرضت لهذه الظاهرة في كتب القراءات اكتفت باختيار وجه من الوجوه اعتداداً بالعارض أو عدماً دون الإشارة إلى التحليل الصوتي لهذا الاختيار ودواعيه.
- ٣- أن فكرة الاعتداد بالعارض تندرج ضمن ثنائية مهمة في التفكير النحوي، وهي فكرة الأصل والفرع التي أخذت مساحة واسعة من الاختلاف النحوي.
- ٤- أن فكرة الاعتداد بالعارض تؤكد على أهمية السماع والتلقي في الفكر اللغوي، وخاصة عند القراء الذين اعتمدوا على السماع، ورد مقاييس النحو إليها، لارد القراءة إلى القياس النحوي، وقد كان هذا محل إشكال ونزاع.
- ٥- أن فكرة الاعتداد بالعارض في كتب القراءات جرت على ما هو صوتي من قضايا التغيير والإبدال، وتكاد تنحصر في هذا الجانب دون التعرض لقضايا التركيب والمعنى.

- نطاق البحث ومنهج الدراسة:

مُحدّدات نطاق البحث كائنة فيما يأتي:

الأول: اقتصاره على القراءات العشر المتواترة، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء، وعاصم، وابن عامر، الشامي وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف.

الثاني: حصر مسائل البحث على ما ورد في أصول القراء دون ما ورد في فرش قراءاتهم من مسائل متفرعة لا ضابط لها.

أما منهج البحث فسيعتمد المنهجية التالية:

- ١- اتباع المنهج الاستقرائي من خلال الرجوع إلى المصادر الأساسية في القراءات القرآنية العشرة المتواترة، وتتبع ما ذكره القراء من مسائل تدرج في هذا الباب.
- ٢- الاستناد إلى القوانين الصوتية في تفسير ظواهر الاعتداد بالعارض، وفق ما انتهى إليه علماء العربية المتقدمين في مباحثهم الصوتية، مضافاً إليها نتائج البحث الصوتي الحديث وأسس التحليلية لقضايا تصريف الكلم.

- خطة البحث:

وتتلخص فيما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، ونطاق البحث، والمنهج المتبع في البحث.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الجانب الصوتي في تفسير التغيرات الصوتية، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: القوانين الصوتية.

المسألة الثانية: نماذج عامة تكشف عن أهمية هذا الجانب قديماً وحديثاً.

المطلب الثاني: التعريف بالاعتداد بالعارض لغة واصطلاحاً.

- المبحث الأول: الاعتداد بالعارض وعدمه في الفكر النحوي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاعتداد بالعارض والقياس.

المطلب الثاني: جهتا الاعتداد بالعارض وعدمه عند النحويين.

—المبحث الثاني : التحليل الصوتي لظاهرة الاعتداد بالعارض وعدمه عند القراء. وفيه

مطلبان:

المطلب الأول: القراء والقياس.

المطلب الثاني: نماذج من التحليل الصوتي للعمل بهذه الظاهرة.

—الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

* * *

التمهيد:

لم يكن الجانب الصوتي في تفسير الظواهر اللغوية غائباً عند المتقدمين من علماء العربية، بل كان حاضراً وقوياً في العرض والتناول مع مختلف القضايا اللغوية، وإن نظرة عجلى على كتاب سيبويه ستقفك حتماً على نماذج من الوعي الثاقب بهذا الجانب، والإفادة من معطياته في تفسير الظاهرة الصوتية على نحو دقيق وعظيم.

أنطلق من هذا المقدمة لأرد الإحفاف الذي جنح إليه بعض الباحثين المحدثين عندما حكموا بقصور البحث الصوتي لدى المتقدمين من علمائنا، وأنه لم يأخذ صفة الاستقلال في البحث والتصنيف، ولعمر الله ما هذا القول منهم إلا جاري في سنن من لم يَشْمَر رائحة كتاب سيبويه، ولا وَقَّق في الاطلاع على خصائص ابن جني، فدونكهما رعاك الله ففیهما المنهل الرويُّ الذي يكشف عوار هذا الاتجاه من البحث الحديث، بأمثلة موجزة مرقومة على النحو التالي .

ففي إبدال تاء الافتعال دالاً في نحو قولهم: ازدان مراعاة لمجاورتها الزاي يقول سيبويه بتفسير صوتي واضح لا غموض فيه: " والزاي تُبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مزدان، في مزتان، لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها وليست مُطَبَّقة كما أنها ليست مُطَبَّقة^١."

فالنظر الصوتي من خلال النص السابق راعى الجانب الصوتي من جهتين:

الجهة الأولى: اتفاق المخرج.

والجهة الثانية: الاتفاق في الصفات على نحو إيجابي والآخر سلبي.

وبيان الجهة الأولى أن الدال تشارك التاء في خروجها من طرف اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، وفق عبارة المتقدمين، أو أسناني لثوي وفق عبارة المحدثين^٢.

١-الكتاب : ٤ / ٦٧ .

٢-دراسة الصوت اللغوي : ٣١٦ .

أما الاتفاق في الصفات فإن صوتي الدال والزاي صوتان مجهوران يهتز معهما الوتران الصوتيان بحسب المعيار الصوتي الحديث^١، وهما كذلك مجهوران عند المتقدمين وان اختلف المعيار مستنداً إلى عدم جريان بالنفس بالنسبة للصوت المجهور عند المتقدمين.

هذا ما يخص الجانب الإيجابي، أما الجانب السلبي فهو كونهما ليسا مطبقين، فقد روعي في هذا التحليل المتقدم الجوانب الإيجابية والسلبية في توافق الأصوات وتلاؤمها فيما يحدث لها من تغييرات صوتية صرفية.

وجاء البحث الحديث ليكرر ما سبق إليه سيبويه، ويعد هذه الصورة ونظيراتها من قبيل مماثلة الأصوات المتجاورة بعضها لبعض على نحو يتحقق فيه أكبر قدر من التجانس والتواؤم، إلا أنهم أضافوا أن الصورة السابقة من قبيل المماثلة التقديمية التجاورية، حيث يؤثر الصوت المتقدم في المتأخر^٢.

والمسائل التحليلية التصريفية القائمة على الجانب الصوتي في كتاب سيبويه كثيرة ومبثوثة في أبواب متفرقة من كتابه^٣، وإن كان الباب الخاص بباب الإدغام أخذ الوضع الاستقلالي في الطرح حين قدم له بمقدمة مهمة في مخارج الأصوات وصفاتها، كانت سنداً لمن جاء بعده من النحويين وعلماء القراءات.

فإذا تركنا سيبويه بغية في تنوع العرض للبحث الصوتي عند العرب، فإننا سنجد ابن جني علامة بارزة تمثلت في بحوثه الرائدة في كتابيه (سر صناعة الإعراب)، و(الخصائص) فقد أضاف تحليلات مهمة فيما يخص الجانب التشكيلي من علم الأصوات، وإن كان مكتفياً بما قاله سيبويه في بحث مخارج الأصوات وصفاتها حيث لم يتجاوز حدود

١- . ٤١٣ : A Dictionary Of Linguistics And Phonetics

٢- الأصوات اللغوية للخولي: ٢١٩، ودراسة الصوت اللغوي : ٣٧٨ .

٣- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٨٥ .

سيبويه، ولعل قصوره في هذا الجانب أنه لم يتخلَّع بعلوم القراءات من جهة الأداء والتلقي ومشافهة القراء، فأعوزه أن يضيف جديداً على ما عند سيبويه. فمن القضايا التي التفت إليها ابن جني ولهج بها العلاقة الطبيعية بين بعض أصوات الكلمة وما تدل عليه من معنى عام، وهو ما عبر عنه بـ(إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، فالصوت في تركيب الكلمة له دلالة على معناه يتميز بها عما اقترب منه من الكلم صوتاً ودلالة.

قال ابن جني: "وكذلك قالوا: مَدَّ الحبلَ، ومَتَّ إليه بقراية، فجعلوا الدال؛ لأنها مجهورة لما فيه علاج، وجعلوا التاء؛ لأنها مهموسة لما لا علاج له"^١. هذا جانب، ومن جانب آخر ردَّ ابن جني ما ذهب إليه الفراء من أن حذف الواو في مضارع المثال في نحو: وَعَدَ يَعِدُ جاء لكونه فعلاً متعدياً، وإنما الصحيح في هذا الباب هو وقوعها بين ياء وكسرة^٢.

فقد نظر إلى هذا التغيير الحاصل في مضارع المثال نظراً صوتياً بحثاً، ولا علاقة له بالمعنى كما ذهب إليه الفراء، معللاً ردَّ مذهب الفراء بأن هذا الحذف ورد في اللازم، في نحو: وَثِقَ، يَثِقُ، وَرَمَ يَرْمُ.

الاعتداد بالعارض لغة واصطلاحاً:

الاعتداد لغة: افتعل من (عَدَّ)، بمعنى حَسِبَ، واعتدَّ بالشئ عُنِيَ به، وأولاه غاية اهتمامه وَلَحِظَ رعايته.

وعده فاعتده: صار معدوداً، واعتدَّ به: اعتنى به، ويقال اعتدَّ به لغةً: أَخَذَ به^٣.

١-الخصائص: ٦٦/١ .

٢-المنصف: ٢٠٧/١ .

٣-لسان العرب (عدد) .

والعارض لغة: من عَرَضَ يَعْرضُ عرضاً، ويقال: عارضتُ فلاناً، أي: أخذ في طريق، وأخذت في طريق آخر غيره، واعترض الشيء: صار عارضاً كالخشبة المعارضة في النهر، والعارض: هو الخد، أي جانب الوجه، والعارض: ما خرج عن الصحيح، وجاء في الحديث في الزكاة: ولكم العارض، أي المريضة^١.

والاعتداد بالعارض هو الذي يحتاج إلى بيان موجب خروجه عن الأصل، ومباينة نظائره مما جرى به سنن كلام العرب.

والاعتداد بالعارض إنما اعتدَّ به لأنه مسموع ممن يوثق به، ويحتجُّ بقوله، فلا مناص من التماس أصل يؤول إليه، أو نظير يتأيد به، وعلى هذا جرى عمل المتقدمين، وتقيَّله المتأخرون.

وجاء في رسالة الحدود للرماني (ت ٣٨٤ هـ) قوله: "العارض: هو المار على طريق النادر"^٢، وضمه اللازم وهو "المار على طريق المطرد"^٣، وقد عرَّف المطرد بأنه الجاري على نظائره، وأن النادر هو الخارج عن نظائره إلى قلة في بابه^٤.

فاللازم ضد العارض، وهو الذي ذكره العكبري (ت ٦١٦ هـ) حين أشار إلى أن بعض العارض قد يسقط همزة الوصل من (ال) التعريف حين تحرَّك بحركة الهمزة بعد حذفه، وهو ما يعرف بالنقل في نحو: الأنعام --- الأنعام، فبعض العرب يقول: لنُعام، فوصف الأمر بأنه إجراء للعارض منزلة اللازم، لأنه منقول عن لازم^٥.

فتحصل مما سبق أن الاعتداد بالعارض هو إلحاق الطارئ بالأصل، وإعطائه ما يلزم من الأحكام، كحلول نائب الفاعل محل الفاعل.

١- العين: ٣٧٤/١، والتهذيب: ، وغريب الحديث للخطابي: ٧١٣/١ .

٢- رسالة الحدود: ٧٣ .

٣- رسالة الحدود: ٧٣ .

٤- رسالة الحدود: ٧٣ .

٥- اللباب في علل الإعراب والبناء: ٤٤٥/٢ .

وبوضه عدم الاعتداد بالعارض لتخلفه عن اللقوق بالأصل بسبب مباينته له في بعض الشروط، أو لضعف المشابهة بين اللازم والعارض.

ووجه المناسبة بين الوجه اللغوي والاصطلاحي أن العارض خروج عن السنن المطردة، بأن يأتي العارض في طريق يخالف اللازم أو الأصل المتبع.

وفي الدرس الحديث يستعمل مصطلح (analogy) ليراد منه تلك الصيغ التي تخرج عن الأصول المتبعة، ولا يمكن التنبؤ بها^١، نحو استخدام الأطفال لقواعد اللغة على طريقة واحد دون ملاحظة الشذوذ الوارد فيها. فكلمة (man) يجمعها الطفل على (mans)، مخالفاً الاستخدام اللغوي لها، (men)، وهو جمع شاذ في أصل اللغة، إذ الجمع لا يكون إلا بإضافة (s) في نهاية الاسم^٢.

وفرق ما بين العارض والشاذ استناد الأول إلى أصل معتبر من قياس أو سماع، في مقابل أن الثاني ضعيف من جهة القياس، وقد لا يوجد له نظير من الاستعمال، وعلى هذا المنهج اعتد بالعارض من اعتد به، أو رفضه من رفضه لمخالفته الأصول فألحقه بالشذوذ.

* * *

١-أسس علم اللغة: ١٤١.

٢- ١٨: A Dictionary Of Linguistics And Phonetics.

المبحث الأول: الاعتداد بالعارض وعدمه في التحليل النحوي.

المطلب الأول: الاعتداد بالعارض والقياس.

القياس في الاصطلاح: "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"^١. والقياس أصل من أصول الاحتجاج عند النحويين عامة، وما زالوا يرددون مقولة أبي عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ): ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم^٢، وإليه يُفزع عند عَوَز النقل والسماع.

وفي ذلك يقول الكسائي (ت ١٨٩هـ):

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يَتَّبَعُ وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَنْتَفَعُ^٣

وبه يُعرف المبرز في النحو من سواه؛ إذ القياس ضرب من النظر في كليات الأصول، والاجتهاد في رَدِّ الشوارد إلى أصول جامعة، وإتباع كل نظير إلى نظيره، ولا يكون ثمة قياس إلا بمعرفة العلل، وفي هذا يتنافس النحويون، وفيه تكثر مزالق مدَّعوه. والعارض خروج عن القياس، وعن ما اطرده من النظائر ذات العلة الواحدة، إلا أن له حظاً من النظر يؤول به إلى وجه من قياس آخر يمكن الركون إليه، وهو بذلك يفارق الشاذ مما خالف القياس؛ إذ لا وجه له إلا جريانه على السنة من يحتج به. ولبيان مفهوم العارض واستخدامه في كلام النحويين نجد قول أبي بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ): "واعلم أن الإعراب عندهم إنما حقه أن يكون للأسماء دون الأفعال والحروف، وأن السكون والبناء حقهما أن يكونا لكل فعل أو حرف، وأن البناء الذي وقع في الأسماء عارض فيها لعل"^٤.

١- فيض نشر الانشراح: ٧٤٠/٢.

٢- الخصائص: ٢٧/٢.

٣- بغية الوعاة: ١٦٤/٢.

٤- الأصول في النحو: ٥٠/١.

فالأصل أو اللازم في الأسماء أن تكون معربة تتغير أواخرها بحسب العوامل الداخلة عليها. في مقابل البناء الذي هو عارض خارج عن الأصل لعلّة. وقوله: (لعلّة)، يؤكد ما ذكرناه أن العارض يرجع إلى أمر معتبر من النظر يقوى ويضعف بحسب قُرْبِهِ من الأصول المعتمدة.

وتعضيداً لما ذكرناه من وجهة العارض نقل العكبري الخلاف الواقع بين النحويين في أصل ما يجري على أواخر الكلم، أهو الإعراب أم البناء؟، فالمحققون كما يقول العكبري يرون أن الإعراب أصل، وهو مقتضى واضع العربية من جهة أن اللبس سيعرض على الكلم المعربة حال تركيبه، وذهب آخرون إلى أن العرب تكلمت بالكلام عارياً من الإعراب، فلما عرض لهم اللبس أزالوه بالإعراب^١.

والعارض وإن كان خارجاً عن القياس، فإن لنا أن نعتد به إذا رجع إلى أصل معتبر، وإن كان بعيداً، ولنا في ذلك نظيرٌ من اعتداد بعض النحويين بالقياس على ما جاء ضرورةً في الشعر العربي، وهو الذي ذهب إليه أبو علي الفارسي، حيث قال: كما جاز لنا أن نقيس منثورنا على منثورهم، كذلك يجوز أن نقيس شعرنا على شعرهم، وشايعة في هذا الأمر تلميذه ابن جني^٢.

وأقوى العلل النحوية في هذا الباب ما رجع إلى حسٍّ يمكن إدراكه، وهو أقوى الأدلة من مثل: طلب التخفيف، والنفور من الثقل، وهذه جوانب صوتية، وهو الذي عناه ابن جني حين قال: "اعلم أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنهم يَحِيلُونَ على الحِسِّ، ويحتجون فيه بثقل الحال، أو خِفَتِهَا على النَّفْسِ"^٣.

١-الباب في علل البناء والإعراب: ٥٧/١ .

٢-الخصائص: ١٢٤/١ .

٣-الخصائص: ٤٨/١ .

المطلب الثاني: جهتا الاعتداد بالعارض عند النحويين:

وله ضربان في كلام النحويين، أحدهما معنوي، والآخر: لفظي، وهو الغالب.

فأما المعنوي فهو ما يطرأ من تغيير على الكلام خارجاً عن الأصل لأجل عارض معنوي، كما فعله النحويون في تعليل بناء (أي) الاستفهامية والشرطية -مع قيام السبب الموجب للبناء- لَمَّا عارضه الدلالة على (بعض)، وهذه معربة، كما أنها أعربت حملاً على نقيضها (كل) لما فيها من معنى الدلالة على العموم^١.

والعارض المعنوي وإن كان محل اعتبار في تراكيب الكلم إلا أن مقصد دراستنا هو جانب العروض اللفظي لعلاقته بالأساس الصوتي، وعليه فما أوردته عن العارض المعنوي كافٍ في الإشارة إليه.

أما العارض اللفظي فله مقام بارز في التحليل النحوي، فهذا ابن عصفور يقول في شأنه: "فإن العرب قد تعتد بالعارض، لا تلتفت إلى الأصل"^٢.

والأصل عدم الاعتداد بالعارض، لخروجه عن القواعد المرعية.

قال الشيخ خالد الأزهرى: "وعدم الاعتداد بالعارض هو الأكثر في كلامهم"^٣.

لقد ذكر النحويون أن التقاء الساكنين موجب لحذف الساكن الأول نحو قولهم: رَمَتُ، وأصل الكلمة: رمى، ثم ألحق بها التاء الساكنة، فالتقى ساكنان، آخر الفعل والتاء الساكنة الملحقة فتبعاً للقاعدة المطردة حذفت لام الكلمة.

فإذا تحركت التاء طرداً لهذه القاعدة، نحو: رَمَتِ المرأة، فإن هذا التحرك لا يعتد به بحيث ترجع الألف لزوال الموجب، وما هذا إلا لأنَّ التَّحَرُّكُ عارض، والعارض في هذا المقام لا يعتد به.

١- فيض نشر الانشراح: ٨١٨/٢ .

٢- الممتع: ٢٨٢/١ .

٣- التصريح: ٩٠/١ .

ومع ذلك فقد أثير عن بعض العرب: (رَمَاتَا) اعتداداً بعارض تحرك التاء، فرجعت الألف^١.

وقد وقع الخلاف بين سيبويه في صرف نحو (ضَرَبَ) فِعْلاً إذا سَمِيَ به ثم سُكِّنَ وَسَطُهُ، فسيبويه يرى صرفه: اعتداداً بالعارض، والمبرد يمنع صرفه استصحاباً للأصل، واستند سيبويه في تقوية اعتداد بالعارض أنه راجع إلى اعتداد بالأصل، من جهة أن الصرف هو الأصل، وعدم الصرف عارض^٢.

وفي المجال التصريفي ذكر ابن عصفور أن قلب عين الفعل في (يقال)، و(يباع) كان الأصل فيه الحركة: يَقُولُ، وَيُبِيعُ، ثم نقلت حركة عين الفعل إلى الساكن الصحيح قبلها، ثم قلبت الواو والياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وتحركهما في الأصل، "لأن السكون عارض في الأصل، والأحسن ألا يعتدَّ بالعارض"^٣.

وفيما يخص الجانب الصوتي ذكر النحويون أن القلب والإدغام الحاصل في قول بعض العرب: (مَحْمٌ) والأصل فيه: (معهم) قليلٌ، والأكثر هو ترك القلب والإدغام لعروض اجتماعهما^٤.

وعروض اجتماع هذين الصوتين حاصل من أصل قلة اجتماعهما في نسج العربية، فالعربية تتحاشى ما أمكن تجاور الأصوات الحلقية؛ لتقَعَّرَ مخرجها، وصعوبة تحديد مواطن حدوثها من الحلق، حتى مع تقدم الأجهزة الحديثة^٥، يضاف إلى ذلك أن جمهور الإدغام يكون في أصوات اللسان ومجتمع وسط الفم.

١- الممتع: ٢٣٧/١.

٢- شرح الكافية الشافية: ١٤٦٥/٢.

٣- الممتع: ٢٩٦/١.

٤- شرح الشافية للرضي: ٢٦٥/٢.

٥- الأصوات اللغوية لإستيتبة: ١٣٩.

قال سيبويه: " وليست حروف الحلق بأصل للإدغام"^١.
قال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): " ولهذا ضَعُفُ الإدغام في حروف الشَّفَّة
والحلق لما بعدت عن مجتمع الحروف"^٢.

* * *

١- الكتاب : ٤/ ٥١٧ ، وانظر : شرح الرضي على الشافعية : ٣/ ٢٧٦ .
٢- فتح الوصيد : ٢/ ٢٢٤ .

المبحث الثاني : التحليل الصوتي لظاهرة الاعتداد بالعارض وعدمه عند القراء.

المطلب الأول: القراء والقياس

الأصل في هذا الباب عدم الاعتداد بالقياس، وأن المعوّل عليه هو تلقي الرواية، ومشافهة الشيوخ، ويقرر الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) هذا الأصل بقوله:

وَمَا لِقِيَاسٍ فِي الْقِرَاءَةِ مَدْخَلٌ فَدُونُكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَكَفِّلًا

وقبله قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): "وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية ولا فسوّلغة، لأنّ القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها".^١

أما قول الشاطبي:

كَأَبْصَارِهِمُ وَالْدَّارُ ثُمَّ الْحِمَارُ مَعَ حِمَارِكَ وَالْكَفَّارُ وَاقْتَسَمُوا لِنَتْنُضًا

فلا يخالف ما قرر من أن الأصل عدم الاعتداد بالقياس في إثبات القراءة، وإنما مراد الشاطبي في هذا البيت اطراد الحكم التجويدي على نظائره، وهو شائع في كتب القراءات.

إلا أن علماء القراءات قد يلجؤون للقياس في حال الترجيح بين ما ثبت لديهم دون أن يكون فيه مطعن للقراءة المحتج عليها، نحو اختيار الداني إدغام القاف في الكاف في كلمة (طَلَّقَكُنَّ) (سورة التحريم، الآية ٥) لنقل الجمع والتأنيث، وإلحاقها بنظائرها في نحو: (خَلَقَكُمُ) (سورة البقرة، الآية ٢١) في مقابل اختيار ابن مجاهد الإظهار في (طَلَّقَكُنَّ).^٢

١- جامع البيان : ٨٦٠/٢ .

٢- التيسير : ٢٢ .

ويقول ابن الجزري في هذا الشأن: "ولذلك كان الكثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت لقرأتُ حرف كذا كذا وحرف كذا كذا".^١

ومرادُه أنه سيقراً على ما قَوِي لديه في القياس مما جرى به سنن كلام العرب في المشهور من كلامها، ويدع ما قل شيعوه في كلام العرب، وإن ثبتت به الرواية. ويستدرِك ابن الجزري على ما سبق من كلامه فيقول: "أما إذا كان القياس على إجماع انعقد، أو عن أصل يُعتمد فيصير إليه عند عدم النص وغموض وجه الأداء، فإنه مما يَسُوغُ قَبُولُهُ ولا ينبغي رَدُّهُ، ولا سيما فيما تدعو إليه الضرورة وتَمَسُّ الحاجة مما يقوِّي وجه الترجيح ويُعين على قوة التصحيح، بل قد لا يُسمَّى ما كان كذلك قياساً على الوجه الاصطلاحي، إذ هو في الحقيقة نسبة جزئيٍّ إلى كليٍّ، كمثُل ما اختير في تخفيف بعض الهمَزات لأهل الأداء، وإثبات البسملَة وعدمها لبعض القراء، وكذلك قياس (قَالَ رَجُلَانِ) (سورة المائدة، الآية ٢٣)، و(وَقَالَ رَجُلٌ) (سورة غافر، الآية ٢٨) على (قَالَ رَبِّ) (سورة الأحقاف، الآية ١٥) في الإدغام... ونحو ذلك مما لا يخالف نصاً ولا يرد إجماعاً ولا أصلاً مع أنه قليل جداً".^٢

١-النشر في القراءات العشر: ١٧/١.

٢-السابق: ١٧/١.

المطلب الثاني: نماذج من التحليل الصوتي للعمل بهذه الظاهرة.

المسألة الأولى: الموقف العام للقراء من الاعتداد بالعارض وعدمه

يقرر ابن الجزري هذا الحكم بقوله: "والأصل ألا يعتد بالعارض"^١.

وإنما ذهب القراء إلى هذا الأصل تبعاً للنحويين لأن أدوات التحليل لدى علماء القراءات هي نفسها التي اعتمدها النحويون، إذ مبناها على القواعد العامة المطردة التي أعملها النحويون في جميع تحليلاتهم بمختلف المستويات اللغوية.

وقد كان مكي بين أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) أوفق في العبارة عن هذا حين ذكر أن العارض عند العرب على ضربين: ضرب يعتد به، وضرب لا يعتد به، ولكل وجهه^٢. وقال في علل الهمزة المفردة: "اعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أنني لا أعتد على ترك الاعتداد بالعارض في كثير مما تقدم وما يأتي، وربما اعتدلت به قياساً على مذهب العرف في ذلك، فربما اعتدوا بالعارض في قليل من الكلام، ولا يعتدون به في أكثر الكلام"^٣.

ولهم في عرضها طريقان:

الطريق الأول: الأبواب.

والمراد بها أن يُعمد إلى باب من أصول القراءة، كالمد، والإمالة والهمز، فيذكر أن الراجح في هذا الباب الاعتداد بالعارض، أو عدمه.

ويفسر هذا ما قاله ابن الجزري فيما يخص بابي المد والإمالة وما وقع فيهما من الاختلاف في هذه المسألة.

١- النشر: ٣٦٠/١.

٢- الكشف: ٥٠/١.

٣- الكشف: ٨٧/١.

فيقول في هذا الشأن: "لَكِنَّ الرَّاجِحَ فِي بَابِ الْمَدِّ هُوَ الْإِعْتِدَادُ بِالْعَارِضِ، وَفِي الْإِمَالَةِ عَكْسُهُ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِي أَنَّ الْمَدَّ مُوجِبُهُ الْإِسْكَانُ، وَقَدْ حَصَلَ فَاعْتَبَرُوا الْإِمَالَةَ مُوجِبَهَا الْكَسْرَ، وَقَدْ زَالَ فَلَمْ يُعْتَبَرْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".^١

وما ذكره ابن الجزري أغلبي، فكلمة ﴿الْمَوْءِدَّةُ﴾ (سورة التكويد، الآية ٨) الواو فيها لا تمد كما هو المعمول في نظائرها عند ورش، وعلة ذلك أن سكونها عارض، إذ أصلها الفتح؛ لأنها من (وَأَدَّ)، فلم يُعْتَدَّ بالعارض في هذا الموطن.

وفي مقابل ما سبق فقد أُعْتَدَّ لورش بالعارض عند مد الياء في ﴿يَأْيَيْسُ﴾ (سورة الرعد، الآية ٣١) مع أن سكون الياء عارض بدخول حرف المضارعة، إذ أصلها: ﴿يَأْيَيْسُ﴾^٢.

وهم يستندون في استحقاق باب من أبواب الأصول غلبة الاعتداد بالعارض فيه إلى تحقق وجود سببه، فقول ابن الجزري بأن الاعتداد بالعارض هو الراجح يرجع إلى أن أحد سببي المد - وهو السكون - قد عرض، فهو راجع إلى الأصل بقوة، كما في أوجه المد الثلاثة عند الوقف على الساكن في نحو: (يعلمون)، فالنون متحركة في الأصل، ويمتنع معها على هذا الوصف مد حرف المد قبلها، إلا أن السكون لما عرض رجع إلى أصل معتبر، وهو مد حرف المد بسبب السكون بعده، فيحق لنا على نحو ما ذكر أن نسميه أصلاً راجعاً إلى أصل آخر مثله.

الطريق الثاني:

وهو أن يتعامل مع كل كلمة على حدة دون تعليقها بباب من أبواب الأصول، وهذا أسلم من التعميم المتبع في الطريقة الأولى.

١- النشر: ٧٣/٢.

٢- الكشف: ٥٠/١.

التحليل الصوتي للمسائل الأصول:

وقد سلكت في ترتيب هذه المسائل على وفق ما جاءت به الشاطبية، وسأعرض فيه بعض النماذج مما وقع فيه خلاف بين القراء مقررًا حقيقته في ضوء البحث الصوتي مما أشار إليه المتقدمون، وطرقه المحدثون.

ميم الجمع:

وحقيقته عند القراء: وصل ميم الجمع بإشباع ضمتها واوًا، بشرط أن يليها حرف متحرك، نحو: (أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ) (سورة البقرة، الآية ٥٤)، وقرأ به ابن كثير من السبعة، وهو وجه لقالون، ووافقهما ورش إذا وليه همزة، نحو: (ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) (سورة البقرة، الآية ٦)، فإنه يشبعها كمال المد، وتكون عنده من قبيل مَدِّ المنفصل.

وفي هذا الباب مسألتان:

١- أن ابن كثير لا يجيز روم الميم، ولا إشمامها، كما جاز في نحو: (نَسْتَعِينُ) (سورة الفاتحة، الآية ٥)، لأن حركة الميم عارضة، ومثله يقرأ ورش فيما اختص به من هذا الباب.

وعدم الاعتداد بالعارض في هذا الموطن له نظائر معتبرة، كترك صلة هاء الكناية حال الوقف في نحو: (وَلَهُ مَنْ).

وفي مقابل ذلك أجاز مكي بن أبي طالب روم ميم الجميع -قياساً لا نصاً- اعتداداً منه بالعارض، وقياساً منه على جواز روم هاء الكناية وإشمامها عند من أجاز من القراء.^٢

٢- ضم الهاء وكسرها قبل ميم الجمع في الكلمات: (عليهم)، و(إليهم)، و(لديهم)؛ وللقراء في هذه الهاء وجهان:

١- التيسير: ٥٨.

٢- الإقناع في القراءات السبع: ٥٣١/١.

الوجه الأول: ضم الهاء على الأصل، وعدم الاعتداد بعارض قلب الألف ياء في: (على)، و(إلى)، و(إلى)، وهذا مذهب حمزة.

والوجه الثاني: كسر الهاء، وهو عمل بقية القراء، اعتداداً منهم بعارض الياء.

وغير حمزة اعتد بالعارض أي: الياء المنقلبة عن الألف.

وحمزة لم يعتد بالعارض وأبقى الهاء على أصلها في الضم.

ولا ريب أن في الاعتداد بالعارض في هذا الموطن تلاؤماً صوتياً بين الياء وكسرة

الهاء. ووجه حمزة له نظير في من وصل الميم بضمٍّ وأبقى الكسر على الهاء.

وحمزة قد صنع الأمر ذاته حال الوقف على (أُنْيَهُمْ) (سورة البقرة، الآية ٢٣) فإنه

يقلب الهمزة المتوسطة من جنس حركة ما قبلها، أي يقلبها ياء، ثم يكسر الهاء

بعدها؛ لتحقيق أكبر قدر من التجانس الصوتي.

وقد رجح ابن الجزري مذهب حمزة لموافقته القياس، وذكر أن مذهبه في هذا أولى

وأصل^٢.

وإنما كان مذهب حمزة هو الأصل لأمر منها:

أ- أنها حال إفرادها تضم قولاً واحداً، فتقول: هم.

ب- حالات الضم أوسع في هذا الباب، فتضم إذا سكن ما قبلها: (عَنْهُمْ)، أو سبقت

بفتحة: (جعلهم)، أو ألفاً: (خلقناهم).

أما من اعتد بالعارض فله وجه من النظر والقياس أيضاً، وهو كذلك راجع إلى أصول

معتبرة منها:

أ- تحقيق أكبر قدر من التجانس الصوتي، فكسرت الهاء مراعاة للياء قبلها، وفي

هذا الأصل يقول سيبويه: "كان العمل من وجه واحد أخفَّ عليهم"^٣.

١- إبراز المعاني: ١٧٢/١.

٢- النشتر: ٤٣١/١.

٣- الكتاب: ١٢٩/٤.

ب- أن له نظائر من مراعاة العارض، فقد واءم حمزة والكسائي صوتياً بضم الهاء والميم عند مجيء الساكن بعدهما نحو (يُرِيَهُمُ اللَّهُ) (سورة البقرة، الآية ١٦٧)، فأتبع الميم الضم؛ لأنها لأصل فيها، وبعكس ذلك فعل أبو عمرو حيث كسر الهاء والميم عند ملاقاتهما الساكن تحقيقاً لجري الصوت على مهييع واحد.

ج- أن مراعاة التجانس الصوتي يندرج تحت ما يعرف حديثاً بتوافق الصوائت، وهو ميل صوائت الكلمة إلى التماثل تحقيقاً للتناغم الصوتي.

يقول د/ محمد الخولي: "تعتبر ظاهرة توافق الصوائت مثلاً على المماثلة التباعدية أو المماثلة غير المباشرة، حيث يتغير صائت ليمائل آخر في مقطع سابق، كما أن هذه الظاهرة تقع ضمن الميل إلى الأيسر، حيث نطق (يَهُم) أيسر من نطق (يَهُم)³".

هاء الكناية:

وقبل عرض المسألة يحسن بداية بيان أحكام هاء الكناية عند القراء، مستخدماً الجدول التالي:

أحكام هاء الكناية عند القراء		
المثال	الوصف	الحكم
فِيهِ هَدَى	الهاء بين ياء ساكنة ومتحرك	صلة هاء الضمير بياء لابن كثير
مِنْهُ آيَاتٌ	الهاء بين ساكن ومتحرك	صلة هاء الضمير بواو لابن كثير
لَهُ مَنْ	الهاء بين متحركين	صلة هاء الضمير لجميع القراء
فِيهِ الْقُرْآنُ	الهاء بين ساكنين	عدم الصلة لجميع القراء
لَهُ الْمُلْكُ	الهاء بين متحرك وساكن	عدم الصلة لجميع القراء

ففي نحو: (فِيهِ هَدَى) (سورة البقرة، الآية ٢) مذهبنا:

الأول: عدم الصلة، وهو لجمهور القراء، والعلة كراهة اجتماع ساكنين الياء المدية وصلة هاء الكناية، ولم يعتدوا بالهاء لخفائها.

والثاني: ما انفرد به ابن كثير، وهو الصلة؛ لأنها وإن كانت خفية إلا أن هذا الخفاء لا يخرجها عن أن تكون كسائر الحروف من جهة جواز الفصل، والاعتداد وزن الشعر^١.
ووصل الهاء كوصل ميم الجمع، وهما في الوقف أيضاً سواء من جهة وجوب حذف صلتها.

ولضعف الهاء أميلت فتحتها والألف بعدها للكسر قبلها في نحو: (يريد أن يضربها)، ولم يُعتد بفصلها^٢.
الهاء صوتياً:

ومخرجها عند المتقدمين أقصى الحلق^٣، في حين يقرر المحدثون أنها صوت حنجري^٤.

ويقرب من مذهب المحدثين في مخرجها ما أشار إليه ابن سيده (ت ٥٨٤ هـ) من أن الهمزة إذا رُقِّه عنها كانت نفساً يجول إلى مخرج الهاء^٥.

كما أنهم لاحظوا عند خروج هذا الصوت اندفاع كمية كبيرة من الهواء تقارب الكمية التي تندفع عند النطق بأصوات المد^٦، بمعنى أنها تحتاج إلى جهد في تبيينها وإيضاحها، إلا أن الفارق هو ذبذبة الوترين الصوتيين الذي يصبغ الصوائت بالجهرية في مقابل الهمس الحاصل في صوت الهاء.

١- شرح الفاسي: ٢١٣/٢.

٢- الكتاب: ١٢٣/٤.

٣- الكتاب: ٤٣٣/٤، والنشر: ١٩٨/١.

٤- دروس في علم أصوات العربية: ٢٣، دراسة السمع والكلام: ١٧٤.

٥- المحكم والمحيط الأعظم: مادة (هت).

٦- الأصوات اللغوية، عبد القادر: ١٨٣.. ومن هنا جاء تسميتها بالمستمرة *continuant*

بل ذهب بعضهم إلى عدّها من ضمن الأصوات المجهورة لما رأى من كمية الهواء المندفعة التي قد تؤثر فيذبذبة الوترين^١.

وتشير إليه عبارة د إبراهيم أنيس حين ألمع إلى حدوث نوع من الاهتزاز الوتري في بعض الظروف اللغوية^٢.

صفاتها: مهموسة، ورخوة (احتكاكية)، مستفلة، وهي صفات ضعف كما يقرر ذلك المتقدمون والمتأخرون. وقد لقبها سيبويه بالصوت المهتوت^٣.

مسألة الاعتداد بالعارض في باب الكناية: (عَنْهُ تَلَهَّى) (سورة عبس، الآية ١٠): فالبرّي عن ابن كثير يصل الهاء واواً مع تشديد التاء بعدها؛ لأن التشديد عارض^٤. وكان الأصل ألا يصل هاء الضمير لوقوعها بين ساكنين، وهو ممتنع مده عند جميع القراء، إلا أن ابن كثير لم يعتد بعارض التشديد فوصلها بواو، ثم لزمه إطالة المد لأجل التضعيف طرداً لقاعدة المد اللازم المثلّ، وعلة هذا صوتياً هو ما في الهاء من ضعف في درجة وضوحها السمعي فعزّزت بصائت طويل تتقوّ به، ويسهل معه النطق بالتاء المشددة على نحو لا كلفة فيه، ولا عسر في النطق في مقابل عدم وصلها. فإطالة الصوت إراحة لأعضاء النطق لتتهدأ للنطق بالحرف المشدد بعد أخذ فترة مرسلة لأعضاء النطق مع المد، يستأنف بعدها النطق، والحال في ذلك مشابهة وجوب المد بعد حرف المد إذا لقي همزة، فإن الهمزة صوت عسر مخرجه وفيه تكلف في

١- مناهج البحث في اللغة: ١٠٣

٢- الأصوات اللغوية، أنيس: ٩٠

٣- لقب المهتوت أطلق أيضاً على الهمزة وهذا للخليل، وأطلقه ابن الحاجب على صوت الياء. ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٨٠.

٤- التيسير: ٢٩/١.

النطق، ولذلك تصرفت العرب بالنطق به على أنحاء مختلفة بما لم تتصرف في غيره من الأصوات، فكل جارٍ على مهيع واحد، وسنة مطردة.

والجمع بين الساكنين في هذا الموطن جارٍ على قواعد العربية؛ لأن الساكن الأول حرف مد، والثاني مدغم، حاله حال (دَابَّة)، و(الضالِّين)، وتُمَوِّدُ الثوبُ¹.

قال أبو جعفر أحمد بن الباذش (ت ٥٤٠ هـ): "على تشبيه المنفصل بالمتصل، نحو (دواب)، و(صواف)²".

وقد قال أبو عبد الله الفاسي (ت ٦٥٦ هـ): "وقيل: إنما زيد عليها الواو؛ لتخرجها من الخفاء إلى الإبانة، وذلك أن الهاء من الصدر والواو من الشفتين، فإذا زيدت عليها بينتها³". وابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) يعلل زيادة تمكين المد لتمييز أحد الساكنين من الآخر، وما ذلك إلا أن الهاء حاجز غير حصين⁴.

وفي هذا الموطن من عدم الاعتداد بعارض التشديد وبقاء صلة الهاء مع الإشباع نظر له أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) بعدم اعتداد ورش عن نافع بتحرك اللام المنقول إليه حركة الهمزة في نحو قوله تعالى: (وَيَدَارِهِ الْأَرْضُ) (سورة القصص، الآية ٨١)، فلم يصل الهاء مع حصول الموجب، منعه من ذلك عروض تحرك اللام⁵.

وقد وجّه السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) وصل هاء الضمير في نحو قوله تعالى: (لَعَلِمَهُ النَّيْنُ) (سورة النساء، الآية ٨٣) مع تشديد اللام أن الإدغام في هذا الموطن لازم غير عارض⁶.

١-العقد النضيد: ٥٧٢/١.

٢-الإقناع في القراءات السبع: ٤٩٨/١.

٣-شرح الفاسي: ٢١٢/١.

٤-النشر: ٣٨٨/١.

٥-جامع البيان: ٤١٦/١.

٦-العقد النضيد: ٥٧٢/١.

التحليل المقطعي الصوتي للقراءتين	
عن + هُتْ	عن + هوت
(ص+ح+ص) + (ص+ح+ص)	(ص+ح+ص) + (ص+ح+ح+ص)

الإدغام:

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): "هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"^١. وهذا هو المعتبر عند كثير من علماء التجويد، وقد ذهب الرضي في بيان حقيقة الإدغام إلى أنه وصل حرف بحرف مثله متحرك بلا سكتة على الأولى، وأنكر حقيقة الإدخال، بل هو إيصال معتمداً في حقيقته على المخرج اعتماداً واحدة قوية^٢.

وما ذهب إليه الرضي هو المقرر عند كثير من الباحثين المحدثين، فهو عبارة عندهم عن صوت طويل واحد، مع النظر إليه في الحالة المورفولوجية كصوتين متوالين^٣. والإدغام فرع عن الإظهار، إذ الأصل أن تؤدي أصوات اللغة من غير تغيير، وما الإدغام إلا ضرب من التخفيف ينزع إلى سهولة النطق والفرار من الثقل الحاصل من رفع اللسان من مكان ورده إلى مكان نفسه، أو قريباً^٤.

والإدغام يندرج ضمن ما يعرف حديثاً بقانون الجهد الأقل Low of Least Effort^٥. كما أنها ضرب من المماثلة الصوتية، وحقيقتها في الدراسة الصوتية الحديثة مفهوم

١- النشر: ٢٧٤/١.

٢- شرح الشافية: ٢٣٥/٣.

٣- دراسات في علم أصوات العربية: ٣٣.

٤- حجة القراءات: ٨٤، وقد سبق سيبويه في بيان علة التخفيف في باب الإدغام حيث يقول: «وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهملة كرهوه وأدغموا لتكون رفعة واحدة، وكان أخف على ألسنتهم» الكتاب: ٤/٤١٧.

٥- دراسة الصوت اللغوي: ٣٧٢.

عام قائم على ميل الأصوات المتجاورة إلى التماثل، ويعد الإدغام صورة من صوره المختلفة^١.

مسائل هذا الباب:

١- قوله تعالى: ﴿أَحْسِنُ أَتْكَوْرِيَا﴾ (سورة مريم، الآية ٧٤)

قرأ قالون وابن ذكوان وأبو جعفر بإبدال الهمزة ياءً ثم إدغامها في الياء التي تليها، وذهب باقي القراء إلى الإظهار^٢.

وحجة من أدغم إتباع رسم الخط؛ إذ هي مرسومة على ياء واحدة، كما أن قلب الهمزة حرف من جنس حركة ما قبلها شائع في العربية، نحو: (ذيب)، و(جون)، والإدغام بعد القلب في هذا الموطن واجب لتماثل الصوتين، وهذه المسألة من باب الاعتداد بالعارض^٣.

أما من اختار الإظهار فلم يعتدّ بالعارض، ورجع إلى الأصل الذي يقرر أن الهمزة لا تدغم في الياء، ويضاف إلى ضعف الاعتداد بالعارض في هذا الموطن التأثير في الجانب الدلالي لإفضائه إلى الإلباس بالرّيّ ضد العطش.

ولمن أدغم واعتد بالعارض أن يحتج بأن الإدغام ما حصل إلا بعد قلب الهمزة ياء، فالتقى مثلان الأول منهما ساكن والثاني متحرك، فوجب على إثره الإدغام أصلاً متفقاً عليه.

ولعل لهذا نظيراً مما ذكره سيبويه من امتناع إدغام الحاء في العين في قولهم: (امدح عرفة)، ثم أجاز به قلب العين حاءً ثم إدغام الأولى فيها، فتحقق فيه إدغام

١- الأصوات اللغوية للخولي : ٢١٩ .

٢- إتحاف فضلاء البشر : ٧٧/١ .

٣- شرح الشافية : ٢٣٨/٢ .

المثلين الذي لا اختلاف فيه، فهذا مثل ما سبق وإن اختلف ترتيب الحرفين، إلا أن به شبهاً يؤنس إليه عند عَوَز الدليل الواضح.

٢- قوله تعالى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) (سورة البقرة، الآية ٢٣١)

فقد أدغم أبو الحارث اللام في الذال مع أن سكونها عارض للجازم، وخالفه البقية لعدم الاعتداد بالعارض، بل وصفها بعضهم بالقبح؛ محتجاً بأن سكونها عارض^١.

وقد تكلم في هذه الرواية من جهتين:

الأولى: السكون العارض للجازم.

الثانية: إظهار اللام عند حرف هو أولى بها من الذال، وهي النون في نحو قوله تعالى: (وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ) (سورة البقرة، ٢١٨)، وذلك أن النون أقرب في المخرج -أو من ذات المخرج على مذهب قطرب- إلى اللام من الذال، وعليه فقد جرى الإدغام على خلاف الأصل المرعي في جواز الإدغام أو وجوبه.

ويمكن رد ما سبق بما يأتي:

١- التقارب المخرجي.

فاللام تخرج من بين حافتي اللسان بعد مخرج الضاد، وما يحاذيهما من اللثة العليا، والذال تخرج ما بين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين رأسي الثنيتين العلين^٢.

٢- الاشتراك في بعض الصفات.

وهي الجهر، والانفتاح، والاستفال، كما أن اللام تشارك الذال في جزء من صفة الرخاوة، إذ هي من الأصوات المتوسطة^٣، أو المائعة بحسب المصطلح الصوتي الحديث.

٣- إدغام لام التعريف فيها، نحو: (الذَّاكِرُونَ).

١- الكشف: ١٥٣/١، والدر المصون: ٤٥٧/٢.

٢- نهاية القول المفيد: ٣٥.

٣- شرح الفاسي: ٣٦٥/١.

٤- إدغام الكسائي اللام في الثاء، الطاء، وهما صوتان من ذات مخرج الذال، من قوله تعالى: (هَلْ تُؤِيبَ) (سورة المطففين، الآية ٣٦)، و(بَلْ طَنَنْتُمْ) (سورة الفتح، ١٢).
أما الاحتجاج بالسكون العارض فيمكن رده بأن هذا لا اعتبار له في الإدغام، وإدغام الساكن العارض قد حصل عند القراء مع أن أصله الحركة منها قوله تعالى: (وَأِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) (سورة الرعد، الآية ٥) أدغمت الباء في الفاء، وقوله تعالى: (أَوْ يَغْلِبْ قُصُوفُ) (سورة النساء، الآية ٧٤)، وهذا في السبعة عن أبي عمرو، وخلاص عن حمزة، والكسائي^١.

والإدغام مطلوب لأجل التخفيف الصوتي، وليس لأصالة التسكين في ذلك وجه معتبر، إذ لو كان محرراً لاقتضى تسكينه ليتم الإدغام.

أما الاحتجاج بإظهار اللام عند النون في قوله تعالى: (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ)، فيرد بحصول الإدغام عند الكسائي في نحو: (بَلْ نَتَّبِعْ)، وما حصل إلا مراعاة للتقارب المخرجي، أو اتفاقهما في المخرج نفسه على مذهب قطرب، كما حصل إدغام الطاء في التاء المشاركة لها في المخرج في قوله تعالى (بَسَطَتْ).

٣- قوله تعالى: (وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجَنُودُهُ) (سورة القصص، الآية ٣٩) فقد اختار الداني الإدغام، واختار ابن مجاهد الإظهار معتلاً بأن الإدغام يقتضي إسكان الواو وقبلها ضمة، فتصير حرف مَدٍّ وحرف المد لا يدغم، لأن الإدغام يذهب المد، فيكون من قبيل: (أَمْنُوا وَعَمِلُوا) وهو ممنوع إدغامه بغير خلاف .

أما من اختار الإدغام فاحتج بأمرين:
الأول: أن هذا مدٌّ تقديري لا حقيقة له.

١- إبراز المعاني: ١٩٦/١.

الثاني: أن الواو في نحو (آمنوا) ساكنة على كل حال، والمد صفة لازمة لها، أما نحو (هو وجنوده) فإن التسكين عارض، والإدغام لا يمنع لأجل العارض^١.
وعليه فالمد داخل على الإدغام، بخلاف نحو (آمنوا وعملوا)، "فلو أدغمت لكان الإدغام داخلاً على المد"^٢، ولأجله منع الإدغام في هذا الموطن.

المد:

والمد من الأبواب الأصول التي وقع الخلف بين أثمة القراءة فيها من مُقَصِّرٍ، ومُوسَّطٍ، ومُشْتَبِعٍ، ولكل وجهه وسببه، وهو خاص بحروف العلة ممطولة، الألف ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، والواو مضموماً ما قبلها، والياء مكسور ما قبلها، نحو (شاء)، و(سوء)، و(جيء).

وإنما سميت حروف مد لامتداد الصوت بها، وتوسم أيضاً بحروف اللين للضعف اللاحق بها من وجهين:

الأول: سعة مخارجها، مع عدم تبين مخرج محدد لها.
الثاني: من الجانب التصريفي، من جهة ما يلحقها من الانتقال والتغيير وسائر ضروب الإعلال الطارئ عليها^٣.

ومن مسائل هذا الباب ما يأتي:

١- مد اللين:

قوله تعالى: ﴿مَوِيلًا﴾ (سورة الكهف، الآية ٥٨)
ووجهه أن ورشاً لم يمد الواو كما مدّها في نظائرها، نحو (سَوَّءْتُهُمَا)
(سورة الأعراف، الآية ٢٢)، وعلة ذلك أن سكون الواو عارض، والأصل فيه الحركة، إذ هي

١- العقد النضيد: ٤٥٩/١.

٢- فتح الوصيد: ٢٣١/٢.

٣- فتح القصيد: ٢٦٩/٢.

من وآل، قال مكي: "فترك المد؛ لأن السكون عارض، فإن فاء الفعل أصلها أبداً الحركة، لأنها وآل، فسكونها عارض أبداً".^١

وورش جارٍ في ذلك على أصله حيث لم يمد أيضاً في (مَوْءَدَة)^٢؛ إذ أصل الواو التحريك من وآد.

وذكر أبو شامة علة أخرى لمنع المد في (مَوْئَلَا)، وهي طلب مشاكلة رؤوس الآي، إذ بعدها: (مَوْعِدًا)^٣.

٢- باب مد البدل: وفيه ما يأتي:

أ- قوله تعالى ﴿أَنْتَ بِمُزْمِنٍ﴾ (سورة يونس ١٥):

لم يمد ورش الياء بعد همزة الوصل مع أن حاله حال مد البدل، وما ذاك إلا لعدم اعتداد منه بالعارض، ووجهه أن همزة الوصل عارضة، كما أن الياء مبدلة من الهمزة، إذ هي من الفعل: (أتى)، فهي عارضة من هذا الوجه^٤.

ب- وفي باب البدل لم يمد ورش نحو: (خطأ)، و(ملجأ) حال الوقف عليهما مع تحقق صورة البدل فيهما، وعلة هذا ما ذكرناه من قبل من عروض هذا البدل، فهذا موطن آخر من مواطن عدم الاعتداد بالعارض.

ج- ومن مباحث مد البدل ما ذكر في قوله تعالى: (مَنْ آمَنَ) فإن لورش فيه ثلاثة أوجه:

أ- المد، اعتداداً بالأصل.

ب- التوسط جمعاً للأمرين.

ج- القصر اعتداداً بالعارض^٥.

١- الكشف: ٤٩/١.

٢- التيسير: ٧٢.

٣- إبراز المعاني: ١٢٦/١.

٤- الكشف: ٥٣/١.

٥- إتحاف فضلاء البشر: ١٩٩/١.

٢- المد مع الهمز المغير:

احتمال وجهي المد وعدمه بعد الهمزة المسهلة في نحو: (جَأْوُوا)، و(يَشَاءُ)، فقد اعتل من مد بما يأتي:

أ- أن المسهلة بزنة المحققة.

ب- أن التسهيل عارض لا يعتد به، والتحقيق هو الأصل، فوجب ألا يترك المد.

ج- أن التسهيل مختص بالوقف، والوقف عارض^١.

٢- المد العارض للسكون:

وفيه أن من لم يمد حال الوقف على نحو: (عليم)، و(خبير) لم يعتد بعارض السكون، ومن أشبع المد اعتد بعارض السكون، وكان حاله حال: (الآن)، لحصول السكون بعد حرف المد.

والمد العارض للسكون فيه ثلاثة مذاهب:

أ- الإشباع كالمد اللازم، لاجتماع الساكنين اعتداداً بالعارض، قال الداني: وهو مذهب القدماء من مشيخة المصريين، وقال ابن الجزري: وهو اختيار الشاطبي لجميع القراء.

ب- التوسط مراعاة للأمرين: اجتماع الساكنين، وكونه عارضاً.

ج- القصر: لعدم الاعتداد بعارض السكون^٢.

والظاهرة الصوتية في المقام الأول تعتد بالموقف الحالي، فالسكون قد تتحقق حال الوقف، وسبق بحرف مد فاستحق المد على هذه الصورة، وأتى بموجب الأمر.

١- الكشف: ٥٩/١.

٢- النشر: ٣٣٥/١.

كما أن من اعتد بعارض السكون راعى مرتبة القوة للمد العارض للسكون، حين قرر علماء التجويد بأن أقوى المدود المد اللازم، ثم المتصل، ثم العارض للسكون، ثم المنفصل، ثم البدل.

الإمالة:

الإمالة لغة: مصدر أمال يميل إمالة، وجُماع معانيها يفيض إلى الانحراف والعدول من جهة إلى جهة أخرى، ومن ذلك قولهم: مال النهار إذا دنا للمضي، أو تضيّفت شمه للغروب.

أما في الاصطلاح فتكاد تعريفات النحويين تتفق على المعنى الإجمالي لها من الجنوح بالفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء.

قال ابن جني: "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء".^١

وبصياغة أخرى يقول ابن يعيش: "عدول بالألف عن استوائه وجنوح إلى الياء،

فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء".^٢

ويعني بالألف المفخمة النطق الطبيعي للألف، وهو ما يعبر عنه بالفتح، أو النصب في

مقابل الإمالة، وليس المراد بها الألف التي يُنحى بها نحو الضم، كما هو في نطق الأعاجم،

فالنطق بها على هذا النحو مرذول عند القراء، معدود من ضروب اللحن.

وقد يعبر بالكسر عن الإمالة، كما عبروا بالنصب عن الفتح.^٣

أقسام الإمالة:

وهي على نوعين:

١- إمالة كبرى:

١- البدور الزاهرة: ٨٩.

٢- اللمع: ٣١١.

٣- شرح المفصل: ٥٤/٩.

٤- الكتاب: ٢٦٣/٢، والنشر: ٣٠/٢.

وهي التقريب بالفتحة من الكسرة، والألف من الياء، من غير قلب خالص، ولا إشباع مبالغ فيه.^١

ويعبر عنها بمصطلحات أخرى:

أ-الإمالة الشديدة.^٢

ب-الإضجاع.^٣

ج-المحضة.^٤

د-البطح.^٥

٢- إمالة صغرى:

وهي الإتيان بالحرف على نحو متوسط بين الفتح والإمالة الشديدة. والعناية بالنطق بها على هذا النحو قد يفرط فيه بعض القراء، وهو ما أشار إليه أبو شامه منبهاً على الخطأ الذي وقع فيه بعض قراء زمانه من جعل الفرق بين الكبرى والصغرى في علو الصوت وخفضه، فعند الإمالة الكبرى يعتمد القارئ إلى رفع الصوت، وعند الصوت يخفضه، وليس الأمر كذلك ما دامت الحقيقة الصوتية في النطق به واحدة.^٦

وقد يعبر عن الصغرى بـ:

أ-المتوسطة.^٧

ب-التقليل.^٨

١- إبراز المعاني : ٢٠٤ .

٢- النشر : ٣٠/٢ .

٣- السبعة لابن مجاهد : ١٤٢ .

٤- سراج القارئ : ١١٣ .

٥- النشر : ٣٠/٢ .

٦- إبراز المعاني : ٢٢١ .

٧- إبراز المعاني : ٢٠٤ .

٨- الشاطبية : ٢٦ .



ج- بين بين^١.

أسباب الإمالة:

وترجع إلى سببين رئيسيين:

الأول: الكسرة، وقد تكون:

أ- ظاهرة، نحو: (كاتب).

ب- خفية، نحو: (خاف)؛ إذ الأصل التصريفي لها: خَوْف.

الثاني: الياء، وهي كسابقتها قد تكون:

أ- ظاهرة: نحو: (شيبان).

ب- خفية: نحو: (باع)؛ إذ أصلها: بَيْع.

ولما سبق شروط وتفاصيل في كتب النحو ليس هذا بالمحل اللائق بذكرها، وفيما

سبق كفاية بما نحن فيه.

وإذا كانت الكسرة أو الياء من أسباب الإمالة، فإن ما يأتي من الأصوات مخالفاً لهيئة هذين الفونيمين من جهة المخرج أو الصفة فسيُعدُّ مانعاً من موانع الإمالة، كمجاورة الألف أو الفتحة لأصوات الاستعلاء: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق)^٢ ذلك أن ارتفاع أقصى اللسان عند النطق بهذه الأصوات يخالف الانخفاض الحاصل عند النطق بالإمالة. فإن عرض لهذه الأصوات المستعلية الكسر، فإنه يجوز إمالة الألف في نحو: (غِلاب)، و(خِيام)^٣.

والأصل في هذا الباب ألا يمال إلا الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة؛ لأن الإمالة ضرب من التصرف اللغوي، وهو ما لا يتأتى للأفعال الجامدة والأسماء المبنية والحروف.

١- التيسير: ٥٠.

٢- للتوسع في مباحث أسباب الإمالة وموانعها، انظر: المقتضب: ٤٦/٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ٥٩/٩.

٣- شرح المفصل لابن يعيش: ٥٩/٩.

والغاية من الإمالة تحقيق التشاكل والتجانس في نسيج البنية العربية على نحو يئأى بها عن التنافر، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه سيبويه حين عرض للإمالة الحاصلة في نحو: (عابد)، و(عالم)، فقال: " وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أراد أن يقربوها منها". وقد نظّر لها بالإشمام الحاصل في نحو: (صدر)، فقربت من الجهر الحاصل في الدال بإشمام الصاد المهموسة صوت الزاي المجهورة.

وفي السياق نفسه قال ابن جني: " فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت"^٢.

وقد ذهب بعض الباحثين الصوتيين إلى أنها ضرب من ضروب التخفيف الصوتي يتغيّاً الاقتصاد في المجهود عند النطق.

وقد يرد على هذا الرأي أن غالب العرب نطق بالفتح لا بالإمالة، يضاف إلى ذلك أن الإمالة الصغرى فيها بعض التكلف عند النطق بها على نحو ما نقلناه عن ابن شامة، والقول الوسط في ذلك " أنها مظاهر صوتية بحتة، يتفاوت وجودها في القبائل واللهجات العربية، فكلاهما مقبول مستساغ عند من نطق به، ولم يطاوعه لسانه بغيره"^٣.

وقد ينحى نحو الإمالة للإشعار بالأصل التصريفي للألف نحو: إمالة (هدى)، فالإمالة مشعرة بالأصل اليائي للألف المقصورة، وما امتنعت فيه الإمالة فإنما من جهة أن أصل الألف فيه واوي، نحو امتناعها في: (غزا)، وعلى ذلك فقس.

والإمالة ذائعة في القبائل العربية البدوية، وبخاصة في نجد وسط الجزيرة العربية، كتميم، وقيس، وأسد، وبكر بن وائل، أما الفتح فهو خاص بلغة الحاضرة أهل الحجاز^٤.

والقياس لا يطرد في باب الإمالة لا لغوياً ولا في الأداء القرآني.

١- الكتاب : ١١٧/٤ .

٢- الخصائص : ١٤٣/٢ .

٣- مقدمة تحقيق [قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين] : ٧٨ .

٤- شرح المفصل لابن يعيش : ٥٤/٩، والنشر : ٣٠/٢، وحاشية الصبان : ٢٢١/٤ .

ففي اللغة يقول أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ): "أمر العرب في الإمالة لا يطرد على قياس لا يخالفونه، وكذلك ترك الإمالة لا يطرد".^١

أما عند القراء فهذا ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) يقول: "ولو كانت القراءة قياساً إذن للزم من أمال (في الغار)، و(بخارجين) أن يميل (بطارد المؤمنين)، و(الغارمين)".^٢

ويقول مكي بن أبي طالب: "وقد يأتي من الإمالة ما تتبّع فيه الرواية، ولا تقوى فيه علة".^٣

والقراء متفاوتون في باب الإمالة، وهم على ثلاثة أقسام:

الأول: لم يمل قط، وهو ابن كثير.

الثاني: مقل، وهم قالون، وابن عامر، وعاصم.

الثالث: مكثّر على نمطين:

النمط الأول: غلب على الإمالة الكبرى، وهما حمزة والكسائي، وخلف في اختياره.

النمط الثاني: غلب على الإمالة الصغرى، وهو ورش عن نافع، ويلحق به أبو عمرو بن العلاء، وإن كان له من الإمالة الكبرى نصيب.

—الإمالة عند المحدثين:

أخذت مباحث الإمالة جانباً مهماً من بحوث الصوتيين المحدثين، وانتهوا فيه إلى أمور وافقوا فيها المتقدمين، كالغاية من الإمالة، وأنها ضرب من ضروب التماثل الصوتي Assimilation يهدف إلى تحقيق قدر كبير من الانسجام بين أصوات اللين، كما أنها شائعة في سائر اللغات البشرية.^٤

١- شرح كتاب سيبويه : ٥٠٢/٤ .

٢- كتاب السبعة : ١٥٠ .

٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع : ١٧٦/١ .

٤- في اللهجات العربية : ٦٧ .

والتوصيف الفسيولوجي للإمالة هو حدوثها في مرحلة وسطى بين استواء اللسان في قاع الفم -وهنا تتكون الفتحة أو الألف- وصعود اللسان نحو الحنك الأعلى إلى أقصى نقطة فيه -وهنا تتكون الكسرة أو الياء المدية- وعليه فهناك مراحل بين الفتح والكسر تتشكل فيها صور الإمالة من شديدة ومتوسط وسواهما، فالإمالة الشديدة هي أقرب إلى الحنك الأعلى، والمتوسطة هي إلى القاع أقرب، مع ملاحظة أن انفراج الشفتين في حالة الإمالة يكون دون الانفراج حال النطق بالكسرة الخالصة^١.

تحليل مسائل الاعتداد بالعارض وعدمه في باب الإمالة:

قد نقلنا سابقاً عن ابن الجزري تقريره من أن الأصل في باب الإمالة عدم الاعتداد بالعارض، ففي قوله تعالى: (كلا إن كتاب الإبرار لفي نعيم) وردت إمالة الألف قبل الراء إمالة كبرى عن، ومجوز هذه الإمالة هو كسر الراء الثانية، إلا أن أبا عمرو مع إمالته يدغم الراء في اللام أيضاً، وكان الأصل على زوال مجوز الإمالة وهو الكسر بالإدغام، ومع ذلك فإنه أمال مع الإدغام، وعليه فلم يعتد بعارض الإدغام.

قال الداني: "والإمالة باقية مع الإدغام في نحو (إن كتاب الأبرار لفي)، و(عذاب النار ربنا) وشبهه، لكونه عارضاً"^٢.

وهذا المذهب قوي معتبر، فإنه لو وقف على (الأبرار) لأمال اتفاقاً مع ذهاب الكسرة بالوقف، والإدغام نظيره في ذلك، فالكسرة منوية.

فهذا السمين الحلبي يرد على من اختار عدم الإمالة لعارض الإدغام بقوله: "وهذا مرجوح؛ لأن الوقف لا يمنع الإمالة لكونه عارضاً، فكذا الإدغام، يعني أن الوقف وإن ذهب فيه الكسرة فهي منوية"^٣.

١- في اللهجات العربية: ٦٥، في الأصوات اللغوية: ١٦٣.

٢- التيسير: ٢٧.

٣- العقد النضيد: ٥٥٣/١.

وفي مقابل ذلك فقد روي عن ابن حبش عن السوسي اعتداده بعارض الإدغام لمنع الإمالة في قوله **﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** **﴿فَقِنَا عَبْدًا لَنَارٍ﴾** (سورة آل عمران، الأيتان ١٩١/١٩٢)، **﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** **﴿وَالنَّهَارِ لَا تَهْتَكُ﴾** (سورة آل عمران، الآية ١٩٠)، والأكثر على خلافه^١.

وأئمة النحوي يقررون في هذا الباب جواز الأمرين، وفي هذا يقول ابن مالك: "ثم بينت أن الألف المكسور ما بعدها إذا زالت الكسرة بإدغام أو وقف جاز أن تمال، وألا تمال، لكن الإمالة مع الإدغام العارض أحسن من الإمالة مع الإدغام اللازم"^٢.

ونظير ما سبق ما رواه حمزة وشعبة من إبقاء الإمالة في الراء وصلأ في قوله تعالى: **﴿رَمَاهُ الْفَقْرُ﴾** (سورة الأنعام، الآية ٧٧)؛ مع أنها ستحذف لالتقاء الساكنين؛ وما ذاك إلا لأن حذف الألف جاء عارضاً^٣.

وفي مقابل ما سبق قد يعتد بالعارض لأجل الإمالة، وهذا يأتي على صور منها:
أ- الاعتداد بالعارض التصريفي، نحو إمالة (تزكى) مع أن أصلها (زكى) واوي لا تجري فيه الإمالة، فـ(تزكى) تتصرف إلى تزكيت فجاءت يائية، فروعي هذا العارض، وجاء مسوغة للإمالة، كما جرت في يرضى ونحوه^٤.

ب- الاعتداد بالعارض المعنوي، نحو إمالة (العلی) مع أن أصلها واوي؛ إذ هي من العلو إلا أنها لما كانت صفة والصفة أثقل من الاسم ناسب ردها إلى الياء، إذ الياء أخف من الواو^٥.

١- النشر: ٢٩٩/١، والإتحاف: ١٢٢/١.

٢- شرح الكافية الشافية: ١٩٧٥/٤.

٣- الكشف: ١٨٢/١.

٤- الكشف: ١٧٧/١.

٥- الكشف: ١٩٠/١.

وفي هذا الباب قَرَّق العلماء بين الكسر اللازم الذي هو من بنية الكلمة، والكسر العارض الحادث في أواخر الكلم إعراباً، فانظر إلى ما ذكره مكّي من أن إمالة نحو: (آنية)، و(مشارب)، و(عابد) لكسر ما بعد الألف أولى من إمالة نحو: (النار)، و(النهار) لدوري أبي عمر. وما ذلك إلا لأن الكسر لازم في الأول عارض في الثاني، وبه يتبين أن الاعتداد بالأصل الثابت هو المقدم على العارض المتغير، وإن لم يكن ثمة خلاف في هذا الباب بين القراء، وإنما هو عرض جار على اعتبار الأصل في جميع المسائل.

* * *

الخاتمة:

انتهى هذا البحث إلى جملة من القضايا موجزة فيما يأتي:

- أن العارض يأتي على صورتين: معنوي، وصوتي، فأما المعنوي فقد وجدناه عند النحويين، ولا يكاد يوجد عند القراء فيما اطلعت عليه؛ وهذا واضح في طبيعة المنهج عند القراء القائم على التلقي والرواية، أما الصوتي فقد برز بوضوح عند القراء، وأخذ جانباً مهماً من العرض والتحليل عند علمائهم.
- أن الغالب عند القراء عدم الاعتداد بالعارض.
- قرر القراء في هذا الباب أن الأصل في باب المد الاعتداد بالعارض، وفي باب الإمالة عدم الاعتداد بالعارض، وهذا على نحو أغلبي.
- أن غالب إشاراتهم لهذا الباب كانت فيما يخص أصول القراءة لا قرئتها.
- أن الاعتداد بالعارض فيه مخالفة للأصل، وإنما اعتد به لأنه مسموع ممن يجب الأخذ عنه، ولا يسوغ رده.
- فكرة الاعتداد بالعارض هي ضرب من ضروب القياس يحاول معه العلماء توجيه مخالفة الأصل.
- أن العارض يتقوى وبأخذ له محلاً من النظر والفكر اللغوي إن رجع إلى أصل معتبر وشائع، وهو ضعيف إن رجع إلى أصل مختلف فيه أو شاذ في القياس أو الاستعمال.
- اتبع علماء القراءات ما انتهى إليه التحليل النحوي في قضايا الاعتداد بالعارض وعدمه، فعندهم كما عند النحويين أن الأصل عدم الاعتداد بالعارض.
- أن كثيراً مما خرج عن الأصل واعتد فيه بالعارض إنما جاء لضروب من التخفيف الصوتي، ومراعاة السهولة في النطق.

* * *

المصادر والمراجع

- إبراز المعاني من حرز المعاني. أبو شامة. دار الكتب العلمية.
- إتحاف فضلاء البشر. أحمد بن محمد البنا. تحقيق: أنس مهرة. دار الكتب العلمية، لبنان. ط ٣.
- أسس علم اللغة. ماريوباي. ترجمة وتعليق: د/أحمد مختار عمر. عالم الكتب، القاهرة. ط ٨.
- الأصوات اللغوية. رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية. د/سمير شريف إستيتية. دار وائل، عمان. ط ١.
- الأصوات اللغوية. د/محمد علي الخولي. دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن. ١٩٩٠م.
- الأصوات اللغوية. د/عبد القادر عبد الجليل. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان. ط ١.
- الأصول في النحو. أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الإقناع في القراءات السبع. أبو جعفر أحمد بن البايش. تحقيق /د عبد المجيد قطاميش. مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى. ط ١.
- بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. الشيخ عبد الفتاح القاضي. دار الكتاب العربي. بيروت.
- التيسير في القراءات السبع. أبو عمرو الداني. تحقيق: اوتو تريزل. دار الكتاب العربي، لبنان. ط ٢.
- التهذيب. محمد بن أحمد أبو منصور الأزهرى، تحقيق /عبد السلام هارون، وآخرون. الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة.
- جامع البيان في القراءات السبع. أبو عمرو الداني. تحقيق مجموعة من طلاب جامعة الشارقة، الإمارات. ط ١.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
- حجة القراءات. عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. دار الرسالة.
- الحدود. علي بن عيسى الرمانى. تحقيق: د/إبراهيم السامرائي. دار الفكر، عمان.

- دراسة السمع والكلام، د/سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط١
- دراسة الصوت اللغوي، د/أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق/د أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرماي، الجامعة التونسية، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.
- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق / د شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، أبو القاسم علي بن عثمان القاصح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- شرح الشافية، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- شرح الفاسي على الشاطبية المسمى باللائ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي، تحقيق وتعليق: عبد الرزاق بن علي إبراهيم موسى، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.
- شرح كتاب سيويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله بن مالك الجباني، تحقيق عبد المنعم هريدي، مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.
- العقد النضيد في شرح القصيد، أبو العباس أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق د /أيمن رشدي سويد، دار أنوار المكتبات للنشر والتوزيع، جدة، ط١.
- علم الصرف الصوتي، د/عبد القادر عبد الجليل، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٨.
- العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د/مهدي المخزومي، ود/إبراهيم السامري، دار ومكتبة الهلال.

-غريب الحديث، حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ط ٢٠١٤هـ.

-فيض نشر الانشراح من ورض طي الاقتراح، محمد بن الطيب الفاسي، تحقيق د/محمود فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١.

-في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د/غالب فاضل المطليبي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤.

-في اللهجات العربية، د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦.

-قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين، ابن القاصح العُذري، تحقيق/إبراهيم بن محمد الجرمي، دار عمار، الأردن، ط١.

-الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق /درمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.

-اللباب في علل الإعراب والبناء، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.

-لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣.

-المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق / عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

-المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق /عبد الخالق عزيمة.

-مقدمة لدراسة اللغة، د/ حلمي خليل، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ط١.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

-مقدمات في علم القراءات، د/محمد أحمد القضاة، وآخرون، دار عمار، عمان، ط١.

-المنصف شرح تصريف المازني، أبو الفتح ابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وإبراهيم أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١.

-المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د/نوزاد حسن أحمد، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط١.



-النشر في القراءات العشر. ابن الجزري. تحقيق: محمد بن علي الضباع ، دار الكتب العلمية.
-نهاية القول المفيد في علم التجويد. محمد مكي نصر. تصحيح /الشيخ محمد علي الضباع. مطبعة
البابي الحلبي، القاهرة. ١٣٤٩هـ.
-المراجع الأجنبية :

-A Dictionary Of Linguistics And Phonetics.David Crystal . Blackwell . Fourth
Edition

* * *



- Ibn jinni, Abulfath.*Al-MunsifSharhTasrif Al-Mazini*.Ed. Ibrahim Mustafa and Ibrahim Amin. 1st ed. Cairo:Maktabat Al-Babi Al-Halabi, (n.d.).
- Ibn Manzhur, Muhammad Makram.*Lisan Al- 'arab*. 3rd ed. Beirut:Dar sadir, (n.d.).
- Khalil, Hilmi. *Muqaddimah li Dirasat Al-Lughah*. 1st ed. Dubai: Dar Al-Qalam, (n.d.).
- Masluh, Sa'adAbdulaziz.*Dirasat Al-Sam' wa Al-Kalam*. 1st ed. Cairo: 'alam Al-Kutub, (n.d.).
- Mujahid, AhamadMousa.*Al-Sab 'ah fi Al-Qira 'at*. Ed.ShawqiDhaif. 2nd ed. Cairo: Dar AL-Ma'arif (n.d.).
- Nasr, Muhammad Makki.*Nihayat Al-Qawl Al-Mufid fi 'ilm Al-Tajwid*. Ed. Muhammad Ali Al-Dhabba'. Cairo:Maktabat Al-Babi Al-Halabi, 1349AH.
- Sibawayh.*Al-Kitab*. Ed. Abdulsalam Harun. 3rd ed.Cairo:Maktabat Al-KhanjI, (n.d.).
- Umar, Ahmad Mukhtar.*Dirasat Al-Sawt Al-Lughawi*.Cairo:'alam Al-Kutub, (n.d.).
- Zanjalah, Abdulrahman Muhammad.*Hujjat Al-Qira 'at*. Ed.Sa'eed Al-Afghani. Dar Al-Risalah, (n.d.).
- _____. *Al-Muhkamwa Al-Muhit Al-A 'zham*. Ed. AbdulhamidHindawi. 1st ed.Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmyyah.

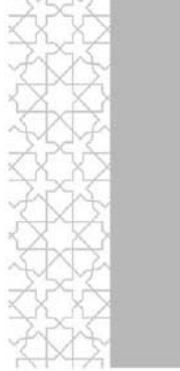
* * *

- Al-Qudhah, Muhammad Ahmad. *Muqaddimat fi 'ilm Al-Qira'at*. 1st ed. Amman: Dar Ammar, (n.d.).
- Al-Rummani, Ali'isa. *Al-Hudud*. Ed. Ibrahim Al-Samarra'i. Amman: Dar Al-Fikr, (n.d.).
- Al-Sayuti. *Bughyat Al-Wu'ah fi Tabaqat Al-Lughawiyinwa Al-Nuhah*. Ed. Muhammad Abulfadhl Ibrahim. Beirut: Al-Maktabah Al-'asriyah, (n.d.).
- Al-Sirafi, AbuSa'id. *Sharh Kitab Sibawayh*. Ed. Ahmad Hasan Mahdali, Ali Sayd Ali. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmyyah, (n.d.).
- Al-Sirri, Muhammd. *AL-Usul fi Al-Nahwu*. Ed. Abdulhusayn Al-Fatli. Beirut: Mu'assasat Al-Risalah, (n.d.).
- Al-'udhri, Al-Qasih. *Qurrat Al-'ayn fi Al-Fathwa Al-Imalahwabayn Al-Lfzayn*. Ed. Ibrahim Muhammad Al-Jarmi. 1st ed. Jordan: Dar 'ammar, (n.d.).
- Al-'ukbari, Abdullah Al-Husain. *Al-Lubab fi 'ilal Al-i'rabwa Al-Bina'*. Ed. Abdulilah Al-Nabhan. 1st ed. Damascus: Dar AL-Fikr, (n.d.).
- Anees, Ibrahim. *Fi Al-Lahajat Al-Arabyah*. 6th ed. Maktabat Al-Anjlu Al-Misriyah, (n.d.).
- Astitiyah, Sameer Shareef. *Al-Aswat Al-Lughawiyah: Ru'yah 'udhwiyahwa Nutqiyahwa Fizya'iyah*. 1st ed. Amman: Dar Wa'il, (n.d.).
- Bai, Mario. *Ausus 'ilm Al-Lughah*. Trans. Ahmad Mukhtar Umar. 8th ed. Cairo: Alam Al-Kutub, (n.d.).
- Cantineau, Jean. *Durus fi 'ilm Aswat Al-Arabyah*. Trans. Salih Al-Qirmadi. Tunisian University, (n.d.).
- Crystal, David. *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. 4th ed. Blackwell, (n.d.).
- Ibn Al-Jazari. *Al-Nashr fi Al-Qira'at Al-'ashr*. Ed. Muhammad Ali Al-Dhabba'. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmyyah, (n.d.).

- Al-Halabi, Al-Samin. *Al-Dur Al-Masun fi 'ulum Al-Kitab Al-Maknun*. Ed. Ahmad Al-Kharrat. Damascus: Dar Al-Qalam, (n.d.).
- Al-Halabi, 'isa Al-Babi. *Hashiyat Al-Sabban 'ala Sharh Al-Ushmunili Alfiyat Ibn Malik*. Dar Ihya' Al-Kutub Al-Arabiyyah, (n.d.).
- Al-Jiyani, Muhammad Abdullah. *Sharh Al-Kafiyah Al-Shafiyah*. Ed. Abdulmun'im Hareedi. 1st ed. Makkah: Umm Al Qura University, Markaz Ihya AL-Turath Al-Islami, (n.d.).
- Al-Khaleel, Ahmad. *Al-'ain*. Ed. Mahdi Al-Makhzumi, Ibrahim Al-Samiri. Dar wa Maktabat Al-Hilal, (n.d.).
- Al-Khattabi, Hamad Muhammad. *Ghareeb Al-Hadeeth*. Ed. Abdulkareem Ibrahim Al-Gharbawi. Dar Al-Fikr, 1402AH.
- Al-Khuli, Muhammad Ali. *Al-Aswat Al-Lughawiyah*. Jordan: Dar AL-Falah, 1990AD.
- Al-Mubarrid, Muhammad Yazeed. *Al-Muqtadhab*. Ed. Abdulkhalig Uzaimah. (n.p.), (n.d.).
- Al-Muttalabi, Ghalib Fadhil. *Fi Al-Aswat Al-Lughawiyah Dirasah fi Aswat Al-Mad Al-Arabyah*. Baghdad: Da'irat Al-Shu'un Al-Thaqafiyah wa Al-Nasher, 1984AD.
- Al-Qadi, Abdulfattah. *Al-Budur Al-Zahirah fi Al-Qira'at Al-'ashr Al-Mutawatirah*. Beirut: Dar Al-Kitab AL-'arabi, (n.d.).
- Al-Qaisi, Makki. *Al-Kashf 'anwujuh Al-Qira'at Al-Sab' wa 'ilalihawa Hijajiha*. Ed. Ramdhan Abdultawab. 3rd ed. Beirut: Al-Risalah Institution, (n.d.).
- Al-Qasih, Ali Uthman. *Siraj Al-Qari' Al-Mubtadi' wa Tidhkar Al-Muqri' Al-Muntahi'*. Damascus: Dar AL-Fikr (n.d.).

Sources and references

- Abduljalil, Abdulqadir. *Al-Aswat Al-Lughawiyah*. 1st ed. Amman: Dar Safa', (n.d.).
- Abushamah. *Ebraz Al-Ma'ani min HirzAl-Amani*. Dar Al-Kutub Al-'ilmiyah, (n.d.).
- Abduljalil, Abdulqadir. *'ilm Al-Sarf Al-Sawti*. Jordan:Azminah, 1998AD.
- Ahmad, Nuzad Hasan.*Al-Manhaj Al-Wasfi fi KitabSibawayh*. 1st ed. Benghazi:ManshuratQanYounis, (n.d.).
- Al-Astrabadhi, Muhammad.*Sharh Al-Shafiyah*. Ed. Muhammad Nur Al-Hasan.Beirut:Dar Al-Kutub Al-'ilmyyah, 1395AH.
- Al-Azhari, Muhammad Ahamd.*Al-Tahdhib*. Ed.Abdulsalam Harun.Cairo: Al-Dar Al-Misriyah, (n.d.).
- Al-Badhish, Ahmad.*Al-Iqna' fi AL-Qira'at Al-Sab'*. Ed. AbdulmajidQatamish. 1st ed. Makkah: Umm Al Qura University,MarkazIhiya AL-Turath Al-Islami, (n.d.).
- Al-Dani, Abu'amr.*Jami' Al-Bayan fi Al-Qira'at Al-Sab'*. Ed. A group of SharijaUniversity Students. 1st ed. (n.p), (n.d.).
- Al-Fasi, MuhammadAl-Hasan.*FaydhNashr Al-Inshirah min WardhTayy Al-Iqtirah*. Ed. Mahmud Fajjal. 1st ed. Dubai:Dar Al-Buhuth, (n.d.).
- Al-Fasi, MuhammadAl-Hasan.*Sharh Al-Fasi 'la Al-ShatibiyahAlmussama bi Al-La'ali' Al-Faridah fi Sharh Al-Qasidah*. Ed. AbdulraziqAli Mousa. 1st ed. Riyadh:Maktabat Al-Rushd, (n.d.).
- Al-Fayyomi, AhmadMuhammad.*Al-Musbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir*.Beirut:Dar Al-Kutub Al-'ilmyyah,(n.d.).
- Al-Halabi, AhmadYousef.*Al-'aqd Al-Nadhid fi Sharh Al-Qasid*. Ed. Ayman Rushdi. 1st ed.Jeddah:Dar Anwar Al-Maktabat, (n.d.).



Phonetic Aspects of Considering or not-Considering *Al-'aridh* in the Recitation of the Qur'an Presentation and Analysis

Dr. Abdullah Fahd Al-Dossary

Department of Syntax, Morphology and Philology,
College of Arabic Language
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This study deals with phonetic aspects related to the considering or non-considering of *Al-'aridh* in Qur'an reciting. The study discusses *Al-'aridh* issue in syntax, giving a brief explanation of the semantic aspect and detailed explanation of the pronunciation aspect.

It also gives some examples to clarify the rules that scholars use to explain what the reciters do and the impact of the rules of the voice in this matter, especially the rule of the facilitation of pronunciation, explaining it in a clear way. The study also states scholars' opinions on the difference between the reciters in relation to considering or not considering *Al-'aridh*.

The researcher relied on the results of modern phonetic studies in describing some phonic phenomena using these studies in phonetic analysis when needed.

The researcher relied on the results of the modern phonic study in describing some phonic phenomena using this study in phonic analysis, when needed.





حقيقة العَلم المختوم بـ(ويه) وأحكامه النحوية تحليل صوتي دلالي نحوي

د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



—

حقيقة العَلَم المختوم بـ(ويه) وأحكامه النحوية تحليل صوتي دلالي نحوي

د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يتناول البحث كلمة (ويه) تأصيلاً صوتياً دلالياً، والأحكام النحوية للأعلام العربية التي لَحِقَتْ بها، وخلصت الدراسة إلى أنّها كلمة أعجمية فارسية في الأصل، ثم تصرف فيها العرب فعربّوها على صور صوتية متعددة، وأجروا عليها أحكام الاسم العربي، وألقوا الأعلام التي خُتِمَتْ بها بالمركب المزجي، فأجروا عليها أحكام المركب المزجي من جهة التركيب والبناء والإعراب والحكاية، والتثنية والجمع، والترخيم والتصغير والنسبة، مع شيء من الخصوصية لها استصحاباً لأصلها العجمي، ولفظها الصوتي، وتركيبها المزجي.



تقدمة:

الحمد لله صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن لاحقة (ويه) التي ختمت بها بعض الأعلام اتفق أهل العلم على أنها في أصلها أعجمية فارسية، ولكن العرب نقلتها إلى لسانها فنطقت بها واستعملتها، بسبب اختلاط أهلها بالعرب حتى تعرّب كثير منهم، فصاروا جزءاً من العرب، فاستعملوها استعمالاً عربياً، كما فعلوا في سائر الألفاظ التي نقلوها وعربوها، وكان من سنن العرب في هذه الألفاظ الأعجمية الأصل أن يتصرفوا فيها بما يوافق اللسان العربي، ويخضعوها لقوانين العربية، لتوافق لغتهم ويسهل عليهم نطقها وتجري بها ألسنتهم، وأمثلة ذلك كثيرة لا تكاد تُحصى، كما ذكر جمع من علماء العربية كأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني وأبي منصور الجواليقي الذي خصص كتابه (المعرب) لهذا الغرض، وغيرهم.

وقد كنت يوماً في مجلس علمي جرى فيه الحديث عن هذه اللفظة والأعلام التي لحقت بها، فكثر الخلاف وتنوّعت الآراء دون حصول نتيجة تُذكر، فجعلتُ أبحث عن خصصها بالكتابة والبحث، فلم أظفر بشيء شافٍ، فعندئذ انتدبت للبحث فيها، وفي أثناء جمع شتات الدراسة وتنظيمها بعد مضي سنة كاملة، علمتُ أن مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية قد نشر بحثاً في الموضوع نفسه، للباحث فيه يوسف الأشبح عنوانه: "العلم المختوم بـ(ويه) دراسة استقرائية تحليلية شرعية لغوية تاريخية أدبية" فطالعتُه فألفيته وافياً مفيداً، فكدتُ أصرف النظر عن مشروعي، ولكن تبين لي بعد التأمل أنه لم يتجه اتجاهي، ولم يقصد إلى ما قصده، فقد كان بحثه جمعاً لكل شيء يتعلق بلفظة (ويه) وأما الدراسة النحوية التي هي صلب دراستي أنا فلم تحطْ منه إلا بشيء يسير جداً، لا يغني شيئاً عما يحتاجه القارئ المتخصص، فبدا لي الاستمرار في البحث مُخَصِّصاً الجانب التأصيلي لهذه اللاحقة صوتاً ودلالةً ونحواً، مقتصراً على ما يؤدي هذا الغرض من المناقشة والتحليل والنقول. والله أسأل الإعانة والتوفيق.

تَصْرُفُ الْعَرَبِ فِي الْكَلِمَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ

من عادة العرب أنهم إذا نقلوا علماً من الأعلام الأعجمية إلى لغتهم تصرفوا فيه، فعربوه وجعلوه بطريقة يوافق بها قوانين العربية، ولا سيما ما يتعلق بطريقة النطق، وتقريب الأصوات الأعجمية إلى العربية بضرب من ضروب التقريب الصوتي، وقد يتطلب ذلك تغييراً في الأصل الذي كان عليه الاسم الأعجمي؛ بالحذف والقلب والإبدال والتحريك والتسكين والزيادة، ونحو ذلك من ضروب التغيير الصرفي؛ لتكون الكلمة وفق النطق العربي، وهذا إجراء ملحوظ باستقراء ما جاء في كلام العرب من ألفاظ ذوات أصول أعجمية.

قال ابن جني: "فإن قلت إنَّ (مريمَ ومَدِينَ) اسمان أعجميان، وليسا عربيين، فمن أين أوجبتَ فيهما ما هو للعربي؟ قيل هذا موضع يتساوَى فيه القبيلان معاً، ألا ترى أنهم حملوا (موسى) على أنه (مُفْعَل) حملاً على العربي كما حملوا (الموسى) الحديد على ذلك؟ فلم يخالفوا بينهما...."^(١) ومثّل بأمثلة أخرى لذلك، ثم قال: "لكنهم يفرقون بينهما في تجويز الاشتقاق في العربي، ومنعهم إياه في الأعجمي المعرفة، ويفصلون أيضاً بين العربي والعجمي في الصرف وتركه، نَعَمْ ويعتدُّون أيضاً بالعُجْمَة مع العلمية خاصة، فأما الأصول من الحروف بالصحة والإللال فإنهم لا يفرقون بينهما، ألا تراهم إذا خالف لفظُ الحرف الأعجمي الحروفَ العربيةَ جذَّبوه إلى أقرب الحروف من حروفهم التي تليه، وتقرب من مخرجه؟..."^(٢) وذكر أمثلة لذلك ووضحه.

وأكد هذه الحقيقة العلامة أبو منصور الجواليقي (٥٤٠ هـ) أيضاً، في مؤلفه الذي خصه للمعرَّب من الكلام الأعجمي، ومما ذكره فيه قوله: "اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من

(١) المبهج ص ٥٧

(٢) السابق نفسه.

حروفهم إلى أقربها مخرجاً، والإبدال لازم، لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم، وربما غيَّروا البناءَ من الكلام الفارسيّ إلى أبنية العرب، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن، وربما تركوا الحرفَ على حاله لم يغيِّروه^(١) وضرب لذلك مثلاً كثيرة.

ولهذا عدَّ العلماءُ ما نقلته العرب من الأسماء الأعجمية فتصرفت فيه ونطقت به على وَفْق الألفاظ العربية وأقيستها عربياً، ومن هذا النوع من الألفاظ الكلمات الموجودة في القرآن مما كان أصله من كلام غيرهم، فتكلموا به ولفظوا به على وَفْق ما تسمح به سجاياهم اللغوية، ثم نزل القرآن به كذلك، والقرآن عربيٌّ مُحضٌ، فدل ذلك على أن تلك الكلمات صارت من جملة الكلام العربي بنطق العرب لها واستعمالها وفق سلاقتهم اللغوية، وذكر هذا غير واحد من العلماء^(٢).

ولأجل هذا الإجراء المتبع عند العرب في تعاملهم مع الأسماء الأعجمية نقم الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على مجمع اللغة العربية بالقاهرة إجازتهم إقراراً للأسماء الأعجمية وإبقاءها في النطق العربي على أصولها عند أهلها، ومما قاله رحمه الله: "والقارئ لقرارات الأعلام التي أقرها المجمع، يرى فيها معنىً واحداً يجمعها، وروحاً واحداً يسيطر عليها؛ الحرصُ على أن ينطق أبناء العربية بالأعلام التي ينقلون إلى لغتهم بالحروف التي ينطقها بها أهلها، وقَسْر اللسان العربي على ارتضاح كل كنة أعجمية لا مثال لها في حروف العرب" وبين ما يترتب على ذلك من المفاسد، وأنه خلاف سنن

(١) المعرَّب من الكلام الأعجمي ٥٤.

(٢) انظر: الارتشاف لأبي حيان ٤٣٨/١، والمزهر للسيوطي ٢٦٩، ٢٦٨/١.

العرب فيما ينقلونه من الكلام الأعجمي، ذكر ذلك في تقدّمه لتحقيق كتاب المعرب للجواليقي ضمن مقالة سماها: "كلمة في تعريب الأعلام"^(١).

وفصل في المسألة ثم انتهى إلى أن المستفاد من النظر في الأعلام التي وردت في القرآن الكريم الذي هو الأوثق نقلًا أن تلك الأعلام "تُنقل إلى العربية مغيّرةً في الحروف والأوزان، إلى حروف العرب وحدها، وإلى أوزان كَلِمِهِم أو ما يقاربها، وأنها لا تُنقل أبدًا كما ينطقها أهلها"^(٢).

وما ذكره الشيخ أحمد شاكر رحمه الله هو الموافق لما تقدم من النقول عن أئمة اللغة كابن جني والجواليقي وأبي حيان وغيرهم، خلافا لما يسعى إليه كثير ممن تأثر بالثقافات الأعجمية، الذين أرادوا إخضاع العربية لتلك الثقافات ولغاتهما، واتخذوا قوانين العربية وراءهم ظهريًا! وتناسوا أن المحافظة على اللغة تقتضي الالتزام بأصواتها وطرق نطقها ودلالاتها كما هي عند أهلها الخُصّ.

ومن يتتبع تطورات كلمة (ويه) هذه الملحقة بالأعلام يجد أن العرب قد تصرفوا فيها على مقتضى قوانين العربية، حتى صارت إلى ما نجده الآن في النطق، مصداقا لما قاله الشيخ أحمد شاكر ومَن سبقه من علماء العربية رحمهم الله، وسيتبين ذلك في المباحث الآتية إن شاء الله.

* * *

(١) مقدمة كتاب المعرب ص ١٨.

(٢) مقدمة المحقق لكتاب المعرب ص ٢٠.

أصل الكلمة وأوجه النطق بها

وباستقراء ما كتبه علماء العربية عند تناولهم لأحكامها، وأوضاع نطقها التي استقر الناس عليها، نجد لها الصُورَ اللفظية والأصول الآتية:

الصورة الأولى: (وَهْ) أَنَّ أَصلها الأول واو مدية مضموم ما قبلها بعدها هاء ساكنة، ثم بعد ذلك زيدت عليها الياء قبل الهاء في الاستعمال العربي لها. قال السيرافي (٣٦٨هـ) في (عَمَرَوِيَّه): "هو في كلام العجم على غير هذا اللفظ، إنما هو (عَمَرُوَهْ) وإنما هو زيادة صوت على (عَمَرُو) المعروف في كلام العرب، فغَيَّرُوا لفظ الصوت والصوتية مبقاة، لأن أصوات العرب بالبهايم وغيرها تخالف أصوات العجم، كما اختلفت سائر ألفاظهم..."^(١) ذكر السيرافي ذلك شرحاً لقول سيبويه (١٨٠هـ): "وأما عَمَرَوِيَّه فإنه زعم أنه أعجميٌّ، وأنه ضربٌ من الأسماء الأعجمية، وألزموا آخره شيئاً لم يُلْزَم الأعجمية..."^(٢) وقول سيبويه "زعم" يريد به شيخه الخليل، و"زعم" بمعنى (قال)، وتأتي أهمية مقولة السيرافي السابقة في كونه أحد أعلام النحو العربي، وكونه فارسي الأصل، ولا يُستبعد أن يكون خبيراً بلغة قومه.

وبناءً على هذه الرواية تكون هذه الكلمة في أصلها الفارسي عبارة عن لاحقة مكونة من ضمة طويلة بعدها هاء ساكنة، بدون ياء بينهما، وهذا يوافق لاحقة (أوف) التي نجدها الآن شائعة في الأمة الروسية وأجناسها وما يخضع لها، مثل: لافروف، ومسخادوف، وأحمدوف، وماركينوف.... ونحو ذلك، يأتون هاهنا بالفاء الساكنة بعد الضمة الطويلة، مكان الهاء الساكنة بعد الضمة الطويلة هناك، ويلحقونها بأي اسم من أسمائهم الأعجمية أو العربية، فلما استعملها العرب تصرفوا فيها بزيادة الياء قبل

(١) شرح السيرافي لسيبويه ٦٧/٤.

(٢) سيبويه ٣٠١/٣.

الهاء، وقلب الضمة الطويلة واوًا للمجانسة الصوتية بين الواو والضمة وفتحوا الواو، لتصير الكلمة إلى صوت عربي وهو: (وَيْه).

وقد سألت شيخًا من تلك البلدان اسمه: (عبد الحفيظوف) فقلت له: أنت اسمك: عبد الحفيظ، فما هذه اللاحقة؟ فقال هذه سُنَّةُ تلك البلاد، يجعلون هذه اللاحقة مضافة إلى كل عَلمٍ من الآدميين وغيرهم للدلالة على أنه تبعٌ لهم، وهي بمنزلة ياء النسب في العربية، هكذا ذكر لي هذا الشيخ، ثم قلت له فما معنى كلمة (ويه) التي نجدها في الأعلام منذ قديم؟ فقال هذه مثلها، وهي متصرفٌ فيها، والأصل فيها: (أوه) بمعنى ياء النسب، للدلالة على الانتماء إلى الشيء المسمى بهذا الاسم.

وهذا الذي ذكره هذا الشيخ موافق تمام الموافقة لما تقدم نقله عن العلامة أبي سعيد السيرافي رحمه الله في شرحه لكلام سيبويه، وهو الوجه الموافق لما نجده من الأعلام المختومة بهذه اللاحقة، غير أن العرب تصرفوا فيها بأوجه أخرى على ما تقتضيه سلاتقهم، كما سيأتي.

ولكن تشبيهها بياء النسب في اللغة العربية ينبغي أن ينظر فيه إلى ما سيأتي من أنها نوع من الإضافة المقلوبة، وأن ذلك شيء مُلتَمَس من جهة عموم الدلالة، لا على طريقة النسبة العربية، فإذا قيل (عبد الحفيظوف) فمعناه: هذا الاسم منسوب لهذه الأمة التي تكون النسبة لها بلاحقة (أوف) ومثله (سيبويه) بمعنى المنسوب إلى (سيب) بهذه العلامة.

الصورة الثانية: (وَيْه) واووا مفتوحة بعدها ياء وهاء ساكنتان، وتحرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين^(١)، كما هو شأن سائر الأصوات العربية المشابهة، وجاءت هذه اللفظة ونطق بها العرب على ما يوافق وزن المصغَّر من الكلمات العربية، نحو: مَوَيْه، في تصغير

(١) انظر: المغني في ضبط أسماء الرجال ص ١٠٨

الماء^(١)، وصورة آخر المثنى المنصوب والمجرور من بعض الكلمات عند إضافتها لهاء الغائب، نحو: أَخَوَيْهِ، وَأَبَوَيْهِ... وجاءت في العربية أيضًا بفتح الواو، والهاء اسمَ فَعْلَ بمعنى الحثِّ والتحريض^(٢)، وبمعنى الإغراء والنداء، قال الخليل: "وَيْهَ منصوبة؛ إغراء، يقال: وَيَهْ فلانٌ أَضْرِبْ"^(٣)، وقال ابن سيده (٤٨٥ هـ): "وَيْهَ؛ إغراء، ومنهم مَنْ يَنْوِنُ فيقول: وَيْهًا..."^(٤)

ويقال عند التنكير: وَيْهًا يا فلان، و: واهًا، قال الشاعر:

وهو إذا قيل له وَيْهًا كُلُّ فإنه مُواسِكٌ مُسْتَعِجِلٌ
وهو إذا قيل له وَيْهًا فُلُّ فإنه أَحَجُّ به أن يَنْكُلُ^(٥)

وقال ابن درستويه (٣٤٧ هـ): "وأما (وَيْهَ) بالواو فمفتوحة الأول؛ لأن الكسرة تُسْتَقْلَ في الواو، وهي موضوعة للإغراء والتحريض على الشيء، والهاء مبنية على الفتح لا غير، إلا أنها تُسْتَعْمَلُ منونةً وغير منونةٍ، قال الشاعر:

* وَيْهًا يَزِيدُ وَوَيْهًا أَنْتَ يَا زُفَرٌ *"^(٦)

(١) انظر: العين ١٠١/٤

(٢) انظر اللسان مادة (ويه)

(٣) العين ١٠٦/٤، ومراده بالنصب الفتح، وقد كان علماء العربية في بداية الأمر يعبرون عن الفتح بالنصب وعن الضم بالرفع، وعن الكسر بالجر والخفض، وعن السكون بالوقف والجزم، وكل ذلك صحيح، لأن ألقاب الإعراب في أصلها نعتون لعضو النطق في حال التصويت بالحركة، فالنصب ناتج عن انفتاح التجويف الفموي عند التصويت بالفتحة، والرفع هورفع الشفتين عن مكانهما عند التصويت بالضم وإخراجه... وهكذا.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٤٥٤/٤.

(٥) انظر: إصلاح المنطق ٢٩٢، وشرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ٥٠٤، وقوله: (فُلُّ) معناه: يا فلان، و: (أَحَجُّ) بمعنى أخلِّقُ به فهو جدير بأن يفعل ما قيل له، و: (يَنْكُلُ) يتأخر ويجبن، يصفه بأنه إذا دُعِيَ للأكل استعجل وأقبل، وإذا دُعِيَ للدفاع والنجدة أحجم وأعرض من جبنه. (انظر اللسان مادة "ويه")

(٦) تصحيح الفصح وشرحه ص ٢٤٧.

ويُستفاد من هذا أن النطق بهذه الكلمة بفتح الواو وسكون الياء هو النطق الأقرب إلى العربية، وهو الأليق بتعريبها؛ من جهة المشابهة الصوتية فحسب، ولا يعني ذلك أن (ويه) الأعجمية منقولة من (ويه) العربية، ولكننا نقول إن العرب ضبطوا نطقها بما يشبه اللفظ العربي، ومن هنا قال ابن النحاس الحلبي (٦٩٨ هـ): "ولم أرَ أحداً ذكر أن (ويه) هنا منقولة من التي هي اسم فعل، لأن تلك مبنية على الفتح، و(عَمَرَوِيْه) إذا بُنيَ فعلى الكسر"^(١)، وهذا يؤكد كونها أعجمية، ولكن حُمِلت على (وَيْه) العربية لمشابتها لفظاً، فأعطيت بعض ما لها من الأحكام، وقال الهندي (٩٨٦ هـ): "رَأَدَوِيْه: بزاي وذل معجمة وواو، مفتوحتين، وسكون مثناة تحت، وكسر هاءٍ، رجل خارجي من بني العنبر..."^(٢) فنصّ على هذا الضبط.

و(وَيْ) وحدها بدون هاء صوت يقال عند التوجّع، أو التعجب^(٣)، أو الحزن، أو الوعيد، أو التهديد، أو الدعاء على شيء، نحو: وَيْ لفلان، و: ويلَ الشيطان، أو: وَيْ للشيطان، و: وَيْ لِمَ فعلتَ كذا وكذا؟^(٤)، وقد يؤتى بالحاء أو الباء أو اللام أو السين بعد الواو بدلا من الهاء، فيقال: ويلٌ، و: وَيْبٌ، و: وَيْحٌ، و: وَيْسٌ، وكلها مشهورة في كلام العرب^(٥).

و(وَيْه) هذه هي أشهر أوجه النطق بهذه اللفظة عند العرب، غير أنهم يكسرون الهاء لالتقاء الساكنين، فيقولون: سَيَبَوِيْه، واختار الضبط على هذا الوجه عامة علماء اللغة، قال ابن خلكان (٦٨١ هـ) رحمه الله: "سيبويه: بكسر السين المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح الباء الموحدة والواو، وسكون الياء الثانية، وبعدها هاء

(١) شرح المقرب المعروف بـ (التعليقة) ١٠٥١/٢.

(٢) المغني في ضبط أسماء الرجال ص ١١٧.

(٣) انظر: الإيضاح في شرح المفصل ص ٢٩٢.

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلام الناس لابن الأنباري ١٣٧/١.

(٥) انظر: الزاهر ١٣٨/١ - ١٣٩.

ساكنة، ولا يقال بالتاء البتة، وهو لقب فارسي...هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره، مثل نَفْطويه وعمرويه وغيرهما....^(١)

قوله: "ولا يقال بالتاء البتة" يريد أن العرب لا ينطقون هذه الهاء الأخيرة تاء فيقولوا: سيبيوية، يخبر عن المعهود في الاستعمال، ولكن لا يمنع ذلك من أن تكون هذه الهاء في أصلها مبدلة عن تاء في بعض طرق استعمالها، كما سيأتي.

وقال السيوطي رحمه الله: "وفي فوائد رحلة ابن رشيد: مذهب النحويين في هذا وفي نظائره: فتح الواو وما قبلها، وسكون الياء، ثم هاء..."^(٢)

ومما ينتمي إلى هذا النوع من الضبط لهذه اللفظة وقد يدل على تاريخها الأعجمي العتيق: ورود بعض الأعلام الفارسية في أزمان الجاهلية القديمة بهذا الاسم، وقد ضُبِطَتْ جميعاً بهذا الضبط، منها: العالم الفارسي المتطبِّب الوارد في كتاب (كليلة ودمنة): بَرَزَوِيَه وصاحبه: أدَوِيَه^(٣)، وغيرهما كشيرويه الملك الفارسي.

الصورة الثالثة: (ويه) وبواو مكسورة بكسرة طويلة ثم هاء ساكنة، فيقال: سيبيويه وعمرويه وراهويه، وهو نوع من تصرف الناطقين في (ويه) السابقة، وسبب هذا نزوع حركة الواو إلى مجانسة الياء بعدها، فكُسِرَتْ لأن الكسرة هي الحركة المجانسة للياء، وذلك أسهل أداءً على أعضاء النطق، وهذا معروف باستفاضة على السنة الناطقين، للمجانسة الصوتية، ومنه قولهم: عليه وإليه وعليك ولديه...ونحو ذلك، للسبب نفسه. ولأجل هذه المجانسة الصوتية قرئ في القراءات القرآنية المتواترة بكسر ما قبل

(١) وفيات الأعيان ٤٦٥/٣.

(٢) تدريب الراوي ٤٠٠/١.

(٣) انظر: كليلة ودمنة ص ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٥٣. وقد شكك بعض المعاصرين في صحة ما ورد في هذا الكتاب من الأسماء من هذا النوع، بناءً على ضعف روايته وترجمته، وعدم توثيق ابن المقفع الذي ترجمه للعربية، والله أعلم.

الياء في كلمات من نحو: (عيون، وغيوب، وشيوخ، وبيوت، وغيوب ..) ^(١) وكذلك قرئ فيها (عَسَيْتُمْ): عَسَيْتُمْ، بكسر السين المفتوحة ^(٢) لأجل الياء بعدها.

الصورة الرابعة: (وَيْه)، أي بواو مدية مسبوقة بضمة، وبعد الواو ياء مفتوحة فهاء ساكنة ^(٣)، وهذا الوجه ورد في بعض الأقوال أنه النطق الفارسي لهذه اللفظة، والفرق بينه وبين الوجه الأول هو خلو الأصل المنسوب إلى العجم من الياء في الأول، وتحريك الواو فيه بالفتح، لتوافق بعض الأصوات العربية، كما تقدم، قال ابن خلكان: "والعجم يقولون: (سَيَّوِيَه) بضم الباء الموحدة، وسكون الواو، وفتح الياء المثناة بعدها؛ لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة (وَيْه) لأنها للنذبة" ^(٤).

قوله: "لأنها للنذبة" مراده أنها للنذبة عند العرب بهذا اللفظ، فتحاشوا اللفظ العربي؛ لأنه يؤدي إلى هذا المعنى، واختاروا طريقة النطق باللسان الأعجمي لأنها لا تؤدي إلى ذلك المعنى، وهذا احتمال ظني، وليس بقطعي؛ لما سيأتي.

وقال السيوطي رحمه الله: "وفي فوائد رحلة ابن رشيد: والمحدثون يَنحَوْنَ به نحو الفارسية، فيقولون: هو بضم ما قبل الواو، وسكونها وفتح الياء، وإسكان الهاء، فهي هاء على كل حال، والتاء خطأ" ^(٥). فحكم على هذا الوجه (وَيْه) بأنه شبيه بالنطق الفارسي، إن لم يكن هو بعينه، ونسب للمحدثين اختياره، وعلل ذلك بما ذكره عن الحافظ أبي العلاء العطار أنه قال: "أهل الحديث لا يحبون (ويه)" ^(٦).

(١) انظر السبعة لابن مجاهد ١٧٨.

(٢) انظر السبعة لابن مجاهد ١٨٦.

(٣) انظر: المغني في ضبط أسماء الرجال ص ٤٣، ١٠٨، ١٤٦.

(٤) وفيات الأعيان ٤٦٥/٣.

(٥) تدريب الراوي ١/ ٤٠٠.

(٦) السابق نفسه.

وممن ذكر ذلك الصَّفَدِيُّ (٧٦٤هـ) معلقاً على قول ابن بسام - وسيأتي - "نَفْطُويَّة" فقال الصَّفَدِيُّ: "أستغرب ما وقع من ابن بسام! وهذه عادة المحدثين، فإنهم لا ينطقون بهذه الأسماء التي أخرها (ويه) إلا على هذه الصيغة - ما خلا إسحاق بن راهويه فإنهم لا يقولون إلا إسحاق بن راهويه بفتح الواو وسكون الياء - على أنه اسم صوت فرأوا التجنب من التلظ بلفظة (ويه) فيقولون: سيَّبُوِيَه وحَمُّوِيَه وزَنْجُوِيَه ودرستُوِيَه^(١) والكراهة المشار إليها مبنية على أمرين اثنين: الأول: كون كلمة (ويه) قد تُستعمل صوتاً عند الندب والحزن والجزع على مصيبة من المصائب، كما تقدم. والثاني: ما يروى عن بعض الصحابة والتابعين من أن: "ويه اسم شيطان"^(٢). وهذه الكراهة مردودة من ثلاثة أوجه:

الأول: أن هذا من الأمور التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحي، وليس مما يتوصل إليه بالنظر والاستنباط، ولم يصح فيه شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ورد فيه عن بعض السلف - مع ضعفه وعدم اليقين بثبوته عنهم - ليس فيه دليل على رفعه^(٣)، ولذلك لا ينبغي الاحتجاج به علمياً.

والثاني: أن المعنى الأصلي لهذه اللفظة قد أُزيل وامحى بعد التركيب بالعلمية^(٤)، فلا اعتبار له، بل المعتبر مجموع اللفظين بما صاراً علماً عليه.

والثالث: أن (ويه) هذه لا تُستعمل مفردة إلا صوتاً، والصوت ليس له دلالة مركبة في أصله، وإنما هو صوت ساذج خالص، لا يراد به الإخبار عن شيء، وإن فهم ما يدل عليه عند

(١) الوافي بالوفيات ١٣١ / ٦.

(٢) عزاه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٧٠٨ لأبي عمرو النوقاني في (معاشرة الأهلين) له، من قول الصحابي ابن عمر، وعن التابعي إبراهيم النخعي، وكذا ذكره السيوطي في الدرر المنتثرة ص ٤١٦، وابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث ص ٢٩٣، والبيروتي في أسنى المطالب ص ٥١٨، وغيرهم.

(٣) انظر ما ورد من المراجع في الحاشية السابقة.

(٤) انظر شرح الكافية للرضي ٣ / ٣٥٧.

سماعه، ولكنها دلالة طبيعية غير وضعية، وهذه الدلالة هي جريان العادة على أن الإنسان إذا صدر منه هذا الصوت فهم من ذلك أنه متألّم أو متعجب أو متندم أو حزين، ونحو ذلك، من غير قصد لتوجيه خطاب أو إدلال على شيء ما^(١)، فلما انتفى استعمالها لفظاً لقصد هذا المعنى تعين عدم دلالتها عليه مركبة.

ومما يستدل به على هذا الضبط لهذه اللفظة مع استبعاد ذلك المعنى، وجود بعض الأعلام التي نصّ على ضبطها بهذه الطريقة دون ملاحظة لدلالة ما، ومنها مدينة "بَرْزُويَه" الشامية، وقد نصّ ياقوت الحموي رحمه الله على ضبطها بفتح الباء وضم الزاي، وسكون الواو، وفتح الياء، هكذا: "بَرْزُويَه"^(٢)، قال: "والعامّة تقول: بَرْزَيَه"^(٣)، وهذا الأخير من باب تخفيف النطق، والقياس فيه: بَرْزَاه، لتحرك الياء وانفتاح ما قبلها.

وذكر النووي (٦٧٦هـ) رحمه الله في ترجمة (حربويه) أنه بفتح الباء الموحدة والواو، وسكون الياء ثم هاء، وأنه يقال: بضم الباء مع إسكان الواو وفتح الياء، ثم قال: "ويجري هذان الوجهان في نظائره: كسيبويه، ونفطويه، وراهويه، وعمرويه، فالأول مذهب النحويين وأهل الأدب، والثاني مذهب المحدثين"^(٤)، ونصّ على هذا الوجه أيضاً ابن خلكان في ترجمته للإمام ابن متويه الواحدي صاحب التفاسير المشهورة، فقال: "ومتَّويَه: بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وضمها وسكون الواو وبعدها ياء مفتوحة مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة"^(٥).

(١) انظر لهذا: الإقليد ٩٤٥/٢.

(٢) معجم البلدان ٣٨٣/١.

(٣) السابق نفسه.

(٤) نقله عنه السيوطي في تدريب الراوي ٤٠١/١، وعزاه محققه إلى تهذيب الأسماء واللغات ٢٥٨/٢.

(٥) وفيات الأعيان ٣٠٤/٣.

وقال الهندي (٩٨٦هـ): "شَيرويه - بكسر معجمة، وسكون تحتية، وضم راء، وسكون واو، وبتحتية - ابن برويز"^(١)، وذكر في (زادويه) أنه: "بزاي وذال معجمة وواو مفتوحتين، وسكون مثناة تحت، وكسر هاء"^(٢)، فنص على الضبطين المذكورين، غير أنه اقتصر على واحد لكل عَلم، كما ذكر ابن خلكان فيما سبق، ومنه قوله في (بويه): "وَبُويَهْ: بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة"^(٣) وقوله في (شاهويه): "وَشَاهَوِيَهْ: بالشين المعجمة وبعد الألف هاء مفتوحة ثم واو مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة، وهواسم عجمي مركب"^(٤)

كل هذه النقول وغيرها مما وقفنا عليه تدل على شيوع هذين الضبطين لهذه اللفظة، وهما: (وِيَهْ) و(بُويَهْ) غير أن بعض القواعد اللغوية التي تقدم ذكرها تضعف النطق الثاني المنسوب لبعض المحدثين، لمخالفته لما يقتضيه القياس التصريفي، ولكون الكلمة مركبة مع ما قبلها تركيباً مزجياً، يلزم منه فتح آخر المركب الأول، وآخره هو الحرف الذي يسبق واو(ويَهْ) وعندئذ يلزم تحريكها، وسيأتي ذلك مفصلاً في مبحث (التركيب). الصورة الخامسة: أن الأصل فيها: (بُويَهْ) بالتاء، ثم وقف عليها بإبدال التاء هاءً قياساً على ما هو معروف في العربية، فصارت إلى (بُويَهْ) فهذا الوجه والذي قبله شيء واحد، وكان القياس هنا أن تُقلب الواو ياء ثم تُدغم الياء في الياء، فيقال: بِيَهْ، نحو طَوِيَهْ طَيًّا، وأصله: (طَوِيًّا) فلما اجتمعت الواو والياء وسكنت الأولى قلبت الواو ياءً ثم أُدغمتا ف قيل: (طَيًّا)^(٥) وكذلك لو تقدمت الياء على الواو نحو (قَيِّوم) وأصله (قَيُّووم)^(٦) ولكن

(١) المغني في ضبط أسماء الرجال للهندي ص ٦٤.

(٢) المغني في ضبط أسماء الرجال للهندي ص ١١٧.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٧٦.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢١١.

(٥) المنصف ٢/ ١٦٠.

(٦) انظر: التذييل والتكميل ٢/ ٣١٤.

خولف هذا القياس هنا لكون الكلمة عَلمًا، قال ابن جني (٣٩١هـ): "والأعلام قد يعرض فيها ما لا يوجد في غيرها" وضرب لذلك أمثلة^(١)، منها: حَيَوَة، وَمَزِيد ... والقياس: حَيَّة، وَمَزَاد...

المراد بالقياس هنا ما تقدمت الإشارة إليه مما هو مطرّد في اللغة العربية من أنه إذا اجتمعت الواو والياء في كلمة وسكنت الأولى منهما ولم تكن عارضةً، قُلِبَت الواو ياءً، ثم أُدْغِمَت الياء في الياء، نحو: لَوَيْتَ لَيَّةً وطَوَيْتَ طَيًّا، وأصله: لَوِيًّا وطَوِيًّا^(٢)، ومنه: سَيِّد ومَيِّت، على أن أصله: سَيُود ومَيُوت، فإذا كانت الكلمة عَلمًا احتُمِلَ فيها هذا فبقيت من غير قلب ولا إدغام، لمكان العَلَمِيَّة، كما قالوا: رجاء بن حَيَوَة، فلم يغيروه ويقولوا: حَيَّة، لأنه عَلم^(٣).

قال الهندي: "حَمُويَة بن أحمد: بمفتوحة وشدة ميم مضمومة، وفتح مثناة تحت"^(٤)، وقال ياقوت الحموي في (نِفْطُويَة): "وقد صَيَّرَه ابن بَسَّام (نِفْطُويَة) بضم الطاء وتسكين الواو، وفتح الباء، فقال "فساق أبياتا هجائية فيه، والشاهد فيها أن الشاعر قال: "إن كان نِفْطُويَة من نسلي"^(٥)

ولكن ليس هذا بحجة قوية إن كانت رواية البيت مضبوطة على ما ذكر؛ لأن الضبط المذكور غير متعين في البيت، والشاعر غير مضطر إلى هذا الضبط بسبب الوزن، فالبيت من البحر السريع، وهذا الشطر تفعيلاته هي: مستفعلن / مفتعلن / فاعِلْ. وتقطيعه: إن كَانِيفْ / مستفعلنْ. طَوَيْتَمِنْ / مُفْتَعِلُنْ. نَسْلِي / فَاعِلْ. ولو قال: طَوَيْهِمِنْ / مَتَفَعِلُنْ، لجاز له ذلك.

(١) سر صناعة الإعراب ٥٩٠/٢.

(٢) انظر حاشية الصبان على الأشموني ٣١٣/٤.

(٣) انظر: المبهج ص ٥٨، والممتع ٦٨٩/١.

(٤) المغني في ضبط أسماء الرجال ص ٨١.

(٥) معجم الأدباء ١/ ٢٥٣. ٢٥٤. وانظر: الوافي بالوفيات ١٣١/ ٦.

فتبين أنه لو غير لفظ (نِفْطَوِيَّة) إلى (نِفْطَوِيَّة) المشهور لدى الناطقين لاستقام له الوزن، وأقوى منه ما ورد في أبيات اللغوي ابن دريد فيما كان بينه وبين نِفْطَوِيَّة، حين هجاه فكان مما قاله فيه:

لَوْ أُنْزِلَ النُّحُو عَلَى نِفْطَوِيَّة

ثم قابله بـ(عَلِيَّة) و(أَخْذَعِيَّة)^(١) فدلّت هذه المقابلة على تعيين الضبط في (نِفْطَوِيَّة) وأنه على الوجه الذي يختاره اللغويون، ومنهم ابن دريد نفسه، وقد يشبه قلب الهاء تاء في هذه اللفظة ما اشتهر من كتابة (مَاجَه) بالهاء والتاء، وهو لَقَب الإمام محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ) صاحب السنن، والهاء فيه أشهر^(٢)، وكذلك ما وَرَدَ في جدّ الإمام البخاري (٢٥٦هـ) رحمه الله، وهو: (بَرْدُزِيَّة) فيقال: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدُزِيَّة، ويقال فيه: (بَرْدُزِيَّة) بالتاء^(٣)، كما ذكر الثعالبي أبا علي بن أبي بكر بن حَشْبُويَّة الزَّوْزَنِي^(٤)، هكذا بالتاء.

دلالة اللاحقة:

هذه اللاحقة يُلْحَقُها الفرس بعض الأعلام تلقباً لمعنى مرادٍ، فهي على هذا مستقلة من حيث الوضع، تلحق آخر الاسم، مراداً بها نسبةً ما تلحقه إلى مسماه، سواء أكان اللفظ الذي لحقته لقباً في أصله، أو اسماً صريحاً، عربياً أم أعجمياً. فيقولون في: سليمان: سلمويه، وفي عمرو: عمرويه، وفي حمد: حمدويه، كما قالوا في: راه: راهويه، وفي: سيب: سيبويه، وفي درست: درستويه.... إلخ. يلحقونها للنسبة، كما يقال: صاحب كذا، أو ذو كذا، كلحوق ياء النسب عند النسب، ولحوق تاء التأنيث عند التأنيث، فمعنى: عمرويه: المسمى: عمرو، أي صاحب هذا الاسم، أو المقصود بهذا الاسم، كما أن معنى

(١) انظر: بغية الوعاة ١/٤٢٩.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٧.

(٣) انظر: هدي الساري ص ٤٧٧، وشذرات الذهب ٣/٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) تتمة بتيمة الدهر ص ٢١٦.

راهويه: ذوراه، أو: صاحب راه، أو المنسوب إلى راه... ونحو ذلك من المعاني المتقاربة، ويجمعها شيء واحد هو نسبة مالحقته إلى مسماه، فدلالتهما واحدة لا تختلف، كما أن ما يشبهها في العربية مما سبق ذكره كذلك، وقد يلمح فيها بعضهم معنى كمعنى الترخيم، أو التصغير، وقد تختلف المناسبة التي من أجلها لُقّب الشخص بهذا اللقب، وسيُضحّ هذا التفسير لمعنى هذه اللاحقة في الأمثلة التي سترد بعد إن شاء الله. ولقد قدّمتُ شاهداً لهذه الدلالة وهذا التفسير على هذا النحو، حكايةً عن بعض علماء الفرس من الروس، وقد سألته عن هذا فحدثني كما في الحكاية المتقدمة في الصورة الأولى من صور ضبط ألفاظها.

والذي يظهر من أعلام المسلمين الملحقة بهم أن بعضهم لحقت بأسمائهم الأصلية، وبعضهم ألحقت بلقب له، فمن ذلك: سيبويه، وراهويه، وهما لقبان، قال القفطي (٦٢٤هـ): "قال أبو عبد الله بن طاهر العسكري: سيبويه اسم فارسي، كأنه في المعنى ثلاثون رائحة، وكان - فيما يقال - طيّب الرائحة"^(١)، قال: "ومعنى (سيبويه) بالفارسية: رائحة التفاح"^(٢)، وكلمة (بُوي) هذه في اللغة الفارسية بمعنى (الرائحة)، قال عبد السلام محمد هارون: "وجاء في حواشي بروكلمان ٢: ١٣٤: (والظاهر أنه [سيبويه] صيغة تمليح للفظ) سيُبُختُ (بضمّ الباء، وسكون الخاء) وعُزّي هذا القول إلى (نولاكه). ثم قال: واشتقّت العامة اسمَه من (سيب) وهو في الفارسيّة: التفّاح، و(بوي)، أي: الرّائحة"^(٣).

وقد قيل إن سبب ذلك إرادة نسبة رائحة التفاح إليه أو لون التفاح تشبيهاً^(٤)، لأن وجنتيه كانتا حمراوين جميلتين كالنفّاح، ونقل ياقوت عن ابن خالويه أنه قال: "كان

(١) إنباه الرواة ٢/ ٣٦٠، وانظر: خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام ص ٣٦.

(٢) السابق ٢/ ٣٤٦.

(٣) انظر مقدمته لكتاب سيبويه ١/ ٤ (الحاشية).

(٤) وسيأتي أن هذا يتخرج على قلب الإضافة، لأن المضاف إليه يتقدم المضاف عند الأعاجم.

سيبويه لا يزال من يلقيه يشم فيه رائحة الطيب، فسُمي: سيبويه، ومعنى (سي) ثلاثون، و(بَوَيَّ) الرائحة، فكأنه رأى ثلاثين رائحة طيب^(١). وهذا قد يُخرَجُ على أنه نوع من المبالغة في الوصف، وليس ببعيد.

وفيما يتعلق بمعنى (سيبويه) خاصة، فإنه يجوز أن يكون نسبة إلى (سيب) وهي كورة من سواد الكوفة، ونَهَرٌ بالبصرة فيه قرية كبيرة، وموضعٌ أو جزيرة بخوارزم، ذكر ذلك كَلَّه ياقوت الحموي في معجم البلدان^(٢)، فيجوز أن يكون نُسب إلى بعض هذه المواضع بإلحاق هذه اللاحقة (ويه) كما نُسب أبو إسحاق بن راهويه، إلى (راه) بمعنى الطريق، فقيل: راهويه، قال إسحاق بن راهويه: "قال لي عبد الله بن طاهر أمير خراسان: لِمَ قيل لك ابن راهويه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال لك هذا؟ قلت: اعلم أيها الأمير أن أبي وُلِدَ في الطريق، فقالت المرازمة: راهويه، لأنه وُلِدَ في الطريق، وكان أبي يكره هذا، وأما أنا فليست أكره ذلك"^(٣)، قال ابن خلكان: "والطريق بالفارسية: راه، و(ويه) معناه: وُجِدَ، فكأنه وُجِدَ في الطريق"^(٤). فدل ذلك على أنها نسبة.

وذكر ياقوت الحموي نقلًا عن الثعالبي في مناسبة تلقيب الشيخ إبراهيم بن محمد بن عرفة المهلبيّ بـ(نُفْطَوِيَه) أن ذلك لتشبيهه بالنفط، لَلَوْنِ، وقيل لرائحته، ثم قال: "وقدّر اللقب على مثال: (سيبويه) لأنه كان يُنسَب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس شرح كتابه"^(٥).

(١) معجم الأدباء ١١٥/١٦.

(٢) معجم البلدان ٢٩٣/٣.

(٣) وفيات الأعيان ٢٠٠/١. وهذه الحكاية أوردها الذهبي أيضًا عن أحمد بن سلمة، في ترجمة الحافظ إسحاق بن راهويه المروزي، في سير أعلام النبلاء ٢٦٦/١١، وذكر في ٣٥٨/١١ أن اسم راهويه: إبراهيم بن مخلد، وهو عربي تميمي، من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وكذا رواها المزني في تهذيب الكمال ٣٧٩/٢.

(٤) السابق نفسه.

(٥) معجم الأدباء ٢٥٥/١. وانظر بغية الوعاة ٤٢٨/١.

وفسر محققا كتاب "تصحيح الفصح" لابن درستويه، هذا اللقب فقالا: "وهو لقب مركب، يعني: الكامل الجيد"^(١)، يشرحان بذلك كلمة (درستويه) فهذا يعني النسبة والوصف بهذا المعنى، كأنه قيل: صاحب الكمال والجودة، أو: ذوالكمال والجودة.

وأما كونه بمعنى التصغير الذي هو للترخيم أو التمليح، فوجهه أن يكون ذلك على لغة أهلها، لا على اللغة العربية، فقالوا في: سيبويه وحمدوه وعمره وشبوه ونحوها: سيبويه وحمدويه وعمرويه وشبويه...يعنون بذلك ترخيم تلك الألقاب على لغتهم، ومما قد يسند ذلك ما رواه بعضهم من أن سيبويه كانت أمه ترقصه بهذا الصوت في صغره^(٢)، وترقيص الصغير وتلعيبه مدعاة لتصغير اسمه وترخيمه.

وثمة وجه آخر، وهو أن ينظر فيه على أن العرب تصرفت فيه بخلاف القياس في تصغير المركب، وهو تصغير أوله، فيقال في (حضر موت): حَضِرْ مَوْت، وفي بعلبك: بَعْلِبْكَ^(٣)، وأما هذا المركب الأعجمي فخالفوا فيه هذا لما أرادوا أن يجمعوا بين تصغيره وترخيمه، فصغروا آخره، ولم يحذفوا منه شيئا؛ لأن قياس تصغير الترخيم في العربية أن يحذف ما عدا الأصول من الكلمة التي يراد تصغيرها للترخيم، ولذلك قالوا في (إبراهيم) و(إسماعيل): بُرِيْه، وَسَمِيعٌ^(٤)، وهاهنا قالوا: بُوَيْه وحمدُوَيْه، وسِبْيُوَيْه، وخَالُوَيْه، ثم لما كثر هذا خففوه بالطريقتين المشهورتين في نطقه، وهما: بُوَيْه، وبُوَيْه، وقالوا: سِبْيُوَيْه، ففتحو ما قبل الواو فراراً من ثقل الضم، كما تقدم.

وهذا التخريج قد يصعب الاطمئنان إليه، بسبب عدم وجود دليل قاطع يدعمه، ولكنه ليس بعيداً عند التأمل، وأرى احتمالاً مبنياً على ما استقر عند علماء العربية من أن العرب كثيراً ما يتصرفون في الأسماء الأعجمية، ويحذفون منها ويزيدون بطرق شتى،

(١) تصحيح الفصح وشرحه ص ١٦.

(٢) معجم الأدباء ١٦ / ١١٤ . ١١٥ .

(٣) انظر سيبويه ٣ / ٤٧٥ .

(٤) انظر: سيبويه ٣ / ٤٧٦، والارتشاف ١ / ٤٤٧

من غير التزام قواعد معينة، ومن ثمَّ ذكر أبو علي الفارسي في الاحتجاج لما ذكره الخليل في تصغير (إبراهيم) على (بُرَيْهِيم) بإسقاط الهمزة، أن ذلك مبني على "أن الأعجمية لما لم تكن من أصل كلامهم غيَّروه، فزادوا فيه ونقصوا منه، ولم يجروه على ما استقر في سنن كلامهم فعرفوه وألفوه"^(١).

وضرب لذلك أمثلة، منها تصرَّفُ العرب في كلمة (جبريل) فقالوا فيها: جِبْرِيل، وجَبْرَئِل، وجَبْرَائِل... قال أبو علي: "وكذلك قول من قال (بُرَيْهِم) كأنه رحمه من (برهام)" ثم ذكر أمثلة أخرى في تصغير الأعجمي المركب كـ (بازنجان) على (بُذَيْنْجَانَة) بكسر النون وفتحها، مع أن القياس : (بُؤَيْنُ جَانَة) و(أُذْرَبِيجَان) ونحو ذلك^(٢). خلاصة هذا المبحث تأكيد لما قدمته في صدره من أن دلالة هذه اللاحقة تجتمع في نسبة ما تلحقه إلى المسمى الموصوف به، وقد لا يتعارض ذلك مع استعمالها في معرض الترخيم أو التصغير؛ لأنه نوع من الوصف والنسبة أيضا. والله أعلم.

نوع التركيب

من ضروب العَلَمِ العَلَمُ المركَّب من جزأين أو أكثر، والمراد بالتركيب هنا: ضمُّ كلمةٍ إلى كلمة ليتحصَّلَ منهما اسم واحد، وهو أنواع؛ فمنه ما يكون إضافيا؛ كعبد الله ونحوه، وإسناديا؛ كتأبُّط شرًّا ونحوه، ومزجيا؛ كحضر موت وبعليك ومعد يكرب ورامهرمز، ونحوها، ويعرَّف النحويون المركب المزجي بأنه: "كل اسمين نُزِّل ثانيهما منزلة تاء التانيث مما قبلها"^(٣) وحُمِل على هذا النوع المزجيّ الأعلامُ المختومة بكلمة (ويه) نحو: سيبويه ونفطويه وخالويه...^(٤)؛ على أن كل اسم منها يُعدُّ مَرَكَّبًا مزجيا؛ لكونه

(١) المسائل الحليبات ٣٧٩.

(٢) السابق ٣٨١.

(٣) شرح الحدود النحوية ص ٢٦٠، ٢٦١. وشرح التسهيل للمصنف ١٧٣/١.

(٤) انظر: المبهج ص ٦٥، وتوضيح المقاصد والمسالك ٨٢/١.

مركبا من اسم صريح واسم صوت، وسماه بعضهم بـ(المركب الصوتي)^(١) لأجل هذا. وسبب حمله على المركب المزجي كـ(بعلبك) مشابهته إياه في الصورة ونوع التركيب، وعدم وجود نسبة بين جزأيه^(٢)، كما سيأتي.

وعلى هذا جرت كلمة النحويين بعامة، غير أن لهم في تفسير كونه مركبا مزجيا كلاماً مختلفاً، فمنهم من جعله مركبا مزجيا خالصا، ومنهم من جعله محكيا - وهم الأكثرية - ومنهم من شبهه بالمركب المزجي، ومنهم من جعله مركبا مزجيا من وجه وإضافيا من وجه آخر، وتأثير هذا الاختلاف يظهر في الأحكام المترتبة عليه، فهل يجوز فيه ما يجوز في المركب المزجي كله، من بناء جزئه الأول، وإعراب جزئه الثاني مصروفا أو غير مصروف أو بئانه مع الأول؟ أو اعتبارهما متضايفين؟ وغير ذلك مما سيرد عند الحديث عن أحكامه، وهاهنا يختص البحث بحقيقته من جهة نوع التركيب:

قال سيبويه: "وَعَمْرَوِيَّةٌ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ (حَضْرَمَوْت) فِي أَنَّهُ ضُمَّ الْآخِرُ إِلَى الْأَوَّلِ"^(٣). يريد أن جزأه الأول وهو (عَمْرُ) رُكِّبَ مع الْآخِرِ - وهو (وِيَّة) - كما رُكِّبَ (حضر) مع (موت) في: حضرموت، فصارا كلمة واحدة، فالإجراء اللفظي واحد.

وقال ابن جني: "وأما الْعَلَمُ الْمَرْكَبُ فنحو: حَضْرَمَوْت، وِبَعْلَبَك، وِرَامَهْرَمَز، ومنه: سَيَّبَوِيَّة، وِعَمْرَوِيَّة.."^(٤)، فدلّت عبارته هذه على أنه جعله مركبا مزجيا، لتنظيره بما هو مزجي التركيب باتفاق، كـ(حضرموت) و(بعلبك)...

وقال الزجاجي (٤٠٣هـ): "فإن سميته: بعلبك، ورامهرمز، ومارسرجس، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يُبنى كل اسمٍ منها على اسمين أعربتَه؛ لأنه ليس محكيا مما عَمِلَ بعضُهُ في بعض، ولا هو بمنزلة (عَمْرَوِيَّة) و(سَيَّبَوِيَّة) لأن في آخرهما لفظَةً من ألفاظ

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٩٤. وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ١/ ٤٢٤، ٤٢٦.

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ٢/ ١٢١٦.

(٣) سيبويه ٣/ ٣٠٢.

(٤) المبهج ص ٦٥.

العجم مضارعة للأصوات فيبني معها، و(بعلبك) و(رامهرمز) ليس كذلك...^(١) ومثل للأسماء المحكية بـ (عمرّويه وسيبويه وتأبط شرّاً، وزيد قائم) فجعله بمنزلة المركب الإسنادي من جهة الحكاية، وذكر أن (خمسة عشر) إذا سُمي به يُجرى مجرى (بعلبك) و(رامهرمز) في الأحكام؛ كالإعراب ونحوه^(٢).

يؤخذ من كلام الزجاجي هنا أنه يفرق بين المركب المزجي المختوم بـ (ويه) وغيره، ويسوي بين المختوم بـ (ويه) والمركب الإسنادي في الحكاية، وأنه لا يجيز فيه ما يجوز في المبنيات المركبة تركيباً مزجياً كـ (خمسة عشر) مع كونه مبنياً، وجعل علة ذلك كونه مختوماً بصوت، والأصوات محكية مبنية، ولا يتصرّف فيها، فعلى هذا يكون الاسم المختوم بـ (ويه) نوعاً مشابهاً للمركب المزجي، وليس مثله من جميع الجهات. وكذا أدرجه الحيدرة اليميني (٥٩٩هـ) في المركبات المزجية، فنصّ على أن الأسماء المركبة مع الأصوات كسيبويه وماسويه وحمرويه...مثل الأعداد المركبة من أحد عشر إلى تسعة عشر^(٣).

وأما ابن أبي الربيع (٦٨٨هـ) فجعله فيما بُني من الأسماء لطارئ غير مشابهة الحرف، وذلك الطارئ هو التركيب مع الصوت^(٤)، ولهذا سماه بعضهم بالمركّب الصوتي. ونقل التهانوي^(٥) - رحمه الله - من كتاب (الصراح)^(٦) أن المركب المختوم بصوت كـ (سيبويه) محمول على المركب المزجي حكماً، قال في حديثه عن (سيبويه): "فإن

(١) الجمل في النحو ص ٣٤٢.

(٢) الجمل في النحو ص ٣٤٣.

(٣) كشف المشكل في النحو ص ٥٠١.

(٤) البسيط في شرح جمل الزجاجي ١/١٧٤.

(٥) توفي بعد (١١٥٨هـ).

(٦) الصراح من الصحاح، معجم عربي فارسي، ألفه محمد بن عمر بن خالد القرشي، وحققه عبد الله منشي، وطبع في إيران.

(ويه) حكاية صوت غير موضوع لمعنى لكنه في حكم الاسم، حيث أُجري مجرى الأسماء المبنية، و(سيب) اسم بُني مع كلمة (ويه) فجُعلا اسما واحداً، وكذا: عمرويه وسعدويه^(١)، فلم يجعله مركباً مزجياً خالصاً، ولكن حمّله عليه بناءً على المشابهة التي ذكرها بينهما.

وليس ما ذكره بدقيق؛ لسببين: الأول: أن التركيب المزجي لا يشترط فيه أن يكون لكل جزء من جزأيه معنى مستقل عند انفراده، ومن ثمّ قال ابن يعيش (٦٤٣هـ) في المركب من جهة اللفظ والمعنى: "بل مُزجَ الاسمان وصارا اسماً واحداً بإزاء حقيقة ولم ينفرد الاسم الثاني بشيء من معناه، فكان كالمفرد غير المركّب، فبُني الاسم الأول؛ لأنه كالصدر من عجز الكلمة، وجزء الكلمة لا يُعرب؛ لأنه كالصوت..^(٢)".

السبب الثاني: أننا لا نُسلّم أن كلمة (ويه) صوت مجرد في أصلها، بل الصواب أنها كلمة ذات معنى مراد عند أهلها، ولكن لما استعملت في العربية حمّلت على ما يضارعها من أسماء الأصوات، وهي هنا أيضاً ذات دلالة معينة، وهي دلالتها على نوع الصوت المؤدّي بها دلالة طبيعية، مع استصحاب الدلالة الوضعية لما تضارعه من الأسماء العربية المتقدمة في ذكر معانيها؛ ولهذا أُعطيت حكم الأسماء، وقد صرح بذلك ملأً الجامي (٨٩٨هـ) في الفوائد الضيائية على متن الكافية، ذاكراً أن هذا الصوت في حكم الكلمة حيث أُجري مجرى الأسماء المبنية^(٣).

وذكره ابن مالك (٦٧٢هـ) أيضاً مع المركب المزجي، ثم فرق بينهما بلزوم بنائه على الكسر^(٤). وأما معاصره الرضي الإستراباذي (٦٨٦هـ) فذهب إلى أنه مركّب يصدق

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٤٢٤.

(٢) شرح المفصل ٢/٢٩٠.

(٣) انظر الفوائد الضيائية ٨١/٢.

(٤) شرح التسهيل ١/١٧٢ وتمهيد القواعد ٢/٥٩٨.

عليه ما يصدق على المركَّب الذي رُكِّب لأجل العَلَمِيَّة، وتُحكى حركات بنائه وسكناته على ما كانت عليه قبل التركيب^(١).

وأما حمله على التركيب الإضافي فممن ذهب إليه البطليوسي^(٥٢١هـ) في شرح الفصيح، كما نقل عنه السيوطي^(٩١١هـ) فقال: "الإضافة في لغة العجم مقلوبة؛ كما قالوا: سيبويه، والسبب: التفاح، وويَّه: رائحته، والتقدير: رائحة التفاح"^(٢)

وبنحو ذلك قال أبو البقاء الكفوي^(١٠٩٤هـ) رحمه الله، فشبهه بالمركَّب الإضافي، وحمله على القلب بناءً على كونه أعجمياً، والعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف، فقال: "الإضافة في لغة العجم مقلوبة، كما قالوا: سيبويه، و(السبب): التفاح، و(ويه): رائحة، أي: رائحة التفاح، وكذا: ملك داد، وأشباههما"^(٣).

وهذا الذي ذكره واضح جداً لمن تأمل المركبات في لغات العجم، والدلالات التي سبقت لكلمة (ويه) تؤيد أنها مضافة إلى ما يسبقها، ويوضح هذا تفسير "راهويه" بصاحب الطريق، لأن (راه) معناه عندهم الطريق - كما تقدم، وكذا تفسير "سيبويه" بصاحب الرائحة، ونحوه من المعاني المتقدمة، فكل هذا يدل على أنه تركيب إضافي في لغة أهله، ولكن علماء العربية حملوه على التركيب المزجي تعريفاً وتشبيهاً.

وتشبيه هذا التركيب بالتركيب المزجي وحمله عليه يقتضي أن تجوز فيه جميع الأحكام الجائزة في المركب المزجي، ومنها البناء - كما سيأتي - والإضافة، وتكون إضافته بأن يجعل الإعراب على آخر الجزء الأول، ثم يجعل الجزء الثاني مضافاً إليه، قال أبو الحسن الوراق^(٣٢٥هـ) في تعليقه لهذا الإعراب للمركب المزجي: "وإنما جاز الوجهان جميعاً، لأن أحد الاسمين غير الآخر، فجاز أن تُشبهه بالمضاف والمضاف إليه،

(١) انظر شرح الكافية للرضي ٣/٣٥٢.

(٢) المزهري ٢/٤٢٧.

(٣) الكليات ٨٨٣.

ولأن الاسمين جميعا هما لشخص واحد....^(١). ولكن الإضافة لم يتحقق ورودها سماعاً فيما ختم بـ(ويه) وقد تحدث الرضي عن هذين الحكمين ثم صرّح بأن المختوم بـ(ويه) لم يُسمع فيه الإضافة^(٢).

الخلاصة: يُستخلص مما سبق أن المختوم بـ(ويه) من الأعلام يُشبه من جهة ظاهره المركبَ المَرْجِيَّ، الذي يَنْزَلُ صدره منزلةً صدر الكلمة من عجزها، ويتضمن ثانيه معنى العطف والجمع بين الكلمتين، وهو من جهة المعنى يُحمل على الإضافة، لأن كل واحدة من اللفظتين. اللاحقة والملحوقه. ذات دلالة مستقلة في الأصل، ولكنه بعد التركيب صار إلى معنى واحد، فرجعت دلالة جزأيه إلى دلالة اللفظ الواحد، فصدق فيه كونه مركباً مزجياً خالصاً لفظاً ومعنى باعتبار ما صار إليه لا باعتبار أصله^(٣).

أحكامه النحوية

الحُكْمُ الأوَّلُ: بناؤه وتنوينه

غلب في استعمال هذه اللفظة بناؤها على الكسر غير منوَّنة، وملحوقه بتنوين التنكير عند إرادة تنكيرها، حملاً لها على نظائرها من الأصوات المشابهة لها، كأفٍّ وويٍّ وغاقٍ ونحوها، وكُسِرَ مع كون هائه في الأصل مبنيةً على السكون تخلّصاً من التقاء الساكنين^(٤)، كما فُعِلَ بنظائره من المبنيات، كيومئذٍ وأصله (إذٌ) لحقت بها النون الساكنة، التي هي التنوين، وذهب جمهور النحويين إلى ترجيح هذا الوجه، قال أبو حيان - رحمه الله -: "والقياس يقتضي ألا يجوزَ غيره، لاختلاط الاسم بالصوت، وصيرورتهما شيئاً واحداً، فاعومل معاملة الصوت؛ ك(غاقٍ) فبني، ونُونٌ إذا نُكِرَ"^(٥).

(١) علل النحو للوراق ٤٦٦

(٢) شرح الكافية للرضي ٣/٣٥٢.

(٣) انظر لهذا المفهوم : التخمير ٢/٢٩٢.

(٤) انظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/٨٦٦، وشرح السيرافي على سيبويه ٤/٦٧ (العلمية).

(٥) التذيل والتكميل ٢/٣١٦.

والكلام مراد به الجزء الأخير من هذا المركب وهو كلمة (ويه)، وأما الجزء الأول منه فحقه البناء اتفاقاً، لأنه بمنزلة ما قبل تاء التأنيث، أو بمنزلة الجزء الأول من المركب العددي كخمسة عشر، أو لكونه بمنزلة الجزء من الكلمة الواحدة، وكل ذلك بمعنى من جهة الشبه اللفظي؛ لأن حقيقة التركيب الصوري واحدة في الجميع، فتعين اتحاد الحكم المترتب على التركيب، كما سيأتي.

ومن ثم قال الرضي في حديثه عن المركب: "وأما الجزء الأول فواجب البناء إن لم يُضَفَ إلى الثاني؛ لكونه محتاجاً إلى الثاني، فيشابه الحرف، فيبنى على الفتح إن كان معرباً في الأصل أو مبنيّاً على غير الفتح، ويجوز حكاية حركات المبني وإبقاؤه على حركته أي حركة كانت، أو سكونه، وهذا النوع أقسام؛ لأن الثاني إما اسم والثاني اسم، نحو: سيبويه...^(١)، انتهى المراد من كلامه، وهو في هذا يتحدث عن المركب عموماً، وقد صرح بأن المختوم بـ(ويه) لم يُسمع فيه الإضافة^(٢).

وقال سيبويه: "و(عمرويه) في المعرفة مكسور في حال الجرّ والرفع والنصب غير منون، وفي النكرة تقول: هذا عمرويه آخر، ورأيت عمرويه آخر"^(٣). قوله: مكسور... إلخ؛ يريد أنه مبني على الكسر، ونقل عن شيخه الخليل توجيه بنائه فقال: "وأما (عمرويه) فإنه زعم أنه أعجمي، وأنه ضرب من الأسماء الأعجمية، وألزموا آخره شيئاً لم يلزم الأعجمية، فكما تركوا صرف الأعجمية جعلوا ذا بمنزلة الصوت، لأنهم رأوه قد جمع أمرين، فحطّوه درجة عن (إسماعيل) وأشباهه، وجعلوه في النكرة بمنزلة غاقٍ، منونة مكسورة في كل موضع"^(٤).

(١) شرح الكافية للرضي ٣/ ٣٥٢.

(٢) شرح الكافية للرضي ٣/ ٣٥٢.

(٣) سيبويه ٣/ ٣٠٢.

(٤) سيبويه ٣/ ٣٠١.

يريد سيبويه أن هذا النوع من الأسماء اجتمع فيه كونه أعجمياً؛ لتركيبه مع صوت أعجمي، وكونه مركباً تركيباً مزجياً، فاجتمعت فيه ثلاث علل: العَلَمِيَّة، والتركيب المزجي، والعُجْمَة، فلما اجتمع فيه ذلك زادوا في عدم إخضاعه للتصرف، فجعلوه مبنيًا، لأن البناء أبعد عن التمكن من عدم الصرف، ولما كان آخره صوتاً وهو (ويه) حملوه على ما يضارعه من الأصوات، فجعلوه مكسوراً منونا عند التنكير كغاقٍ ونحوه^(١)، قال أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) معلقاً على كلمة سيبويه هذه: "في ذا إشارة إلى أن البناء يُعدُّ ترك الانصراف"^(٢).

وهذا الذي استظهره أبو علي صحيح؛ لأن المبني لا يُتصرَّف فيه بأنواع الأعراب، فهو أشد من الممنوع من الصرف امتناعاً منه؛ لأن الممنوع من الصرف يقبل بعض الصرف بإعرابه^(٣)، والمبني لا يقبل منه شيئاً.

وقال المبرد (٢٨٥هـ): "اعلم أن الأعجمي الذي يلحق الصدر مجراه مجرى الأصوات، فحقه أن يكون مكسوراً بغير تنوين، ما كان معرفةً، فإن جعلته نكرة نوتته على لفظه، كما تفعل ذلك بالأصوات، نحو قولك: إيه يافتى، في المعرفة، وإيه إذا أردت النكرة، وقال: الغراب: غاق، و: غاق في النكرة.... فأما الصدر فلا يكون إلا مفتوحاً، كقولك: حضر موت يافتى، وخمسة عشر، وما يفتح قبل هاء التانيث وما أشبهها، وذلك الاسم ما كان نحو: عَمْرَوِيَّه وحمْدَوِيَّه، كما قال الشاعر:

يا عَمْرَوِيَّه انطَلَق الرِّفاقُ مالِكاً لا تَبكي ولا تَشْتاقُ"^(٤)

(١) انظر: التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي ١١٣/٣، وشرح السيرافي على سيبويه ٦٧/٤ (العلمية).

(٢) التعليقة على كتاب سيبويه ١١٣/٣.

(٣) والصرف هو قبول العلامات الإعرابية والتنوين، وليس كما يزعمه بعض متأخري النحويين من أنه التنوين.

(٤) المقتضب ١٨١/٣

وكلام المبرد هنا ظاهر في كونه جعل علة البناء على الكسر كون الجزء الأخير صوتاً، ولذلك نظّر له بـ(غاق) و(إيه) وذهب إلى هذا آخرون، كالعصام (٩٥١هـ) في حاشيته على الجامي، فذكر أن المركبين تركيباً مزجياً إن كان ثانيهما صوتاً وجب أن يكون مكسوراً؛ تشبيهاً له بـ(غاق)^(١)، وفي صدر كلام المبرد ما يدل على أن العلة الصوتية مضافة إلى علة العجمة، وليست مستقلة عنها، ولذلك أطلق علة العجمة دون "الصوت" في موضع آخر فقال: "وأما (عَمْرَوِيَّة) وما كان مثله فهو بمنزلة (خمسة عشر) في البناء، إلا أن آخره مكسور، فأما فتحة أوله فكالفتحة هناك، وأما كسرة آخره فلأنه أعجمي، فبُني على الكسرة، وحُطَّ عن حال العربي"^(٢).

وقوله: "فبُني على الكسرة... إلخ" يريد به أن الأعجمي يُبنى على الكسر؛ ليكون أحطَّ عن الكلمة العربية التي لا تُكسر إذا بُنيت للتركيب، كخمسة عشر، واسم (لا) النافية للجنس، ونحو ذلك مما جُعِلَ فيه الاسمان كاسم واحد على هذا النحو من التركيب.

وهذا وجه لا يخلو من التكلف، والظاهر كونه مكسوراً لالتقاء الساكنين، كما قال غيره، قال السيرافي: "وبنوه على الكسر لاجتماع الساكنين، وجعلوا علامة التنكير فيه التنوين، تقول: هذا عَمْرَوِيَّة وعَمْرَوِيَّةٌ آخَر، وعلى هذا تقول: هذا زَيْلَوِيَّةٌ آخَر، فينونونه لأنه نكرة"^(٣).

والظاهر من كلام هؤلاء العلماء أنهم جعلوا علة بنائه كونه صوتاً جيء به لغرض التصويت لا لغرض بناء معنى تركيبياً، وأنه لا يوجد فيه ما يقتضي الإعراب^(٤)، وما يجاء به للدلالة على الصوت يشبه ما يجاء به من المباني الصرفية، وهي تفيد معاني مفردة غير

(١) شرح الفريد ص ٤٨٤.

(٢) المقتضب ٣١/٤.

(٣) شرح السيرافي على سيبويه ٤/ ٦٧ (العلمية) وانظر: المنهاج في شرح جمل الزجاجي ٤٠١/٢.

(٤) انظر: الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ص ٢٩١.

مستفادة من التركيب، ومنهم من شبه هذه الكلمات الدالة على الأصوات بالحروف، فجعل ذلك علة البناء، قال ابن يعيش (٦٤٣هـ): "واعلم أن الأصوات كلها مبنية محكية، لأن الصوت ليس فيه معنى، فجرى مجرى بعض حروف الاسم، وبعض حروف الاسم مبني"^(١).

ومثله عمر بن عيسى الهرمي (٧٠٢هـ) إذ ذكر أن علة بنائه كونه مركباً من اسم وحرف، على أن كلمة (ويه) هذه تشبه الحروف، فلا يُعرب لذلك، قال: "وعلى هذا فقس ما جاء مثل: نفطويه، وخالويه، وشبهه مما كان مضمناً لفظة (ويه) في آخره..."^(٢).

وهذا يدل على أن تنوينه ليس تنوين إعراب، بل هو تنوين تنكير، وتنوين التنكير يدخل الأعلام والأصوات عند إرادة تنكيرها وإخراجها من حيز العلمية^(٣)، وهذا النوع من الأعلام اجتمع فيه كونه علماً وكونه مختوماً بكلمة تُشبه الأصوات، ومثل هذا لا يُنوّن إلا عند إرادة تنكيره، وقد تضافرت كلمات أئمة النحو على ذلك، قال سيبويه: "ليس اسم يُشبه الأصوات فيكون معرفة إلا لم يُنوّن، ويُنوّن إذا كان نكرة، ألا ترى أنهم قالوا: هذا عمرويه وعمرويه آخر"^(٤)، وذكر ابن السراج (٣١٦هـ) نحوه من هذا^(٥).

وقال الزجاج (٣١١هـ): "فإذا أردت النكرة نونته فقلت: هذا عمرويه وعمرويه آخر، وهذا زيلويه يا هذا؛ لأن (زيلويه) نكرة"^(٦)، فجعل تنوينه تنوين تنكير، كما نقل عن سيبويه. وقال الزجاجي (٣٤٠هـ): "وأما سيبويه وما أشبهه فتحكيه ولا تعربه، وإن نكرته نونته"^(٧).

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٢/٢٤٠.

(٢) المحرر في النحو ١١٨/٣.

(٣) انظر حاشية الصبان على الأشموني ٣٤/١.

(٤) سيبويه ١٩٩/٢.

(٥) الأصول في النحو ١٤١/٢.

(٦) ما لا ينصرف ص ١٤٠.

(٧) الجمل في النحو ص ٣٤٠ (بتصرف).

وقال أبو البقاء العكبري (٦١٦هـ): "فأما سيبويه، ونفطويه، وعمرويه... فمبنية، ولكن تنوّن في النكرة، كما تنوّن الأصوات وأسماء الفعل"^(١)، وعلى هذا جرت كلمة جمهور النحويين.

وأما الرضي الإسترأبادي فذهب إلى أن تنوين هذه الأصوات كغاقٍ ونحوه ليس تنوين تنكير، لعدم وجود دلالة للتنكير والتعريف فيها، وإنما هو تنوين إلحاقٍ ومقابلة^(٢)، يريد بذلك أن تنوينها لأجل إلحاقها بالأسماء ومقابلتها بها، لأنها في الأصل أصوات صرقةٌ ساذجة لا دلالة لها على شيء، فليست أسماءً في أصلها، ولم يكن منظوراً فيها إلى معنى من المعاني التي وُضعت لها الكلمات، فلما احتيج إلى استعمالها في التعبير عوملت معاملة الأسماء، للدلالة على انتقالها من أصلها إلى أقسام الكلام، فصرّفوها تصريفَ الكلام فألحقوها بالتنوين الذي هو من علامات الأسماء، تشبيهاً ومقابلة^(٣)، هذا حاصل ما ذكره.

وفي بعض قوله ردٌّ على بعضه؛ لأنه قد أقرَّ أن هذه الأصوات شُبِّهت بالأسماء لأجل ما جدَّ لها من دلالاتٍ في أثناء التعبير، وقد نفى أن يكون تنوينها للتنكير بناءً على كونها في الأصل لامعاني لها، وإنما يأتي التنكير أو التعريف لأجل الدلالة على معنى، فحكم عليها بناءً على أصلها، والنحويون إنما حكموا على تنوينها بأنه تنوين تنكير بناءً على الدلالة الجديدة لها، وهو يقر بهذه الدلالة، فإذا قيل: غاقٍ، أو غاقٍ؛ فهو اسم صوتٍ من مصوِّت معين مرادٍ للمتكلم، وإذا أراد جنسه المطلق عبّر عنه بالتنوين، فيقول: غاقٍ؛ اسم صوت الغراب، أي: هذا الجنس من الأصوات هو صوت جنس الغرابان مطلقاً، وكذا إذا قيل: هذا سيبويه، ومعه سيبويه آخر، فالأول معين، والثاني جنس شائع ممن يسمى

(١) الباب في علل البناء والإعراب ٥١٩/١.

(٢) انظر شرح الكافية للرضي ٣٤٠/٣.

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ٣٣٩/٣.

ب(سيبويه) فهذه الدلالة استُفِيدَتْ بِقَرِينَةِ التَّنْوِينِ، فصَحَّ كونه تنوين تنكير، ولا ينافي ذلك دلالة هذا التنوين على دخول هذه الكلمات في حيز الأسماء وإلحاقها بها؛ لأنَّ التنوين علامة اسمية مطلقة، وهو مع ذلك حرف من حروف المعاني في كل شيء لحقه.

وذهب بعض النحويين إلى أنه بُنِيَ كما بُنِيَ نحو خمسة عشر؛ لتضمنه معنى حرف العطف، فهو مركب تضميني، فكأنَّ القائل: سيبويه، أصل كلامه: سيب، و: ويه، كما أنَّ أصل (خمسَة عشر): خمسة، و: عشر، فحُذِفَت الواو قصداً لمزج الاسمين وجعلهما شيئاً واحداً^(١)، فلما حُذِفَت ضَمِنَ المركَّب معناها فُبْنِيَ^(٢).

قال الحيدَرَةُ - عند حديثه عن علل التركيب -: "والمركباتُ مثل خمسة عشر، وسيبويه، يتضمَّن حرف العطف؛ لأنَّ أصله: خمسة وعشرة، و: سيبَ و: ويه^(٣)، وإلى هذا يشير ابن الخباز (٦٣٩) حين قسَّم المركبات فجعل منها المركب المبني الشطرين، ومثَّل له ب(سيبويه)^(٤)؛ لأنَّ (خمسَة عشر) مركب مبني الشطرين.

وفي هذا ردٌّ على مَنْ يرى نطقه بواو مدية بعدها ياء مفتوحة هكذا: (سَيَّبِيَّه) وهو الوجه المنقول عن أكثر المحدثين، والسبب أن كونه محمولاً على المبني المركب من جزأين يقتضي بناء جزئه الأول على الفتح مطلقاً، كما ذكر الحيدرة وغيره، ولا حجة لمن ضمه.

وثمة فريق من النحويين جعلوا علَّة بنائه كونه محكيًّا، ذلك أنهم رأوا آخره يشبه الأصوات، والأصوات كلها محكية، والمحكي لا يُغَيَّر، بل يلفظ به على وضعه الأصلي دون

(١) انظر: المنهاج في شرح جمل الزجاجي ٤٠١/٢. وشرح الكافية للرضي ٣٥٩/٣.

(٢) انظر: التذييل والتكميل ٣٨٤/٩.

(٣) كشف المشكل ص ٥٠٥.

(٤) انظر توجيه اللمع ٣١٢.

تغيير، فجعلوا هذا علةً بنائه. قال الزجاجي: في باب الحكاية -: " وإن سميته: (سيبويه) أو (عَمْرَوِيَّة) أو (نِفْطَوِيَّة) وما أشبه ذلك، حَكَيْتُهُ ولم تُعْرَبْ"^(١).

وبهذا صرح ابن عصفور (٦٦٩هـ) أيضا فقال: " فإن كان مركبا من اسم وصوتٍ مثل (سيبويه) و(عَمْرَوِيَّة) فإنك تحكي فيه ما كان يجوز فيه قبل أن تحكيه..."^(٢)، وصرح بعدم جواز إعرابه^(٣). وقال أبو البقاء العكبري: "والأصوات المحكية مبنية، ك(غاقٍ) في حكاية صوت الغراب؛ لأن الغرض منها نفس الحكاية، والإعراب يُراد للفرق بين المعاني"^(٤). يُستخلص من هذا السرد أن لفظة (ويه) في آخر الأعلام الأصل فيها البناء؛ لأنها تُشبه الأصوات في اللغة العربية، أو لكونها لفظا أعجميا محكيا، أو لأجل التركيب، وكل ذلك واقع فيها، وحُرِّكت بالكسر لالتقاء الساكنين، وتُنَوَّن عند إرادة التنكير خاصةً، وتنوَّعتُ عبارات النحويين وآراؤهم في تعليل ذلك كله، وقد تقدمت مناقشتهم.

الحُكْمُ الثَّانِي: الإِعْرَابُ مَمْنُوعًا مِنَ الصَّرْفِ

فيقال: هذا حَمْدَوِيَّة، ورأيتُ حَمْدَوِيَّة، ونظرتُ إلى حَمْدَوِيَّة، وبناءً على هذا يقال في تثنيته: حَمْدَوِيَّهَانِ، وفي جمعه: حَمْدَوِيَّهَوْنَ، وقد ذهب إلى جواز هذا الإجراء فيه بعضُ النحويين، فَعَدُّوا الكلمتين المركبتين كلمة واحدةً، فأجازوا فيها ما يجوز في نظائرها من المركبات الممنوعة من الصرف، وحَكِيَ ذلك عن الجرمي رحمه الله^(٥). قال أبو حيان: "فإن كان ما أجازَه الجرمي مستندُه السماعُ قُبِلَ، وإن كان أجازَه بالقياس لم يَقْبَلْ"^(٦)، وجعل ذلك تعقيبا على ابن مالك الذي أطلق القول بالجواز.

(١) الجَمَلُ في النحوص ٣٤٠.

(٢) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٤٨٣/٢.

(٣) شرح المقرب المعروف بالتعليقة ١٠٥٠/٢.

(٤) اللباب في علل البناء والإعراب ٩٣/٢.

(٥) انظر: المنهاج في شرح جمل الزجاجي ٤٠١/٢، والتذييل والتكميل ٣١٦/٢.

(٦) التذييل والتكميل ٣١٦/٢.

فقال: "وإن خُتِمَ بـ(ويه) كُسِرَ، وقد يُعَرَّبُ غيرَ مَنْصَرَفٍ"^(١)، وقال فيه أيضا: "وبعض العرب يُعَرِّبُه ويمنعه من الصرف"^(٢). قال ناظر الجيش (٧٧٨هـ) معقِّبًا على كلام ابن مالك: "ويظهر من قول المصنف. يعني ابن مالك -: (قد يُعَرَّبُ) أن ذلك مسموع"^(٣). يريد ناظر الجيش أن هذه العبارة لا تقال - عادةً - إلا استنادًا إلى سماع، لأنها تعبير عن حكاية ما هو معمول به، وليست تعبيرًا عن مقول به قياسًا، هذا ما يدل عليه ظاهرها، ويؤكداه قوله الآخر: "وبعض العرب يعربه وهي أدل على ذلك.

وقال ابن عصفور: "فإن كان مركبًا من اسم وصوتٍ مثل (سيبويه) و(عَمْرَوِيَّة) فإنك تحكي فيه ما كان يجوز فيه قبل أن تحكيه، ويجوز البناء وأن تُعَرِّبَه إعراب ما لا ينصرف، فتقول: جاءني سيبويه، وسيبويه، ورأيتُ سيبويه، وسيبويه، ومررت بسيبويه، وسيبويه"^(٤).

وذكر أبو حيان مثل ذلك عازيًا إبقائه على حاله مبنيًا للجمهور، وإعرابه ممنوعًا من الصرف لبعض النحويين^(٥).

وقال الجوهري (٣٩٣هـ): "ومن قال: هذا سيبويه ورأيت سيبويه فأعربه بإعراب ما لا ينصرف ثناه وجمعه، فقال: السيبويهان والسيبويّهون"^(٦)، يجعلونه كسائر الأعلام الأعجمية المعربة الممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة، أو الممنوعة من الصرف للعلمية والتركيب المزجي، وذكر ابن النحاس الحلبي (٦٩٨هـ) رحمه الله أن ذلك قد

(١) السابق نفسه.

(٢) شرح التسهيل للمصنف ١/١٧٣.

(٣) تمهيد القواعد ٢/٥٩٩.

(٤) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/٤٨٣.

(٥) انظر: الارتشاف ١/٤٣٤.

(٦) الصحاح ٦/٢٢٥٨ وتارج العروس ٩/٤٢٣.

حُكي عن ابن الحاجب (٦٤٦هـ) رحمه الله^(١)، وعدّوا التركيب زيادة مؤكدة لمنعه من الصرف لاموجبة لبنائه.

قال القفطي رحمه الله: "كُتبت من خط ابن عبد الملك: سمعتُ أبا العباس أحمد بن يحيى^(٢) يقول: كان سيبويه يخطئ في اسمه، يقول: سيبويه وسيبويه آخر، والكسائي يقول: سيبويه وسيبويه آخر، لأنه أعجمي فلا يُجرى^(٣)، وزيلويه وزيلويه آخر..."^(٤).

خلاصة هذا الحكم جواز إعراب هذا النوع من الأسماء ممنوعاً من الصرف، كما يراه فريق من علماء النحو. وإنما حَكَمَ عليه أولئك النحويون بإعرابه ممنوعاً من الصرف لسببين: أولهما: أنه اسم عربي بناءً على ما صار إليه، فقد استعملته العرب وتصرفوا فيه وفق لغتهم، والأصل في الأسماء الإعراب. ثانيهما: وجود علة المنع من الصرف، وهي كونه علماً مركباً تركيباً مزجياً، وقد يُنظر فيه أيضاً إلى علةٍ ثالثة وهي كونه أعجمياً في الأصل فاستصحب فيه أصله كما هو شأن أمثاله من الأعلام الأعجمية في اللغة العربية.

الحُكم الثالث: التثنية والجمع

صحح أكثر النحويين منعَ جمع المركب المزجي وتثنيته، ومنه المختوم بـ(ويه) لعدم سماع جمعه وتثنيته عن العرب، ولكونه مُشَبَّهاً بالمحكي^(٥)، قال الزجاجي: "ولا يجوز تثنيته ولا جمعه، وكذلك جميع المحكي لا يُثنى ولا يُجمع..."^(٦) فجعل علةَ عدم جواز تثنيته وجمعه كونه محكياً، والمحكي ينبغي أن يبقى على حاله دون تغيير. وذكر

(١) انظر: شرح المقرب المعروف بـ(التعليقة) ١٠٥١/٢.

(٢) هو الإمام ثعلب الكوفي المتوفى ٢٩١هـ.

(٣) فلا يجرى: بمعنى لا يُصرف، فلا يقال في العلمية: سيبويه.

(٤) إنباه الرواة ٣٥٢/٢.

(٥) توضيح المقاصد والمسالك ٨٢/١.

(٦) الجمل في النحو للزجاجي ص ٤٠.

السيوطي أن علة ذلك عدم السماع، ولأنه يشبه المحكي^(١)، والمحكي يُحكى كما سُمع ولا يُغَيَّر.

واختار بعضهم جواز تثنيته وجمعه، فمنهم من يلحقه علامة التثنية والجمع في آخره، فيقول: سيبيويهان، وسيبيويهون، وعَمَرَوِيهان، وعَمَرَوِيهون، قال ابن أبي الربيع (٦٨٨هـ): "ولا أعلم مَنْ يخالف في هذا إلا الزجاجي"^(٢)، ولهذا رُوِيَ عن أبي عمر الجرمي النحوي (٢٢٥هـ) رحمه الله أنه قال: "مَنْ قال: هذا سيبيوهُ وعمرويه، ورأيت سيبيوهُ وعمرويه، فأعربه ثنّى وجمَعَ؛ فقال: العَمَرَوِيهان والعَمرويهون، والسيبيويهان والسيبيويهون، وكذلك ما أشبهه"^(٣) وهؤلاء منهم مَنْ أجاز عليه أحكام المعرب عند تثنيته وجمعه، فلم يحذف منه شيئاً، ولم يحذفوا الهاء التي في آخره، لأنهم عدّوها جزءاً من الكلمة وليست كتاء التأنيث التي تُحذف عند الجمع^(٤)، ومنهم من يحذف عجزه فيقول: سيبيان وسيبيون^(٥)، وكل هذا يجري قياساً على مذهب من أعربه ومنعه من الصرف.

وأما من لم يُجِز فيه إلا البناء من النحويين فقد جمعه وثناه دون تغيير ولا إلحاق شيء به، تغليباً لما يستحقه المبني من عدم التغيير، فيقولون فيه: هذان ذوا حمدويّه، أو: كلاهما حمدويه، وأولئك ذوو حمدويه، وكلهم ذوو حمدويّه، أو بإسقاط (ذو) فيقال: كلاهما سيبيويه، وكلهم سيبيويه^(٦).

(١) انظر: الهمع ١/١٤٠.

(٢) الملخص لابن أبي الربيع ١/٦٣٥.

(٣) الجمل في النحول للزجاجي ص ٣٤١.

(٤) انظر: المقتضب ٤/٣١، وتارج العروس ٩/٤٢٣.

(٥) انظر: الهمع ١/١٤١.

(٦) انظر: الصحاح ٦/٢٢٥٨ وتارج العروس ٩/٤٢٣.

وتقدم صدرُ الحكاية عن الكسائي فيما عزاه إليه ثعلب أنه قال: "كان سيبويه يخطئ في اسمه، يقول: سيبويه وسيبويه آخر. والكسائي يقول: سيبويه وسيبويه آخر؛ لأنه أعجمي فلا يُجرى^(١)، وزيلويه وزيلويه آخر..."^(٢) وتامم الحكاية كما نقلها القفطي: "وبئني: زيلوبهان، ويجمع: زيلوهات؛ لأن الجمع بالواو والنون للحيوان الذي يعقل من الذُكران، والألف والتاء لما يعقل من الإناث ولما لا يعقل، ولا يعرف باللام، وقد قيل: زيلويه، وذو زيلويه، وذوات زيلويه، ورأيت زيلويه وذوي زيلويه، وذوات زيلويه"^(٣)

قوله: (زيلوهات) يتعلق به أمران اثنان، الأول: أنه جمعه على ما تقدم من أن الأصل الأعجمي لهذه الألفاظ هاء ساكنة مسبوقه بضمة طويلة: زيلوه. الثاني: أنه جمعه جمع المؤنث السالم، مع أنه علم لمذكر عاقل، إما لأنه استصحب فيه الأصل وهو كونه أعجمياً مجهول الحال، فأشبهه ما لا يعقل. أو لأنه عدَّ هاءه مبدلة عن تاء، كما تقدم في إحدى تأصيلات هذه الهاء، فحملة على نظائره كحمزة وطلحة وسلمة... ونحو ذلك. وبناءً على جمعه بالألف والتاء يكون قياس جمعه عند من جعله مبنياً ما ذكره من قوله: "ذوات زيلويه".

وقال الحيدرة: "فإن كان مركباً من اسمٍ مع صوتٍ مثل: سيبويه وخالويه فمنهم من يثنيه على لفظه فيقول: سيبويهان وسيبويهين، ومنهم من يجتلب له (ذوا) و(ذوي) ويقول: جاءني ذوا سيبويه، ورأيت ذوي سيبويه، ومررت بذوي سيبويه، فافهم ذلك"^(٤)، وذكر جمعه كذلك على هذا القياس والتمثيل بالطريقين نفسيهما^(٥).

(١) فلا يجرى: بمعنى لا يُصرف، فلا يقال في العلمية: سيبويه.

(٢) إنباه الرواة ٣٥٢/٢.

(٣) إنباه الرواة ٣٥٢/٢.

(٤) كشف المشكل في النحو ١٨٨.

(٥) كشف المشكل في النحو ١٩٣، ١٩٤.

ويرى الباحث أن جمعه وتثنيته على لفظه أولى بالاختيار لسببين: أولهما: أنه كثر استعماله حتى لحق بالأسماء العربية من جهة الاستعمال، والقياس فيها جمعها وتثنيها على لفظها. ثانيهما: أن ذلك أيسر على اللسان وأسهل للنطق وأوجز في العبارة، وما كان سبيله كذلك فهو أولى بالاختيار. فيقال: سَيَبَوِيهَانِ وسَيَبَوِيَهُونَ، ورَأَيْتُ سَيَبَوِيَهُينِ وسَيَبَوِيَهُينِ. والله أعلم.

الحكم الرابع: الترخيم

فهل يجوز ترخيمه عند النداء كشأن أضرابه من الأعلام؟
من النحويين من أجرى عليه أحكام المحكي، فلم يُجز فيه ما يجوز في غيره من التثنية والجمع والتصغير والترخيم ونحو ذلك^(١)، قال سيبويه: "واعلم أن الحكاية لا تُرَخَّم، لأنك لا تريد أن تُرَخِّمَ غير منادى وليس مما يغيره النداء"^(٢) وهذا يجري على مذهب من يرى أنه محكي كالزجاجي. كما تقدم. وأما غيرهم فلا.
ومنهم من أعربه إعراب الممنوع من الصرف، وأجرى عليه أحكام المركب المزجي، فأجاز فيه ذلك كله^(٣)، وهذا قد ذكره سيبويه عن الخليل وشرحه^(٤)، ولذا نقل أبو حيان رحمه الله عن البصريين أنهم يجيزون ترخيمه بحذف الجزء الثاني منه مطلقا، ونص على أن أكثر الكوفيين يمنعون من ذلك^(٥)، فيقال على مذهب المجيزين: يا سَيِبُ، ويا حَمْدُ، في (سَيَبويه) و(حمدويه) ونحوهما، قال: "وذهب الفراء فيما آخره (ويه) أنه لا يُحذف إلا الهاء خاصة، فتقول: يا سَيَبُ، ويا عَمْرُو ثم نقل عن ابن كيسان (٢٩٩هـ) منع حذف الجزء الثاني كاملا، وأنه يرى جواز حذف الحرف أو الحرفين الأخيرين فقط من

(١) انظر: الجمل في النحول للزجاجي ص ٣٤٠، ٣٤١، والملخص لابن أبي الربيع ١ / ٦٣٥.

(٢) سيبويه ٢ / ٢٦٩.

(٣) انظر: سيبويه ٢ / ٢٦٧، ٢٦٨، والملخص لابن أبي الربيع ١ / ٦٣٥.

(٤) انظر سيبويه ٢ / ٢٦٧، ٢٦٨.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب ٣ / ١٥٤.

المركب المزجي كله^(١)؛ لئلا يلتبس بالمفردات، فذلك أدل على المحذوف من حذف الجزء الثاني بأسره^(٢).

يريد أنه يلتبس بما ليس مركباً، فإذا حُذف منه الجزء الثاني كاملاً لم يُعرف، أَمَرَكَب هو أم مفردٌ؟ ولذا تَعَيَّنَ عدم حذف الجزء الثاني كاملاً، وهذا متوجّهٌ، ولكن ذكر السيوطي أن المجيزين لحذف الجزء الثاني بأسره أجابوا عن هذا اللبس بـ"أنه يزول بالانتظار، ولا يتعين إلا إذا خيف"^(٣). يعني أن المرخَّم يجوز أن يبقى على حركة آخر حرف منه مما لم يُحذف، وهو ما يسمى بلغة مَنْ يَنْتَظِر، فكأن المحذوف موجود، وهذا غير متعين. بل يجوز إعرابه على ذلك الحرف، وعدم اعتبار المحذوف، على لغة مَنْ لَا يَنْتَظِر. فإذا خيف اللبس تَعَيَّنَ، وهو جواب ضعيف؛ لأن الانتظار وعدمه لا أثر له في تعيين المحذوف ونوعه.

وما ذهب إليه الفراء وكذا ابن كيسان مبني على المذهب الأصلي في الترخيم وهو حذف الحرف الأخير من المنادى اختصاراً وتسهيلاً للصوت^(٤)، هكذا هو في لغة العرب، فدل ذلك على أن هؤلاء العلماء حملوا هذا الاسم الأعجمي على أحكام الاسم العربي، وعدَّوه بشقيه كلمة واحدة، فحذفوا منه ما يُحذف من العَلَم ذي الكلمة المفردة، ولم يعتبروا تركيبه^(٥).

ومنهم من حمّله على أضرابه من المركبات المزجية في اللغة العربية، فحذفوا الجزء الأخير منه كله عند الترخيم^(٦)، وعليه نص سيبويه - كما تقدم - حملاً لهذا النوع

(١) انظر: ارتشاف الضرب ١٥٥/٣.

(٢) انظر: الهمع ٨٢/٣.

(٣) انظر: الهمع ٨٢/٣.

(٤) انظر: ارتشاف الضرب ١٥٢/٣.

(٥) انظر: الملخص لابن أبي الربيع ١/٦٣٥.

(٦) انظر شرح التسهيل ٤٢٢/٣.

من المركب على ما لحقته تاء التأنيث، نحو: ثمرة وعاتكة، فإنك تقول عند الترخيم: يا تمر، ويا عاتك، بحذف التاء، والجزء الأخير من المركب المزجي محمول على هذه التاء، من عدة أوجه، منها أنه لاحقة لازمة للأول ولا يتحقق معناه إلا بها، وهي مع ذلك لا تلحقه بوزن من الأوزان في عدد الحروف، لأنها على تقدير الانفصال والاستقلال، ومنها لزوم فتح ما قبلها، ومنها أنها لا تغير بناء ما لحقته، ولهذا أجروه عند الترخيم مجرى المؤنث ذي التاء على اعتبار جزئه الثاني كالتاء مما تلحقه، فيقال على هذا الوجه عند ترخيمه: يا سيبُ ويا عَمْرُ، في سيبويه وعمرويه^(١)، كما يقال في بُخْتِ نَصْرٍ وَحَضْرَمَوْتِ: يا بُخْتِ، ويا حضر...كذا نقله السيوطي عن ابن يعيش^(٢)، بحذف الجزء الثاني كله، إجراءً له مجرى التاء من نحو "فاطمة" عند الترخيم^(٣).

ونقل السيوطي عن أبي حيان - رحمهما الله - أنه يختار عدم جواز الترخيم، في المركب تركيب مزج، لأن فيه ثلاث لغات: البناء، والإضافة، والمنع من الصرف، فعلى الأول ينبغي ألا يرخم؛ لكون بنائه لغير النداء ك(حذامٍ) والثاني يمنعه البصريون، والثالث ينبغي ألا يرخم لأنه لم يحفظ عن العرب ترخيم المركب الممنوع من الصرف^(٤)، وهذا إنما ذكره أبو حيان تعليقا على ابن مالك في قوله: "يحذف عجزه إن كان مركبا، فيتناول ذلك المركب بمزج، كحضر موت، وسيبويه، وخمسة عشر، فيقال: يا حضر، ويا سيب، ويا خمسة..."^(٥)

وعقَّبَ ناظر الجيش (٧٧٨هـ) على كلام أبي حيان قائلا: "وأما قوله: إنه لم يرِدْ من لسان العرب ترخيم المركب تركيب مزج إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف، فليس عدم

(١) انظر: المنهاج في شرح جمل الزجاجي ١/٥٧٩.

(٢) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٢٣٠-٢٣١.

(٣) انظر سيبويه ٢/٢٦٧.

(٤) انظر: الهمع ٣/٨٢، وتمهيد القواعد ٧/٣٦٢٤.

(٥) شرح التسهيل ٣/٤٢١-٤٢٢.

وروده بدافع للحكم بحذف عجزه إذا رُخِّم، فالمصنف - يعني ابن مالك - ذَكَرَ ما تقتضيه القواعد النحوية، أما كونه سَمِعَ أو لم يُسَمِعْ فذاك أمر آخر^(١). يريد أن القياس يقتضي حذف آخره عند الترخيم، حملاً له على سائر المركبات، سواء سَمِعَ ذلك أم لم يُسَمِعْ، وهذا إيراد صحيح، وهو محمول على ما تقدم ذَكَرَهُ من سيبويه ناقلًا عن الخليل رحمه الله.

ثم قال ناظر الجيش: "والعجيب أن الشيخ - يعني أبا حيان - ذَكَرَ ترخيمَ المركب وأن البصريين مجمعون على جواز ترخيمه بحذف الثاني، سواء أكان مثل: حضرموت، أم خمسة عشر، أم سيبويه، وأن الكوفيين يمنعون ترخيمه، ثم ذكر أن البصريين يجوزونه على اللغتين، أي لغة من ينتظر ومن لا ينتظر"^(٢).

والحق أن ما استعجبه ناظر الجيش من أبي حيان ليس بعجيب، لأن أبا حيان رحمه الله حكى مذهبي البصريين والكوفيين في المسألة، ثم اختار مذهب الكوفيين بناءً على العلة التي ذكرها، وهذا يدل على أن غلبة المذهب البصري على آرائه كانت عن بَصَرٍ وموافقة لهم لا على مجرد التقليد، وهذا هو اللائق بكل منتسب للعلم.

ويتلخص من هذا أن الأولى تجويز ترخيم هذا النوع من الأسماء، طَرْدًا لقاعدة الترخيم في الأعلام، وحملاً له على نظائره من المركبات المزجية، ولكن ينبغي أن يكون ذلك على مذهب من يعربه ممنوعاً من الصرف، فيقال: ياسيب، ويانفط... في سيبويه ونفطويه، وكذا ما شابههما، بحذف الجزء الثاني من الكلمة، كما تقدم، والله أعلم.

الحُكْمُ الخامس: التصغير

حمل النحويون المركبَ المزجيَّ على المتضايفين في التصغير، بجامع كون كل واحد منهما مكوناً من جزأين، وقد جرت العرب في كلامها على تصغير الجزء الأول من

(١) تمهيد القواعد ٣٦٢٤/٧.

(٢) السابق نفسه.

المضاف والمضاف إليه، فعَدَّ النحويون ذلك الإجراء في المركب المزجي، فقالوا في (حَضْرَمَوْتُ وَبَعْلَبَكْ): حَضْرَمَوْتُ، وَبَعْلَبَكْ، وقالوا في (خَمِيْسَةَ عَشَرَ، كما قالوا في (عبد الله): عَبِيدُ اللَّهِ^(١)، أما الأعلام المختومة بـ(وَيْه) فلم يحملها على المركب الإضافي في هذا الإجراء إلا بعضهم، والسبب في ذلك أنهم يرون أن هذا النوع من الأعلام مركب مع لفظة أعجمية مشابهة للأصوات، فحقه أن يحكى على ما كان عليه، ولا يُغَيَّر، فلا يجوز فيه ما يجوز في الأسماء من التصغير والترخيم والتثنية والجمع والإضافة، ونحو ذلك^(٢).

والذي يقتضيه كلام سيبويه جوازُ تصغيره؛ لأنه حمّله على أمثاله من المركبات المزجية غير المحكية، وقرن (عَمَرَوَيْه) بـ(حَضْرَمَوْتُ وَمَعْدِيكْرَب، وَبُخْتَنْصَر، وَمَارَسَرَجِس، وخمسة عشر) وذكر أنها تُرَخَّم بإسقاط الجزء الأخير منها، وإذا صُغِّرَتْ لم يُحذف منها شيء، كما هو شأن المختوم بتاء التأنيث المرسومة هاء^(٣)، ونص عليه السيوطي أيضا ناقلا عن ابن يعيش^(٤).

وصرح أبو حيان بورود تصغير المختوم بـ(ويه) فيقال فيه: عَمَرَوَيْه، في تصغير: عَمَرَوَيْه، كما قيل: بَعْلَبَكْ، وَحَضْرَمَوْتُ في تصغير: بَعْلَبَكْ وَحَضْرَمَوْتُ؛ لأنه مشبه بهما في التركيب المزجي^(٥)، وذكروا أن ذلك خاص بلغة مَنْ بَنَى^(٦)، والمراد به مَنْ جعل هذا المركب مبنيا ولم يُعربه، كما تقدم؛ لأنه اسم غير متمكن فالقياس عدم تصغيره^(٧).

(١) انظر: سيبويه ٤٧٥/٣، وشرح المفصل ٥٨٠/٢.

(٢) انظر: الجمل في النحول للزجاجي ص ٣٤٠، والملخص لابن أبي الربيع ٦٣٥/١.

(٣) انظر سيبويه ٢٦٧/٢.

(٤) انظر الأشباه والنظائر ٢٣٠/١.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب ١٨٦، ١٨٢/١، والهمع ١٤٩/٦.

(٦) شرح التسهيل للمراذبي ٨٧٢/٢، والهمع ١٤٩/٦.

(٧) انظر الحاشيتين المتقدمتين.

ولكن كونه مركبا شبيها بالمضاف جعل له مزيةً عن سائر المبنيات التي لم تشبهه، ولذلك حُمِلَ على أشباهه بتصغير صدره، كما هو شأن سائر المركبات^(١).

ويتلخص من هذا جواز تصغير هذا النوع من الأعلام دون حذف شيء منه؛ لأنه أشبه المركب المزجي في صورته، وأشبه المركب الإضافي في معناه - وقد تقدم تفصيل ذلك عند الحديث عن نوع تركيبه. وكلاهما يُصَغَّرُ أوله دون حذف شيء منه. والله أعلم.

الحكم السادس: النسبة إليه

تقدم في تبیان نوع تركيب هذا النوع من الأعلام أنه محمول على المركب المزجي، وأنه محكيٌّ، والقياس في النسب إلى النوعين أن يُنسَبَ إلى صدرَيْهِما، ويُحذف عجزاهما تشبيها لهما بالمختوم بالتاء كطلحة ومكة، يقال فيهما: طليحي ومكي، كذا ذكر سيبويه عن الخليل فقال: "كان الخليل يقول: تُلْقِي الْآخِرَ مِنْهُمَا كَمَا تُلْقِي الْهَاءَ مِنْ حَمْرَةٍ وَطَلْحَةٍ؛ لَأَنَّ طَلْحَةَ بِمَنْزِلَةِ حَضْرَمَوْتَ... فَمِنْ ذَلِكَ: خَمْسَةَ عَشَرَ وَمَعْدِيكَرَبَ فِي قَوْلِ مَنْ لَمْ يُضَفْ، فَإِذَا أَضِفْتَ قُلْتَ مَعْدِيَّ وَخَمْسِيَّ، فَهَكَذَا سَبِيلُ هَذَا الْبَابِ..."^(٢) وذكر نحو ذلك في حكم الإضافة إلى المحكي فقال: "فإذا أضفت إلى الحكاية حذفت وتركت الصدر، بمنزلة عبد القيس وخمسة عشر... وذلك قولك في (تَابَطَ شَرًّا): تَابَطِي"^(٣)

وقال ابن إياز (٦٨١هـ): "المرْكَبُ على اختلاف أحواله في إعرابه وبنائه يُنسَبُ إلى الجزء الأول، تقول في (بعلبك): بعلي، وفي (تَابَطَ شَرًّا): تَابَطِي... وأجاز الجرْمِيُّ النسبَ إلى الثاني فتقول في (بعلبك): بَكِّي، والأول القياس لما مضى"^(٤) وذكر مثل ذلك غيره كابن مالك^(٥) والمرادي^(٦) والرَّضِي^(٧)، وأبي حيان^(٨)، والسيوطي^(٩)، وغيرهم.

(١) انظر: شرح الشافية للرضي ٢٤٧/١، ٢٧٢.

(٢) سيبويه ٣/٢٧٤.

(٣) سيبويه ٣/٢٧٧.

(٤) المحصول في شرح الفصول ٩٨٨/٢، ٩٨٩.

(٥) انظر شرح الكافية الشافية ١٩٥٣، ١٩٥٢/٤.

(٦) انظر: شرح تسهيل الفوائد للمرادي ٧٢٩/٢، ٧٣٢.

(٧) انظر: شرح الشافية ٧٣، ٧٢/٢.

(٨) انظر: ارتشاف الضرب ٢٧٩/١.

(٩) انظر الهمع ١٥٥/٦، والأشباه والنظائر ٢٣١/١.

وعلى هذا ينبغي أن يُقال: سَيِّبِي وَعَمْرِيَّ وَخَالِيَّ... في النسب إلى سيبويه وعمرويه وخالويه وأشباهها، ولكن مَنْ يتتبع النسب إلى هذا النوع من الأعلام يجد أنه يُنسب إليه بإلحاق ياء النسب بآخره دون حذف، نحو: سيبويهيَّ، وعمرويهيَّ، أو بعد حذف يائه وهائه، فيقال: سيبوييَّ، وعمروويَّ، ومنه: سَمَوِيَّ، نسبة إلى: سَمَوِيه، وهو اسم جد^(١)، و: السَهْلَوِيَّ، نسبة إلى: سَهْلَوِيه^(٢)، وفي شَبَوِيه: الشَّبَوِيَّ^(٣)، وفي عَبْدَوِيه: عَبْدَوِيَّ، وهو أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس العبدي، من ولد عتبة بن مسعود الهذلي^(٤)، وفي سَلْمَوِيه: سَلْمُونِيَّ^(٥)؛ لأنه لقب لـ (سُلَيْمان) ابن صالح الليثي^(٦)، ففي هذا الوجه روعي في النسبة إليه أصله الأول قبل إلحاق لفظة (ويه) إليه.

هذا هو الجاري في النسب إلى المختوم بـ(ويه)، خلافاً للقياس السابق فيما سواه من المركبات المزجية والمحكية؛ والسبب في هذا أن حذف آخره يؤدي إلى الالتباس بغيره، فلو قيل في النسب إلى (عمرويه): عمري، لالتبس بالمنسوب إلى (عمرو) و(عمر) ولهذا لم يُحذف منه شيء، أو يُحذف منه بعض آخره وأُبقِيَ منه ما يميزه عن غيره، كما تقدم؛ لأن مراعاة وضوح الكلام وعدم التباس بعضه ببعض أولى من مراعاة القياس^(٧). والخلاصة أن جمهور النحويين على جواز تصغير العَلَم المختوم بـ(ويه) وترخيمه والنسبة إليه، على قياس المركب المزجي، والاستعمال يدل على عدم حذف آخره عند النسبة خشية الالتباس بغيره. والله أعلم.

(١) انظر: لب اللباب في تحرير الأنساب ٢٢٤.

(٢) انظر: لب اللباب في تحرير الأنساب ٢٢٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٢٣/١٦.

(٤) المؤلف والمختلف للقيصري ص ١٠١.

(٥) لب اللباب في تحرير الأنساب ٢٢١. ولكنه ضبطه بقوله: "السلموني: بالفتح والسكون والضم، نسبة إلى سلمويه، جدّ انتهي، فضبطه على طريقة الضبط المتبعة عند جمهور المحدثين.

(٦) انظر سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٩، وتهذيب الكمال ٥٣/١١.

(٧) انظر: شرح الشافية ٧٥٧٤/٢.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة العَلَمَ المختوم بلفظة "ويه" واستجلتُ حقائق هذه اللاحقة لغةً واستعمالاً، دراسة لغوية نحوية متخصصة، فتوصلتُ إلى أنها في أصلها عند أهلها مكونة من ضمة طويلة ثم هاء ساكنة، والضمة الطويلة هي المعروفة في العربية بواو المد؛ لأن رمزها في الكتابة واو مضموم ما قبلها، ثم تصرفوا فيها ونطقوها بطُرق فيها شيء من الاختلاف عن الأصل الأول، فتطور نطقها عبر الزمن إلى أن استقر على واو فياءٍ فهاء: (ويه) فتناوَلتها العربُ بما يوافق العربية، وقاسوها على بعض الكَلِم العربية المشابهة لها في النطق، مثل كلمة (وَيْه) اسما للصوت، واسما للفعل، ونطقوها بعدة أوجه، أشهرها: وَيْه، وَيْه، وَيْه، وَيْه، وَيْه، وَيْه.

والكلمة على هذا أصبحت عربية محضة، ولم يبق من عجمتها إلا استصحاب الأصل فيها، والبحث فيها ينبغي أن يخضع لقواعد العربية، وما يجري لنظائرها فيها، ولا يُلْتَفَت إلى النطق الأعجمي ولا إلى أصله؛ لأن الكلمة الآن تحولت إلى النطاق العربي، فيجب أن تُجرى عليها الأحكام العربية، كما هو شأن الأعلام الموجودة من هذا القبيل في القرآن وغيره.

وبيّنتُ الدراسة أن هذه اللاحقة يُلْحَقها الفُرسُ بعضَ الأعلام تلقيباً لمعنى مراد، فهي على هذا مستقلة من حيث الوضع، تلحق آخر الاسم، مراداً بها نسبة ما تلحقه إلى مسماه، سواء أكان اللفظ الذي لحقته لقبا في أصله، أم اسما صريحا، عربيا أو أعجميا، يلحقونها للنسبة، وتبيّن أن المختوم بـ(ويه) من الأعلام يُشبهه من جهة ظاهره المركب المزجي، الذي يَنْزَلُ صدره منزلة صدر الكلمة من عجزها، ويتضمن ثانيه معنى العطف والجمع بين الكلمتين، وهو من جهة المعنى يُحمل على الإضافة؛ لأن كل واحدة من اللفظتين. اللاحقة والملحوقه. ذات دلالة مستقلة في الأصل.

وخَلَصتُ الدراسة إلى أن الأصل في هذه اللفظة البناء؛ لأنها تُشبه الأصوات في اللغة العربية، أو لكونها لفظاً أعجمياً محكياً، أو لأجل التركيب، وكل ذلك واقع فيها.

وَحُرِّكَتْ بِالْكَسْرِ لِالتَّعَاثُفِ السَّاكِنِينَ، وَتَنَوَّنَ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّنْكِيرِ خَاصَّةً، وَتَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُ
النَّحْوِيِّينَ وَأَرَاؤُهُمْ فِي عِلَّةِ الْبِنَاءِ وَنَوْعِ التَّنْوِينِ وَسَبَبِ الْكَسْرِ، وَنَاقَشْتُ الدِّرَاسَةَ آرَاءَهُمْ
فِي ذَلِكَ، وَأَنَّهٗ قَدْ صَحَّ فِيهَا وَجْهٌ آخَرٌ أَثْبَتَهُ جَمْعُ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، وَهُوَ إِعْرَابُهَا مِمَّنْوعَةٌ مِنَ
الصَّرْفِ، وَعَلَى الْوُجْهِينَ يَحْكُمُ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْأَعْلَامِ بِأَحْكَامِ الْمَرْكَبِ مِنْ جِهَةِ الْجَمْعِ
وَالْتَّثْنِيَةِ وَالتَّصْغِيرِ وَالتَّرْخِيمِ وَالنَّسَبِ، مَعَ وَجُودِ بَعْضِ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَخْصُهُ بِسَبَبِ مَا
اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْعِجْمَةِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْحِكَايَةِ وَالشَّبْهِ الصَّوْتِيِّ، وَاسْتَقْصَيْتُ الدِّرَاسَةَ ذَلِكَ
كُلَّهُ وَنَاقَشْتُهُ، وَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

مراجع الدراسة

- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق مصطفى النماس، ط١، ١٤٠٤هـ مطبعة النسر الذهبي .
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لمحمد بن درويش البيروتي، تحقيق عبد الرحمن البيروتي ومحمود الأرناؤوط، ط١، ١٤١٢هـ، دار الفكر، بيروت.
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، عبد العال سالم مكرم ، ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- إصلاح المنطق، ليعقوب بن السكيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٤، دار المعارف، القاهرة.
- الأصول في النحو، لأبي بكر ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط١، ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الإقليد في شرح المفصل، لتاج الدين الجندي، تحقيق محمود الدراويش، ط١، ١٤٢٣هـ جامعة الإمام، الرياض.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٤٠٦هـ دار الفكر، بيروت.
- الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب، تحقيق محمد عثمان، ط١، ٢٠١١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي ، لابن أبي الربيع ، تحقيق عياد الثبتي ، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط / المكتبة العصرية . بيروت.
- تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، نشر مكتبة الحياة، بيروت.
- تنمة يتيمة الدهر، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق مفيد قميحة، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التخمير = شرح المفصل .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للإمام السيوطي، تحقيق أبي قتيبة الفارابي، ط٢، ١٤١٥هـ، بيروت.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق حسن هنداي ، ط١، ١٤١٨هـ دار القلم دمشق .
- تصحيح الفصح وشرحه، لابن درستويه، تحقيق محمد بدوي المختون، ورمضان عبد التواب، ط / ١٤١٩هـ وزارة الأوقاف المصرية.
- التعريفات، للجرجاني، تحقيق محمد المرعشلي، ط١، ١٤٢٤هـ دار النفائس.
- التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي ، تحقيق عوض بن حمد القوزي ، ط١، ١٤١٥/١٦هـ الرياض.

- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحب الدين محمد المعروف بناظر الجيش، حققه مجموعة من المحققين، ط ١، ١٤٢٨هـ، دار السلام، مصر.
- تمييز الطب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لابن الديع، تحقيق محمد الخشت، نشرته مكتبة الساعي بالرياض.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، تحقيق بشاد عواد معروف، ط ١، ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة.
- توجيه اللمع، للعلامة ابن الخباز، تحقيق فايز دياب، ط ١، ١٤٢٣هـ دار السلام، القاهرة.
- توضيح المقاصد والمسالك، لابن أم قاسم المرادي، تحقيق عبد الرحمن سليمان، ط ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
- الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق علي توفيق الحمد، ط ٢، ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- حاشية الصبان على الأشموني، ط / فيصل عيسى البابي الحلبي، مكتبة دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لعلي بن بالي القسطنطيني، تحقيق: حاتم الزامن، ط ٣، ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للعلامة السيوطي، تحقيق محمد عطا، نشرته دار الاعتصام بالقاهرة.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري، تحقيق حاتم صالح الزامن، ط ١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سر صناعة الإعراب لأبي الفتح ابن جني، تحقيق حسن هندأوي، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار القلم، دمشق.
- سيبويه = كتاب سيبويه
- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٧، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرنؤوطيان، ط ١، ١٤٠٨هـ دار ابن كثير، دمشق / بيروت.
- شرح أبيات إصلاح المنطق، لأبي محمد يوسف السيراقي النحوي، تحقيق ياسين السواس، ط ١، ١٤١٢هـ، الدار المتحدة، دمشق.
- شرح التسهيل للمصنف ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، ط ١، ١٤١٠هـ، مصر.
- شرح تسهيل الفوائد للمرادي، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق ناصر حسين علي، ط ١، ١٤٢٨هـ، دار سعد الدين، دمشق.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق صاحب أبو جناح، ط / دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٢.
- شرح الحدود النحوية، جمال الدين الفاكهي، تحقيق صالح العائد، ط / جامعة الإمام، ١٤١١هـ.
- شرح السيراقي = شرح كتاب سيبويه.
- شرح الفريد، لعصام الدين الإسفراييني، تحقيق نوري ياسين، ط ١، ١٤٠٥هـ، مكة.

- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق عبد المنعم هريدي، ط / جامعة أم القرى، دار المأمون للتراث.
- شرح كافية ابن الحاجب، للرزي الإسترأبادي / القسم الثاني، تحقيق يحيى بشير، ط، ١٤١٧هـ. نشرة جامعة الإمام.
- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق رمضان عبد التواب وصاحبه، ط / الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦، ودار الكتب المصرية، القاهرة.
- شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير لصدر الأفاضل الخوارزمي، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط، ١٩٩٠م دار الغرب الإسلامي.
- شرح المفصل لابن يعيش، تحقيق أحمد السيد، ط / المكتبة التوقيفية، القاهرة.
- شرح المقرب، المعروف بـ (التعليقة) لابن النحاس الحلبي، تحقيق خيرى بن عبدالراضي، ط، ١٤٢٦هـ دار الزمان، المدينة المنورة.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط، ٢، ١٤٠٤هـ دار العلم للملايين، بيروت.
- علل النحو، لأبي الحسن الوراق، تحقيق مجمود الدرويش، ط، ١٤٢٠هـ مكتبة الرشد، الرياض.
- العين = كتاب العين
- الفوائد الضيائية على متن كافية ابن الحاجب في النحو، لملا الجامي، تحقيق أحمد عزو، وعلي محمد مصطفى، ط، ١٤٣٠هـ، دار التراث العربي، بيروت.
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمراني، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب سيبويه، لعمر بن قنبر الملقب سيبويه، تحقيق عبد السلام بن محمد هارون، ط، ١٤٠٨، نشر الخانجي، القاهرة.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد التهانوي، تحقيق على دحروج وفريقه، ط، ١٩٩١، لبنان.
- كشف المشكل في النحو، لعلي بن سليمان الحيدرة اليميني، تحقيق هادي الهلالي، ط، ١٤٢٣هـ، دار عمار الأردن.
- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط، ١٤٣٢هـ، مؤسسة الرسالة، دمشق / بيروت.
- كيلة ودمنة، للفيلسوف الهندي بَيَدَبَا، ترجمة عبد الله بن المقفّع، ط / دار أسامة ١٤٢٦هـ الأردن.
- لبّ اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطي، ط، ١٤٢٢هـ دار الفكر، بيروت.
- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، ط، ١٤١٦هـ دار الفكر، دمشق.
- ما لا ينصرف، للزجاج، تحقيق هدى محمود، ط، ١٤١٤هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- المؤتلف والمختلف، لابن القيسراني، ط، ١٤١١هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

- المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، لابن جني، بتعليق مروان العطية، وشيخ الراشد، ط ١، ١٤٠٨هـ دار الهجرة، بيروت.
- المحرر في النحو، لعمر بن عيسى الهرمي، تحقيق منصور علي، ط ٢، ١٤٢٩هـ دار السلام، القاهرة.
- المحصول في شرح الفصول، لابن إياز البغدادي، تحقيق شريف النجار، ط / دار عمار الأردن.
- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن ابن سيده، تحقيق عبد الحميد هندواي، ط ١، ١٤٢١هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، بعناية محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط دار الفكر.
- المسائل الحليات لأبي علي الفارسي، تحقيق حسن هندواي، ط ١، ١٤٠٧هـ دار القلم دمشق.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ط / دار الفكر، ١٤٠٠هـ.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط / دار صادر، بيروت.
- المغني في ضبط أسماء الرجال، للشيخ محمد طاهر الهندي، ط / ١٣٩٩هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
- المغني في ضبط أسماء الرجال، لمحمد طاهر بن علي الهندي، ط / ١٣٩٩هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للعلامة السخاوي، تحقيق محمد الخشت، ط ١، ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
- المقتضب لأبي العباس المبرد، تحقيق عبد الخالق عزيمة، ط ١، القاهرة ١٣٩٩هـ مصر.
- الملخص في ضبط قوانين العربية، لابن أبي الربيع الأشبيلي، تحقيق علي الحكمي، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- المنهاج في شرح جمل الزجاجي، ليحيى العلوي، تحقيق هادي ناجي، ط ١، ١٤٣٠هـ مكتبة الرشد، الرياض.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، للأعلم الشنتمري، تحقيق زهير عبد المحسن، ط ١، ١٤٠٧هـ الكويت.
- هدي الساري مقدمة فتح الباري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، أخرجه محب الدين الخطيب، ط / دار الفكر.
- همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق عبد العال سالم، ط / مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ بيروت.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، باعثناء س. ديد رينغ، ط ٢، ١٤٠١هـ دار النشر فرانز شتاينز بقبسبادن.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

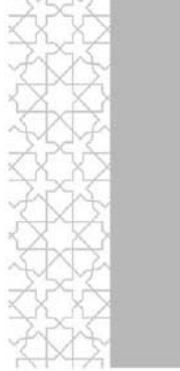
* * *

- Al-Sayuti. *Bughyat Al-Waat Fi Tabagat Al-Lughawyeen Wa Al-Nuhat*. Ed. Muhammad Ibraheem. Beirut: Al-Maktabah Al-Asreeh. (n.d.). Print.
- Al-Sayuti. *Al-Durr Al-Muntatherah Fi Al-Ahadith Al-Mushtaherah*. Ed. Muhammad Ata. Cairo: Dar Al-Eetesam, (n.d). Print.
- Al-Sayuti. *Al-Muzhir Fi Uloom Al-Ughah Wa Anwaeiha*. Ed. Muhammad Jad Al-Mawlaa, Ali Al-Bajjawi, and Muhammad Abu Al-Fadhel. Dar Al-Fikr, (n.d). Print.
- Al-Shantamri, Al-Aalam. *Al-Nukat Fi Tafseer Kitab Sibaweih*. Ed. Zuhair Abdulmuhsen. 1st ed. Kuwait: (n.p), 1407 AH. Print.
- Sibaweih. *Kitab Sibaweih*. (n.p), (n.d).
- Al-Sirafy. *Shareh Kitab Sibaweih*. Ed. Ramadan Abdultawwab and Two of His Friends. Cairo: Al-Hayah Al-Mesryah Li Al-Kitab, Dar Al-Kutum Al-Mesryah, 1986. Print.
- Al-Syrafi, Yusef. *Shareh Abyat Islah Al-Manteq*. Ed. Yaseen Alswas. 1st ed. Damascus: Al-Ddar Al-Mutahedah, 1412AH. Print.
- Al-Tahanwy, Muhammad. *Kashshaf Istelahaat Al-Funun Wa Al-Uloom*. Ed. Ali Dahruj and His Team. 1st ed. Lebanon, 1991. Print.
- Al-Thaalebi, Abu Mansoor, and Mufeed Qumeihah. *Tatemat Yatemat Al-Daheer*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmeih, 1403 AH. Print.
- Al-Thahabi. *Sir Aalaam Al-Nublaa*. Ed. Shueib Al-Arnaut. 7th ed. Muassasat Al-Resalah, 1410AH. Print.
- Al-Warrag, Ibi Al-Hasan. *Ilal AL-Nahu*. Ed. Muhammad Al-Derweesh. 1st ed. Riyadh: Maktabat Al-Rushd, 1420 AH. Print.
- Al-Zabeidy, Muhammad. *Taj Al-Arus*. Beirut: Maktabat Al-Hayah. Print.
- Al-Zajjaj. *Malaa Yansaref*. Ed. Huda Mahmood. 2nd ed. Cairo: Maktabat Al-Khanji, 1414AH. Print.
- Al-Zujaji. *Al-Jumal Fi Al-Nahu*. Ed. Ali Al-Hamad. 2nd ed. Beirut: Muassast Al-Resaleh, 1405 AH. Print.
- _____. Shareh Al-Serafi: Shareh Kitab Sibaweih. (n.p), (n.d).
- _____. Al-Takhmeer: Shareh Mufassal. (n.p), (n.pl).

* * *

- Al-Khawarezmy, Sader Al-Afadhel. *Shareh Al-Mufasssal Fi Senat Al-Eerab Al-Mausum Bi Al-Takhmeer*. Ed. Abdulrahman Al-Othaimeen. 1st ed. Dar Al-Gharb Al-Islami, 1990. Print.
- Al-Mazzy, Al-Hafedh. *Tahtheeb Al-Kamal Fi Asmaa Al-Rejal*. Ed. Bshad Maaruf. 1st ed. Muaassast Al-Resalah, 1413AH. Print.
- Al-Mubrad, Abu Al-Abbas. *Al-Mugtadhab*. Ed. Abdulkhaleq Adhemah. 1st ed. Cairo: (n.p), 1399AH. Print.
- Muhammad, Muheb Al-Deen. *Tamheed Alqawaed Bi Shareh Tasheel Alfawaed*. Ed. Many editors. 1st ed. Egypt: Dar Al-Salam, 1428 AH. Print.
- Mukram, Abdulaal. *Al-Ashbah Wa Al-Nadhaer Fi Al-Nahu Li Al-Sayuti*. 1st ed. - Beirut: Muassasat Al-Resalah, 1406AH. Print.
- Al-Muradi, Al-Hasan. *Shareh Tasheel Al-Fawaed*. Ed. Nasir Ali. 1st ed. Damascus: Dar Saad Edin, 1428AH. Print.
- Al-Muradi, Ibn Um Qasem. *Tawdheeh Al-Maqased Wa Al-Masalek*. Ed. Abdulrahman Suleiman. 2nd ed. Egypt: Maktabat Al-Kulyat Al-Azharyyah. (n.d.). Print.
- Al-Qufti, *Enbah Al-Rewat Alaa Anbaa Al-Nuhat*. Ed. Muhammad Ibrahim. 1st ed. Beirut: Dar Al-Fikr, 1406AH. Print.
- Al-Qustantini, Ali. *Khair Al-Kalam Fi Al-Taqasi AnAghlat Al-Awam*. Ed. Hatem Al-Dhamen. 3rd ed. Muassasat Al-Resalah, 1405 AH. Print.
- Al-Safdi, Salah Edin. *Al-Wafi Bil Wafayat*. Ed. S.Daid Reingh. 2nd ed. Wiesbaden: Fratz Shtiz, 1401AH. Print.
- Al-Sakhawi. *Al-Maqased Al-Hasanah Fi Bayan Katheer Min Al-Ahadeeth Al-Mushtaherah Alaa Al-Alsenah*. Ed. Muhammad Al-Khusht. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1405 AH. Print.
- Al-Sayuti. *Hamee Al-Hawamee*. Ed. Abdulaal Salem. Beirut: Muassast Al-Resaleh, 1413AH. Print.
- Al-Sayuti. *Tadreeb Al-Rrawi Fi Shareh Tagreeb Al-Nawawy*. Ed. Abu Quteibah Al-Farabi. 2nd ed. Beirut, 1415 AH. Print.
- Al-Sayuti. *Lub Alubab Fi Tahreer Al-Ansab*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Fikr, 1422AH. Print.

- Ibn Jini, AbuAlfateh. *Sir Senaat Al-Eeraab*. Ed. Hasan Handawi. 1st ed. Damascus: Dar Al-Qalam, 1405AH. Print.
- Ibn Jini. *Al-Mubhej Fi TafseerAsmaaShuaraa Al-Hamasah*. Ed. Marwan Al-Ateyah and Sheikh Al-Rashed. 1st ed. Beirut: Dar Al-Hijrah, 1408 AH. Print.
- Ibn Al-Kaysarani. *Al-MuatelefWa Al-Mukhtalef*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmyah, 1411AH. Print.
- Ibn Al-Khabbaz. *Tawjeeh Al-Lamee*. Ed. Fayez Deyab. 1st ed. Cairo: Dar Al-Salam, 1423AH. Print.
- Ibn Khalkan. *Wafayat Al-Aayan*. Ed. Ihsan Abbas. Beirut: Dar Sader, (n.d.) Print.
- Ibn Malik. *Shareh Al-Tasheel*. Ed. Abdulrahman Al-Sayyed and Muhammad Al-Makhtoon. 1st ed. Egypt, 1410AH. Print.
- Ibn Malik. *Shatreh Al-Kkafiah*. Ed. AbdulmunemHareedy. Dar Al-Maamun Li Al-Turath (n.d). Print.
- Ibn Abi Al-Rabeea. *Al-Baseet Fi SharehJumal Al-Zujajy*. Ed. Ayyad Al-Thubeity. 1st ed. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Eslami, 1407AH. Print.
- Ibn Saydah, Ibi Hasan. *Al-MuhkamWa Al-Muheet Al-Aadham*. Ed. AbdulhameedHindawi. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmyah, 1421AH. Print.
- Ibn Al-Seraj, Abu Bakr. *Al-Usool Fi Al-Nahu*. Ed. Abdulhusein Al-Fatly. 1st ed. Beirut: Muassast Al-Resalah, 1405AH. Print.
- Ibn Yaeesh. *Shareh Al-Mufasssal*. Ed. Ahmad Al-Sayyed. Cairo: Al-Maktabah Al-Tawgifyyah, (n.d). Print.
- Al-Jarjani. *Al-Taareefat*. Ed. Muhammad Al-Marashli. 1st ed. Dar Al-Nafaes, 1424AH. Print.
- Al-Jawhary, Ismaeel. *Al-Sehah: Taj Al-UghahWaSihah Al-Arabyah*. Ed. Ahmed Attar. 3rd ed. Beirut: Dar Al-Elem Li Al-Malayeen, 1404AH. Print.
- Al-Jundi, Taj Eldeen. *Al-Egheed Fi Sharh Al-Mufasssal*. Ed. Muhammad Al-Daraweesh. 1st ed. Riyadh: Imam U, 1423AH. Print.
- Al-Kafawy, Abi Al-Bagaa. *Al-Kulyyat*. Ed. Adnan Durweesh and Muhammad Al-Masry. 2nd ed. Damascus: Muassasat Al-Resala, 1432AH. Print.



- Al-Fakhi, Jamal Edin. *Sharh Al-Hudud Al-Nahweih*. Ed. Saleh Al-Aed. Imam U, 1411AH. Print.
- Al-Farahydi, Al-Kaleel. *Kitab Al-Ayn*. Ed. Mahdi Al-Makhzwmy and Ibrahim Al-Sameraay. Dar WaMaktabat Al-Hilal, (n.d). Print.
- Al-Faresi, Abu Ali. *Al-Masael Al-Halabyat*. Ed. Hasan Hindawi. 1st ed. Damascus: Dar Al-Qalam, 1407AH. Print.
- Al-Faresi, Abu Ali. *Al-TaaleeqatAlaaKitabSibaweih*. Ed. Awadh Al-Quzi. 1st ed. Riyadh, 1415AH. Print.
- Ghunber, Amr. *KitabSibaweih*. Ed. Abdulsalam Haroon. 3rd ed. Cairo: Al-Khanji, 1408AH. Print.
- Al-Halabi, Ibn Al-Nahhas. *Shareh Al-Mugarrab*. Ed. KhayriAbdulradhi. 1st ed. Medina: Dar Al-Zaman, 1426AH. Print.
- Al-Hamawi, Yaqut. *Muajam Al-Udabaa*. Dar Al-Fikr, 1400AH. Print.
- Al-Hamawi, Yaqut. *Muajam Al-Buldan*. Beirut: Dar Sader, (n.d). Print.
- Al-Hanbali, Ibn Al-Emaad. *Shatharat Al-Thahab Fi Akhbar Man Thahab*. Ed. Abdulqader Al-Arnaut and Mahmood Al-Arnaut. 1st ed. Damascus: Dar Ibn Katheer, 1408 AH. Print.
- Al-Haramy, Omar. *Al-Muharrar Fi Al-Nahu*. Ed. Mansour Ali. 2nd ed. Cairo: Dar Al-Salam, 1429AH. Print.
- Al-Haydarah, Ali. *Kashf Al-Mushkel Fi Al-Nahu*. Ed. Hadi Al-Hilali. 1st ed. Tordan: Dar Amaar, 1423AH. Print.
- Al-Hindi, Muhammad. *Al-Mughni Fi DhabtAsmaa Al-Rijal*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Arabi, 1399AH. Print.
- Ibn Al-Deibaa. *Tameez Al-Teib Min Al-KhabeethFimaYadurAlaaAlsenat Al-Naas Min Al-Hadith*. Ed. Muhammad Al-Khesht. Riyadh: Al-Saei Library (n.d). Print.
- Ibn Durustueih. *Tasheeh Al-FaseehWaSharhih*. Ed. Muhammad Al-Makhtuoon and Ramadhan Abultawwab. Egyptian Ministry of Endowments, 1419AH. Print.
- Ibn Al-Hajeb. *Al-Eydhah Fi Shareh Al-Mufasssal*. Ed. Muhammad Othman. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmeih, 2011. Print.



Sources and references

- Al-Aakbary, Abi Al-Bagaa. *Al-Lubab Fi Elal Al-BenaaWa Al-Eerab*. Ed. AbdulelahNabhan. 1st ed. Damascus: Dar Al-Fikr, 1416AH. Print.
- Al-Aanbari, Abu Bakr. *Al-Zaher Fi MaaniKalemat Al-Nas*. Ed. Hatem Al-Dhamen. 1st ed. Beirut: Muassasat Al-Resalah, 1412AH. Print.
- Al-Aasqalani, Al-Hafedh. *Hadi Al-Sari MugadematFateh Al-Bari*. Ed. Muheb Al-Deen Al-Khateeb. Dar Al-Fikr, (n.d). Print.
- Al-Alawi, Yahya. *Al-Minhaj Fi SharehJumal Al-Zujajy*. Ed. HadiNaji. 1st ed. Riyadh: Maktabat Al-Rushd, 1430AH. Print.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan. "Al-Nasir Al-Thahabi." *Irtishaf Al-Dharb Min Lisan Al-Arab*. Ed. Mustafa Al-Nammas. 1st ed. 1404AH. Print.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan. *Al-TatheelWa Al-Takmeel Fi SharehKitabAltasheel*. Ed. Hasan Handawi. 1st ed. Damascus: Dar Al-Qalam, 1418 AH. Print.
- Al-Ashbily, Ibn Abi Al-Rabeea. *Al-Mulakhas Fi DhabtQawaneen Al-Arabyah*. Ed. Ali Al-Hakamy. 1st ed. (n.p), 1405AH. Print.
- Al-Ashmoni, Ali. *Hashyat Al-Suban*. Cairo: Maktabat Dar Ehiaa Al-Kutub. (n.d). Print.
- Al-Baghdadi, Ibn Eyaz. *Al-Mahsul Fi Shareh Al-Fusul*. Ed. Shareef Al-Najjar. Jordan: Dar Amar, (n.d). Print.
- Al-Beiruty, Muhammad. *Asna Al-Mataleb Fi HadhithMukhtalaf Al-Marateb*. Ed. Abdulrahman Al-Beiruty and Muhammad Al-Ernaut. 1st ed. Beirut: Dar Al-Fikr, 1412AH. Print.
- Bidba, and Abdullah Ibn Al-Mugaffaa. *KalyalahWaDumnah*. Jordan: Dar Usamah, 1426AH. Print.
- Al-Esferayeeni, EsamEdin. *SharehAlfareed*. Ed. Nuri Yaseen. 1st ed. Makkah: (n.p), 1405 AH. Print.
- Al-Eshbili, Ibn Asfur. *SharehJumal Al-Zujaji*. Ed. Saheb Abu Janah. Iraq: Dar Al-Kutub Al-Elmeih, 1982. Print.
- Al-Esterabathy, Al-Radhy. *SharehKafiat Ibn Al-Hajeb*. Ed. Yahya Basheer. 1st ed. Imam U, 1417AH. Print.

**discussion of Proper Names Having "Weih" as Suffix and Their
Grammatical Rules A Phonological, Semantic and Syntactic Analysis**

Dr. Abdullah Ibn Muhammad Ibn Mahdi Al-Ansari

Department of Syntax, Morphology and Philology,
College of Arabic Language
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research deals with the suffix (Weih) with regard to the semantics, phonology and syntax of Arabic proper names having such a suffix. The study concludes that this suffix is of Persian origin. Then, it went through Arabic morphological processes and was Arabized taking different phonological forms. Thus, the rules of Arabic names were applied to it. Proper names having that suffix are considered fusional compounds. Therefore, the rules of syntax, grammar, declension, reported speech, duality, plurality, minimization, shortening, relativity are applied with some restrictions due to its foreign origin, phonological structure and fusional compounding.



هل تفيد (لن) النفي التأييدي كما زعم الزمخشري؟

د. حسن عبد العاطي محمد عمر
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم



هل تفيد (لن) النفي التأييدي كما زعم الزمخشري؟

د. حسن عبد العاطي محمد عمر

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث:

هذا البحث مدونته القرآن الكريم وقد اشتمل على تمهيد تناول عمل (لن)، وأصلها واختلاف العلماء فيه، والجزم بها، والفصل بينها وبين معمولها، ووقوعها في جواب القسم، ثم كان لب موضوعه ما ذهب إليه الزمخشري من القول بدلالة (لن) على النفي التأييدي، ولما نقشة هذا القول تطرق البحث لكل المعاني التي تدل عليها (لن)، وهي: مطلق النفي في المستقبل، وتأكيده النفي، وقصر النفي، والدعاء، والنفي المؤبد، وقد نوقشت هذه المعاني باستفاضة، بإيراد كل من قال بمعنى منها ومن عارضهم، والشواهد التي اعتمدوا عليها من القرآن الكريم، مع التركيز أكثر على معنى التأييد، لأنه هو المستهدف في العنوان، فعرض البحث الآيات التي اعتمد عليها الزمخشري في دلالة النفي التأييدي، وتبين أن الأدلة والشواهد التي تعارض النفي التأييدي قوية وكثيرة، وذكر بعض النحاة كابن مالك والزركشي أن الزمخشري قال بدلالة (لن) على النفي التأييدي خدمة لمذهبه الاعتزالي الذي ينفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة مستفيداً من ورود (لن) في قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾. وختم البحث بخلاصة فيها أهم النتائج التي وصل إليها البحث، مع إثبات المراجع التي استفاد منها.



تقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه وتابعيه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فهذا البحث المعنون بـ(هل تفيد (لن) النفي التأييدي كما زعم الزمخشري؟)، ليس بكرةً في دراسة (لن)، وإنما هو مسبق بغيره من الدراسات عنها، سواء أكانت في طيات الكتب أم مفردة لها في بحث خاص، فما كان في طيات الكتب فهو التناول الطبعي لها كغيرها من حروف المعاني في كتب النحو وبعض التفاسير، وأما البحوث الخاصة بها فمنها بحث الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي المنشور في مجلة أم القرى - المجلد الحادي عشر، والمعنون بـ(قضايا "لن" في النحو العربي)، وقد تناول هذا البحث قضايا (لن) بصورة عامة، ولم يقيد بها بالزمخشري أو بمعنى خاص أو بمدونة محددة، وكذلك مقال لأبي عبد الله الأثري مشرف منتدى التوحيد في منتديات السرداب، والمقال منشور في هذه المنتديات إلكترونياً بعنوان (القول المفيد في أن (لن) لا تفيد التأييد وتحقيق مذهب الزمخشري في ذلك)، وكان الهدف العام من هذا المقال دحض مذهب المعتزلة في عدم رؤية الله تعالى في الآخرة وإظهار مذهب السنة والجماعة، وقد سار هذا المقال على طريقة كتابة المقال ولم يلتزم بمنهجية البحث، كما ركز على الاتجاه الديني في هذه المسألة أكثر من تركيزه على الاتجاه اللغوي. وأما هذا البحث فقد امتاز عن غيره بأنه تطبيقي على القرآن الكريم، وأنه قد ركز على قضية النفي التأييدي لـ(لن) عند الزمخشري، وسيتطرق للإجابة عن عنوانه من واقع ورود (لن) في القرآن الكريم، مستعيناً بأقوال النحاة والمفسرين في توجيه المعاني التي تدل عليها، خاصة أنها قد وردت في القرآن الكريم دالة على معاني مختلفة، تتراوح ما بين النفي التأييدي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِنَخْلُقْهُمْ ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾، الحج: ٧٢، والنفي في أزمان متفاوتة في الطول، لكن له نهاية ينتهي عندها، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم: ٢٦.

وقوله: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ طه: ٩١، وقوله: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِئَٰبَىٰ أَوْ يَخُفَّكُمْ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يوسف: ٨٠، وغير ذلك من المعاني.

وقد جاء هذا البحث في تمهيد وخمسة معانٍ لـ (لن) تحت عنوانه الرئيس، وخاتمة، وقائمة بالمراجع التي وردت فيه، فأما التمهيد فقد اشتمل على عمل (لن)، وأصلها وآراء العلماء في أصلها، والجزم بها، والفصل بينها وبين معمولها، ووقوعها في جواب القسم. وأما المعاني التي وردت تحت العنوان فهي:

الأول: دلالتها على مطلق النفي في المستقبل.

الثاني: دلالتها على تأكيد النفي.

الثالث: دلالتها على الدعاء.

الرابع: دلالتها على قصر زمن النفي.

الخامس: دلالتها على التأييد.

وقد نسبت هذه المعاني إلى قائلها، مع إيراد الشواهد عليها، ومناقشتها، وتوضيح جوانب القوة والضعف في كل منها، وقد أخذ البحث وقفة طويلة مع معنى التأييد، حيث عرض لأول من قال به، وإلى الألفاظ التي استخدمها الزمخشري للدلالة عليه، وإلى الذين تابعوه في القول به، والذين عارضوه، والشواهد التي تناقضه، ثم الحكم على (لن) أن تدل على التأييد أم لا. وأما الخاتمة فقد اشتملت على ملخص ما توصل إليه البحث.

* * *

عمل (الن) وأصلها:

(الن) حرف نفي واستقبال، وهي من الحروف التي تنصب الفعل المضارع بنفسها، قال المالقي: "أعلم أن (الن) حرف ينفي الأفعال المضارعة، ويخلصها للاستقبال معنى، ... وهي حرف ناصب للفعل الذي بعدها بنفسها على مذهب سيبويه وأكثر النحويين"^(١)، وقد اختلف النحاة في أصلها على ثلاثة مذاهب:

فذهب الخليل بن أحمد والكسائي إلى أن أصلها (لا أن)، ثم حذفت همزة (أن) لكثرة الاستعمال، فصارت (لأن)، فحذف الألف لالتقاء الساكنين، فأصبحت (لن)، قال سيبويه: "فأما الخليل فزعم أنها (لا أن)، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا: (ويلمه) يريدون وي لأمه، وكما قالوا يومئذٍ، وجعلت بمنزلة حرف واحد، كما جعلوا (هلا) بمنزلة حرف واحد، فإنما هي (هل) و(لا)^(٢)، وقال السيوطي: "قال الخليل والكسائي إنها مركبة من (لا أن)^(٣)، وقد علل السيوطي ما ذهب إليه الخليل والكسائي بأن (لن) تشتمل على معنى الحرفين معاً ولفظيهما، فقال: "والحامل لهما على ذلك قربها في اللفظ من (لا أن) ووجود معنى (لا) و (أن) فيها، وهو النفي والتخليص للاستقبال"^(٤)، وقد ضعف بعض النحويين ما ذهبوا إليه، قال ابن هشام: "ولا أصل (لن) (لا أن)، فحذفت الهمزة تخفيفاً والألف للساكنين خلافاً للخليل والكسائي، بدليل جواز تقديم معمول معمولها عليها

١ - المالقي، أحمد بن عبد النور (المتوفى: ٧٠٢هـ): رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٢٨٥.

٢ - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ٥/٣.

٣ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: ٩١١هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، ٣٦٥/٢.

٤ - السيوطي: همع الهوامع ٣٦٥/٢.

نحو: زيداً لن أضرب"^(١)، وقال ابن يعيش: "وهو قول يضعف إذ لا دليل يدل عليه، والحرف إذا كان مجموعته يدل على معنى فإذا لم يدل دليل على التركيب وجب أن يعتقد فيه الأفراد، إذ التركيب على خلاف الأصل"^(٢).

وذهب الفراء إلى أن أصلها (لا)، ثم أبدلت ألفها نوناً، فصارت (لن)، قال الزمخشري: "وعند الفراء (لا) أبدلت ألفها نوناً"^(٣)، فلعله رأى أن (لن) تشابه (لا) في نفي المستقبل، وأن النون أحياناً تقلب ألفاً، كما في نون التوكيد الخفيفة ونون التنوين في حالة النصب، وقد ضعف ما ذهب إليه أيضاً ابن هشام وابن يعيش، قال ابن هشام: "المعروف إنما هو إبدال النون ألفاً لا العكس، نحو: ﴿لَسْمَعًا﴾^(٤) و﴿وَلَيَكُونَا﴾^(٥)"^(٦)، وقال ابن يعيش: "وكان الفراء يذهب إلى أن الأصل في (لن) ولم (لا)، وإنما أبدل من ألف (لا) النون في (لن)، والميم في (لم)، ولا أدري كيف اطلع على ذلك، إذ ذلك شيء لا يطلع عليه إلا بنص من الواضع"^(٧).

ومذهب جمهور النحاة وسيبويه أنها حرف مفرد بسيط ليس فيه تركيب أو إبدال، قال السيوطي: "من نواصب المضارع (لن) والجمهور أنها حرف بسيط لا تركيب فيها ولا

١ - ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥م، ٣٧٤.

٢ - ابن يعيش: موفق الدين يعيش بن يعيش النحوي (المتوفى: ٦٤٣هـ): شرح المفصل، طبعة عالم الكتب بيروت، ١٦/٧.

٣ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٢٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٠٢/١.

٤ - من الآية: ﴿كَأَنَّ لِرَبِّهِ لَسْمَعًا يَأْتَا صِيَةً﴾ العلق: ١٥.

٥ - من الآية: ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ، كَيْسَجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ يوسف: ٣٢.

٦ - ابن هشام: المغني ٣٧٣، ٣٧٤.

٧ - ابن يعيش: شرح المفصل، ١٦/٧.

إبدال^(١)، وقال سيبويه بعد أن أورد قول الخليل الذي تقدم في المذهب الأول: "وأما غيره فزعم أنه ليس في (لن) زيادة، وليست من كلمتين ولكنها بمنزلة شيء على حرفين، ليست فيه زيادة، وأنها في حروف النصب بمنزلة (لم) في حروف الجزم، في أنه ليس واحد من الحرفين زائداً"^(٢). وما يدل على أن هذا هو المذهب الذي يراه سيبويه انتقاده لما ذهب إليه الخليل بقوله: "ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلت: أما زيداً فلن أضرب؛ لأن هذا اسم، والفعل صلة. فكأنه قال: أما زيداً فلا الضرب له"^(٣)، ويريد بذلك أن معمول معمول (لن) تقدم عليها، أي أن (زيداً) عمل فيه النصب (أضرب)، و(أضرب) عمل فيها النصب (لن)، وعلى الرغم من ذلك تقدم (زيداً) على (لن)، وهذا يدل على أن (لن) ليست مكونة من (لا أن)، لأنها لو كانت كذلك لما جاز ذلك؛ لأن معمول معمول (أن) المصدرية لا يتقدم عليها؛ لأنها هي وما تعمل فيه في تأويل اسم مفرد، والاسم المفرد لا يتقدم عليه ما كان في حيزه، أي لا يتقدم عليه ما كان بمثابة الجزء منه مثل التاء من (بنت) فلا يجوز أن تتقدم على الباء والنون، قال ابن يعيش في (لن): "ويجوز أن يتقدم عليها ما عملت فيه من الفعل المنصوب نحو قولك: زيداً لن أضرب، بخلاف (أن)، لأن (أن) وما بعدها مصدر، فلا يتقدم عليه ما كان في حيزه"^(٤)، وأيضاً انتقد المبرد ما ذهب إليه الخليل بقوله: "وليس القول عندي كما قال، ...، ولكن (لن) حرف بمنزلة (أن)"^(٥). ولعل هذا المذهب أقصد مذهب سيبويه وجمهور النحاة هو الأرجح، خاصة أن الزمخشري ذكر في الكشف أن للخليل رواية أخرى توافق ما ذهب إليه سيبويه والجمهور من بساطة (لن)

١- السيوطي: همع الهوامع، ٢/٣٦٥.

٢- سيبويه: الكتاب، ٣/٥.

٣- سيبويه: الكتاب، ٣/٥.

٤- ابن يعيش: شرح المفصل، ٧/١٥.

٥- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (المتوفى: ٢٨٥هـ): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة،

طبعة عالم الكتب بيروت، ٢/٨.

وعدم تركيبها، قال: "وإحدى الروايتين عن الخليل: حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل"^(١)، كما أنه رجح هذا المذهب على غيره، فقال: "وهي عند سيبويه حرف برأسه وهو الصحيح"^(٢)، وهو مذهب كثير من النحاة المتقدمين، قال ابن الوراق: "الـن) حرف قائم بنفسه وضع للفعل المستقبل"^(٣).

الجزم بـ(الـن):

وردت (الـن) جازمة في بعض المواضع، وقد وجه العلماء هذا الجزم على أنه لغة لبعض العرب، قال الخليل "وقد يجزمون بـ(الـن) وأخواتها"^(٤)، وقال ابن عطية: "ومن العرب من تجزم بها، ذكره أبو عبيدة، ومنه بيت النابغة على بعض الروايات:
* فلن أعرضُ أبيت اللعن بالصفد *"^(٥).

وفي الحديث في منامة عبد الله بن عمر ف قيل لي: (لن تُرَع)^(٦).

١- الزمخشري: الكشاف ١/١٠٢.

٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور علي بوملحم، الناشر مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٣م، ٤٠٧.

٣- ابن الوراق، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٣٨١هـ): علل النحو، تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص ١٩٣.

٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ): الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ، ص ٢١١. (هذا الكتاب منسوب إلى الخليل، وقيل الأصل هو كتاب: المحلى في وجوه النصب لأبي بكر بن شقير البغدادي المتوفى سنة ٣١٧هـ، حققه دكتور فائز فارس).

٥ - هذا عجز بيت وصدره: هذا الثناء فإن تسمع به حسناً.

٦ - هذا الحديث ورد في كثير من كتب الحديث، ونصه في مصنف عبد الرزاق، هو: عن ابن عمر قال: كان الرجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فتمنيت رؤيا أقصها على النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكنت غلاماً عربياً، فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا للنار شيء كقرني البئر - يعني بقرني البئر: الساريتين للبئر - وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، فلقبهما ملك آخر فقال: لن ترع، فقصصتها

هذا على تلك اللغة^(١)، وقال ابن حجر في شرح الحديث السابق: "وتقدم في باب الأمن من كتاب التعبير توجيه ابن مالك لنظير هذا في قول (لن ترع) وحكايته عن الكسائي أن الجزم بـ(لن) لغة لبعض العرب^(٢)، وقال أبو حيان: "وذكروا أن الجزم بها لغة، وأنشد ابن الطراوة:

لن يَخِبِ الآن من رجائك من ... حرَّك دون بابك الحلقة^(٣)

وقال الأشموني: "زعم بعضهم أنها قد تجزم كقوله:

أيادي سبا يا عزمًا كنت بعدكم ... فلن يحل للعينين بعدك منظر^(٤)"

فيتضح من الشواهد السابقة مجيء (لن) جازمة مثل (لم)، وإن كان الأصل فيها ألا تجزم لاختصاصها بالنصب، وقد علل السهيلي ذلك بشبهها لـ(لم) في إفادة النفي واختصاصها بالأفعال، قال: "فكان ينبغي أن تكون جازمة كـ(لم)، لأنها حرف نفي مختص بالأفعال، فوجب أن يكون إعرابه الجزم الذي هو نفي الحركة وانقطاع الصوت، ليتطابق اللفظ والمعنى، وقد فعلت ذلك طائفة من العرب، فجزمت بها حين لحظت هذا الأسلوب^(٥)، ثم علل مجيئها في النصب أكثر من الجزم بناء على تكوينها من (أن) مع

على حفصة، فقصتها حفصة، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل». الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الحميري اليماني (المتوفى: ٢١١هـ): المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨١/١.

١ - ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت، ١٠٧/١.

٢ - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أخرجه محب الدين الخطيب، الناشر دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ٢٢٣/١٣.

٣ - أبو حيان، محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق صديقي محمد جميل، طبعة دار الفكر ببيروت، ١٦٦/١.

٤ - الأشموني، علي بن محمد بن عيسى (المتوفى: ٩٠٠هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٨٠/٣.

٥ - السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: ٥٨١هـ): نتائج الفكر في النحو، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ، ص ١٠٠.

(لا) - على مذهب الخليل -، باعتبار أنَّ (أَنَّ) مختصة بالأفعال فقط، فأوجب لها أن تعمل مثل عملها وهو النصب، ولم تشابه (لا) التي أكسبتها النفي في العمل؛ لأن (لا) غير مختصة بالأفعال دون الأسماء، بل قد ترد مع الأفعال والأسماء، فلذا كان مراعاة (أَنَّ) أولى من مراعاة (لا)، فقال: "وأكثرهم ينصب بها مراعاة لـ (أَنَّ) المركبة فيها مع (لا)، إذ هي من جهة الفعل وأقرب إلى لفظه، فهي أحق بالمراعاة من معنى النفي، فرب نفي لا يجزم الأفعال، وذلك إذا لم يختص بها دون الأسماء، والنفي في هذا الحرف إنما جاءه من قبل (لا)، و(لا) غير عاملة، لعدم استبدالها بالأفعال دون الأسماء، ولذلك كان النصب بها أولى من الجزم"^(١).

الفصل بين (لن) ومعمولها:

لا يجوز الفصل بين (لن) ومعمولها عند البصريين، وجوز الكسائي الفصل بالقسم وبمعمول الفعل، وتبعه الفراء في القسم، وزاد عليه الفصل بالشرط (وظن)، قال السيوطي: "لا يجوز الفصل بين (لن) وبين الفعل في الاختيار؛ لأنها محمولة على سيفعل، وكذلك لم يجز لن تفعل ولا تضرب زيداً، بنصب (تضرب)؛ لأن الواو كالعامل فلا يفصل بينها وبين الفعل بـ (لا) كما لا يقال: لن لا تضرب زيداً، هذا مذهب البصريين وهشام، واختار الكسائي الفصل بالقسم ومعمول الفعل نحو: لن والله أكرم زيداً، ولن زيداً أكرم، ووافقه الفراء على القسم، وزاد جواز الفصل بـ (أظن) نحو: لن أظن أزورك، بالنصب، وبالشرط نحو: لن إن تزرني أزورك، بالنصب"^(٢).

وقوع (لن) في جواب القسم:

هناك خلاف بين النحويين في جواز وقوع (لن) في جواب القسم، وأكثرهم يمنعه، ولعل أول من ذهب إلى جواز وقوعها الطبري، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ

١ - السهيلي: نتائج الفكر في النحو، ص ١٠٠.

٢ - السيوطي: همع الهوامع، ٢/ ٣٦٧.

بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىٰ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) القصص: ١٧، قال: "كأنه أقسم بذلك، ...، يقول: فلن أعين بعدها ظالماً على فجره" (١)، والمعنى: فبنعمتك عليّ فلن أعين مجرماً، فتكون (لن) واقعة في جواب القسم، وقد أكد هذا المعنى الرازي في تفسيره، قال: "قال القفال: كأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظاهر مجرماً، والباء للقسم أي بنعمتك عليّ" (٢)، وضعف ابن عطية وقوع (لن) في جواب القسم، قال: "وقال الطبري إنه قسم أقسم بنعمة الله تعالى عنده، ويضعفه صورة جواب القسم، فإنه غير متمكن في قوله (فلن أكون)، والقسم لا يتلقى بـ(لن)، والفاء تمنع أن تنزل (لن) منزلة (لا) أو (ما) فتأمل" (٣)، وذكر ابن هشام أن وقوع (لن) في جواب القسم نادر، قال: "وتلقّي القسم بها وبلم نادر جداً كقول أبي طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا" (٤)

وقد ذهب الزمخشري في توجيه القسم مع (لن) في هذه الآية مذهباً وسطاً، حيث جعل جواب القسم محذوفاً، و(لن) وما دخلت عليه متعلق في المعنى بهذا المحذوف قال: "بما أنعمت عليّ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك على بالمغفرة لأتوبنّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين" (٥).

١ - الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر،

الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٥٤٢/١٩.

٢ - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، طبعة دار

التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ٥٨٦/٢٤.

٣ - ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٨١/٤.

٤ - ابن هشام: المغني ٣٧٥.

٥ - الزمخشري: الكشاف ٣٩٨/٣.

هل تفيد (لن) معنى التأييد؟

للإجابة عن هذا السؤال الذي هو عنوان البحث، لابد من الوقوف على كل المعاني التي تدل عليها (لن)، ومن ثم تتم الإجابة بشكل موضوعي وعلمي، وقد ذكر النحاة أكثر من معنى لـ (لن)، ويمكن سرد هذه المعاني على النحو التالي:

الأول: الدلالة على النفي في المستقبل مطلقاً:

مذهب أئمة العربية من النحاة المتقدمين أن (لن) تنفي الفعل في المستقبل مطلقاً من دون تقييد بزمان معين يفهم من لفظها، فإن قلت: لن أقوم، فهو محتمل أنك لا تقوم أبداً، أو أنك لا تقوم في بعض أزمنة المستقبل، قال سيبويه: "وإذا قال: سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل"^(١)، وقال أيضاً: "والسين التي في قولك: سيفعل، وزعم الخليل أنها جواب لن يفعل"^(٢)، وقال المبرد: "فإذا قلت: سيفعل أو سوف يفعل، فقد أخلصت الفعل لما لم يقع، فإذا قلت: لن يفعل فهو نفي لقوله سيفعل"^(٣)، وقال الزجاجي: "(لن) تنفي المستقبل كقولك لن يخرج زيد غداً"^(٤)، وقال ابن الوراق: "(لن) حرف قائم بنفسه وضع للفعل المستقبل"^(٥)، فيتضح مما تقدم أن (لن) تنفي الفعل في المستقبل مطلقاً دون التقييد بزمان طويل أو قصير، لأن السين و(سوف) اللتين وردتا في أقوال هؤلاء الأئمة من النحاة تستخدمان فيما قصر من زمان المستقبل وما طال، فالسين يمكن أن تكون للمستقبل القريب، بينما تصلح (سوف) للمستقبل البعيد، قال أبو البركات الأنباري:

١ - سيبويه: الكتاب، ١١٧/٣.

٢ - سيبويه: الكتاب، ٢١٧/٤.

٣ - المبرد: المقتضب، ٤٧/١.

٤ - الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (المتوفى: ٣٣٧هـ): حروف المعاني والصفات، تحقيق علي توفيق الحمد، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص ٨.

٥ - ابن الوراق: علل النحو، ١٩٣/١.

” (سوف) أشدّ تراخياً في الاستقبال من السين”^(١)، وقال العكبري: ”وإنما اختصت السين بالفعل، لأن معناها جواب (لن يفعل)، وكذلك (سوف)، إلا أن (سوف) تدل على بُعد المستقبل من الحال والسين أقرب إلى ذلك منها”^(٢)، وأما (غدا) التي وردت في أقوالهم فهي تدل على الزمان المحدد في المستقبل، وقد وردت (لن) في القرآن الكريم دالة على هذه الأزمان التي أشاروا إليها كلها، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم: ٢٦، فدلّت (لن) في هذه الآية على نفي الكلام في زمن محدد، مقداره يوم يبتدئ من لحظة حديثها، قال الطبري: ”فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتاً ألا أكلم أحداً من بني آدم اليوم”^(٣)، وقال أيضاً: ”فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي، فقليل لها: لا تزيدني على هذا”^(٤)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِيدَينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ طه: ٩١، وفي هذه الآية دلت على النفي في زمن ممتد له نهاية، ونهايته رجوع موسى، كما أنها اجتمعت فيها مع ما هو لانتهاه الغاية، وهو الحرف (حتى)، مما يدل على عدم استمرارية النفي بها إلى الأبد، قال أبو حيان: ”وقالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له، وغياوا ذلك برجوع موسى، وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم إلى الاستدلال، وأخذ بتقليدهم السامري، ودلالة على أن (لن) لا تقتضي التأبيد خلافاً للزمخشري، إذ لو كان من موضوعها التأبيد لما جازت التغيية بـ(حتى)، لأن التغيية لا تكون إلا حيث يكون الشيء محتملاً فيزيل ذلك الاحتمال

١ - الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٥٧٧هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين

النحويين البصريين والكوفيين، الناشر المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ٥١٤٢٤هـ، ٢/٥٣٣.

٢ - العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (المتوفى: ٦١٦هـ): اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق د.

عبد الإله النبهان، الناشر دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١/٤٩.

٣ - الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٢١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر،

طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٨٢/١٨.

٤ - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٤/١٨.

بالتغية^(١)، فيقصد بـ(غياوا) و(التغية) الغاية، وغاية رجوع موسى أربعون ليلة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ البقرة: ٥١، وبناء على ذلك فقد دلت (لن) على نفي زمن ممتد محدد مقداره أربعون ليلة. ودلت (لن) على النفي المؤبد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ الحج: ٧٢، فهؤلاء المدعوون من دون الله لا يستطيعون أن يخلقوا ذباباً اليوم أو غداً، بل إلى الأبد، فالنفي مستمر إلى ما لانهاية، قال البقاعي: "لن يخلقوا ذباباً"، أي لا قدرة لهم على ذلك الآن، ولا يتجدد لهم هذا الوصف أصلاً في شيء من الأزمان، على حال من الأحوال^(٢)، وقال الزمخشري: "خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا"^(٣)، وقال السمين الحلبي: "لَن يَخْلُقُوا"، جعل الزمخشري نفي (لن) للتأبيد^(٤)، فهذه الشواهد تؤيد مذهب جمهور النحاة المتقدمين في أن (لن) تفيد نفي المستقبل، دون أن يقيد نفيها بتأكيد أو تأبيد أو قرب، بل يجوز أن تنفيه في الأزمنة كلها، القصير منها والطويل والمنتهي بحد والأبدي، قال ابن مالك: "ينصب المضارع بـ(لن) مستقبلاً بحدّ وغير حدّ خلافاً لمن خصها بالتأبيد"^(٥)، وقال السيوطي: "تنصب (لن) المستقبل، أي أنها تخلص المضارع إلى الاستقبال وتفيد نفيه، ثم مذهب سيبويه والجمهور أنها تنفيه من غير أن يشترط أن يكون النفي بها أكد من النفي بـ(لا)"^(٦)، وقال

١ - أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ٣٧٤/٧.

٢ - البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى: ٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٩٥/١٣.

٣ - الزمخشري: الكشاف ١٧١/٣.

٤ - السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم بدمشق، ٣٠٨/٨.

٥ - ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: ٦٧٢هـ): تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ، ٢٢٩/١.

٦ - السيوطي: همع الهوامع ٣٦٥/٢.

ابن هشام: " (لن) حرف يفيد النفي والاستقبال بالاتفاق، ولا يقتضي تأييداً خلافاً للزمخشري في أنموذجه، ولا تأكيداً خلافاً له في كشافه، بل قولك لن أقوم، محتمل لأن تريد بذلك أنك لا تقوم أبداً، وأنت لا تقوم في بعض أزمنة المستقبل^(١)، وذكر أبو حيان أن (لن) تنفي الفعل وتخلصه للاستقبال، ثم قال: "واستقباله محدود بوقت وبغير وقت، ولا يدل على نفي الفعل في جميع الزمان المستقبل^(٢)".

الثاني: الدلالة على تأكيد النفي:

هذا المعنى لم يقله أحد من أئمة النحاة الأقدمين، وأول من قاله الزمخشري، وذكره في كتابه المفصل، وفي تفسيره الكشاف، قال في المفصل: " (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل، تقول: لا أبرح اليوم مكاني، فإذا وكدت وشددت قلت: لن أبرح اليوم مكاني، قال الله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الكهف: ٦٠، وقال تعالى: ﴿فَلَنَأْبِرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِلِآبِ﴾ يوسف: ٨٠^(٣)، وذكر أنها للتأكيد في الكشاف في عدة مواضع، قال: "فإن قلت: ما حقيقة (لن) في باب النفي؟ قلت: (لا) و(لن) أختان في نفي المستقبل، إلا أن في (لن) تأكيداً وتشديداً، تقول لصاحبك: لا أقيم غداً، فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غداً كما تفعل في: أنا مقيم، وإني مقيم^(٤)، وقال: "فإن قلت: ما معنى (لن)؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه (لا)، وذلك أن (لا) تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً^(٥)، وقال: "ولا فرق بين (لا) و(لن)

١ - ابن هشام، عبد الله بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ): شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد مجيب

الدين عبد الحميد، الناشر القاهرة، الطبعة الحادية عشرة ١٣٨٣هـ، ص ٥٨.

٢ - أبو حيان، محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق الدكتور

مصطفى أحمد النحاس، الناشر مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٣٩١/٢.

٣ - الزمخشري: المفصل في صناعة الإعراب، ص ٤٠٧.

٤ - الزمخشري: الكشاف ١٠١/١.

٥ - الزمخشري: الكشاف ١٥٤/٢.

في أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل، إلا أن في (لن) تأكيداً وتشديداً ليس في (لا)^(١)، وقال: "ألا ترى أن (لن) تأكيد فيما تنفيه (لا)^(٢)، هذا ظاهر كلامه أنها تفيد التأكيد، وإن كان قد فسر التأكيد بالتأييد في أغلب المواضع التي ذكرها في تفسيره الكشاف وسيوضح ذلك عند الحديث عن معنى التأييد.

ويمكن توضيح معنى التأكيد بـ(لن) بالوقوف على تفسير أربع آيات، ورد فيها النفي بـ(لن) مرة وبـ(لا) مرة أخرى مع تطابق المنفي في كل اثنتين منهما. فاثنتان منهما تقدمتا قريباً في نص الزمخشري السابق، وورد فيهما (فلن أبرح) و(لا أبرح)، والأخريان قوله:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٩٤-٩٥، وقوله: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوُهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الجمعة: ٦-٧. حيث ورد فيهما (لن يتمنوه أبداً)، و(لا يتمنونه أبداً)، والضمير فيهما راجع إلى اليهود، وجاء النفي فيهما مرة بـ(لن) ليدل على التأكيد، وأخرى بـ(لا) عندما لم يتطلب الأمر التأكيد على مذهب الزمخشري، كما في قوله: "ولا فرق بين (لا) و(لن) في أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل، إلا أن في (لن) تأكيداً وتشديداً ليس في (لا)، فأتى مرة بلفظ التأكيد (ولن يتمنوه)، ومرة بغير لفظه (ولا يتمنونه)^(٣)، وقد عُلِّل اختلاف النفي في هاتين الآيتين بأمرين، الأول: أن ادعاء اليهود في سورة البقرة أعظم من ادعائهم في سورة الجمعة؛ وذلك أنهم ادعوا في سورة البقرة أن الدار الآخرة، أي الجنة خالصة لهم من دون الناس، بينما ادعوا في سورة الجمعة أنهم أولياء لله من دون الناس، والجنة أعلى مقاماً من

١ - الزمخشري: الكشاف ٥٣١/٤.

٢ - الزمخشري: الكشاف ٨٠٨/٤.

٣ - الزمخشري: الكشاف ٥٣١/٤.

الولاية؛ لأن الولاية يتوسل بها إلى دخول الجنة، ولما كان الأمر كذلك جاء النفي في البقرة بـ(لن) لأنها أبلغ من (لا) في تأكيد النفي، قال أبو حيان: "وفي المنتخب ما نصه: وإنما قال هنا: (ولن يتمنوه)، وفي الجمعة (ولا يتمنونه)، لأن دعواهم هنا أعظم من دعواهم هناك، لأن السعادة القصوى فوق مرتبة الولاية؛ لأن الثانية تراد لحصول الأولى، و(لن) أبلغ في النفي من (لا)، فجعلها لنفي الأعظم"^(١)، وقال الرازي: "فإن قيل: إنه تعالى قال هاهنا: (ولن يتمنوه أبداً)، وقال في سورة الجمعة: (ولا يتمنونه أبداً)، فلم ذكر هاهنا (لن) وفي سورة الجمعة (لا) قلنا: إنهم في هذه السورة، ادعوا أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وادعوا في سورة الجمعة أنهم أولياء لله من دون الناس، والله تعالى أبطل هذين الأمرين بأنه لو كان كذلك لوجب أن يتمنوا الموت، والدعوى الأولى أعظم من الثانية إذ السعادة القصوى هي الحصول في دار الثواب، وأما مرتبة الولاية فهي وإن كانت شريفة إلا أنها إنما تراد ليتوسل بها إلى الجنة، فلما كانت الدعوة الأولى أعظم لا جرم، بين تعالى فساد قولهم بلفظ (لن)؛ لأنه أقوى الألفاظ النافية، ولما كانت الدعوى الثانية ليست في غاية العظمة لا جرم، اكتفى في إبطالها بلفظ (لا)؛ لأنه ليس في نهاية القوة في إفادة معنى النفي والله أعلم"^(٢).

والثاني: أن ادعاءهم في سورة البقرة بعيد، لأنه يحصل في الدار الآخرة، بينما ادعواهم في سورة الجمعة حالٌ وقد يستمر طوال حياتهم، فناسب الأول النفي بـ(لن) لأنها تكون نفيًا للمستقبل دائماً ولا تصح أن تكون نفيًا للحال، بينما ناسب الثاني النفي بـ(لا) لأنها تكون نفيًا للحال والمستقبل، قال أبو جعفر بن الزبير: "فيسأل عن تخصيص آية البقرة بقوله: (ولن يتمنوه)، وآية الجمعة بقوله: (ولا يتمنونه) مع اتحاد الأخبار؟ ووجه ذلك -والله أعلم- أن آية البقرة لما كان الوارد فيها جواباً لحكم أخراوي يستقبل

١- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ٤٩٩/١.

٢- الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٦٠٨/٣.

وليس في الحال منه إلا ما زعم مجرد واعتقاد أن الأمر يكون كذلك، ناسبه النفي بما وضعه من الحروف لنفى المستقبل لأن (لن يفعل) جواب (سيفعل)، ولما كان الوارد في سورة الجمعة جواباً لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس وذلك حكم دنيائهم ووصف حالي لا استقبال فيه، ناسبه النفي بـ(لا) التي لنفى ما يأتي من غير اختصاص إلا بغير الماضي وقد تتعاقب مع (ما) التي لنفى الحال^(١).

وأما الآيتان الأوليان (فلن أبرح) في سورة يوسف، و(لا أبرح) في سورة الكهف فقد ذكرهما الزمخشري في مفسله، وبين فيه أن (لن) تأكيد لما تعطيه (لا) كما تقدم، ولم يعلق على النفي فيهما في تفسيره الكشاف، لكنه عندما فسر النفي بـ(لن) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٦٧، قال: "نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد"^(٢)، والتأكيد مستفاد من (لن) على مذهبه، وقد أشار صاحب اللباب إلى دلالة (لن) على التأكيد في عبارة (لن أبرح) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَيْ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يوسف: ٨٠، فقال: "قوله: (فلن أبرح الأرض)، أي لن أبرح الأرض إلا أن يحكم، كقولهم: لألزمك أو تقضيني حقي"^(٣)، فيفهم من تمثيله (لألزمك) التوكيد، لأنه وضع مكان (فلن أبرح) في الدلالة على المعنى فعلاً مؤكداً باللام ونون التوكيد الثقيلة، وقال صاحب روح البيان في تفسير (فلن أبرح الأرض):

١- أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (المتوفى: ٧٠٨هـ): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٤٦.

٢- الزمخشري: الكشاف ٧٣٤/٢.

٣- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٨٢/١١.

”وكان أيمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب“^(١)، فاستخدم عقد الأيمان في تفسير (فلن أبرح)، وهذا كله يقوي ما ذهب إليه الزمخشري من أن (لن) تفيد التأكيد.

وقد خالف مجموعة من العلماء الزمخشري فيما ذهب إليه من إفادة (لن) للتأكيد. قال المرادي: ”قال ابن عصفور: وما ذهب إليه دعوى لا دليل عليها، بل قد يكون النفي بـ(لا) أكد من النفي بـ(لن)، لأن المنفي بـ(لا) قد يكون جواباً للقسم، والمنفي بـ(لن) لا يكون جواباً له، ونفي الفعل إذا أقسم عليه أكد“^(٢)، وقال ابن هشام: ”ولا تفيد (لن) تأكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشافه“^(٣)، وقال الأشموني: ”ولا تفيد تأييد النفي ولا تأكيده، خلافاً للزمخشري: الأول في أنموذجه والثاني في كشافه“^(٤)، وقال الشيخ خالد الأزهرى: ”ولا تقتضي تأكيداً، أي النفي خلافاً للزمخشري في كشافه في تفسير: ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾ الأعراف: ١٤٣، بل قولك: لن أقوم، محتمل لأن تريد به أنك لا تقوم أبداً، أو أنك لا تقوم في بعض أزمنة المستقبل، وهو موافق لقولك: لا أقوم، في عدم إفادة التأكيد والتأييد“^(٥). فهؤلاء عينة من العلماء في أزمان مختلفة بعد الزمخشري يخالفونه فيما ذهب إليه من إفادة (لن) للتأكيد.

١- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (المتوفى: ١١٢٧هـ): روح البيان، الناشر دار الفكر / بيروت، ٣٠٣/٤.

٢- المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل طبعة المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ص ٢٧٠.

٣- ابن هشام: المغني ٣٧٤.

٤- الأشموني: شرح ألفية ابن مالك ١٧٩/٣.

٥- خالد بن عبد الله الأزهرى (المتوفى: ٩٠٥هـ): شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ، ٣٥٧/٢.

وهناك مجموعة من العلماء وافقوا الزمخشري فيما ذهب إليه من إفادة (لن) للتأكيد، قال الرازي: " (لن) أصل في نفي المستقبل إلا أنه ينفيه نفيًا مؤكدًا"^(١)، وقال البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الحج: ٧٣: "لا يقدرّون على خلقه مع صغره لأن (لن) بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه"^(٢)، وقال السيوطي: "ووافقه على إفادة التأكيد جماعة منهم ابن الخباز، بل قال بعضهم إن منعه مكابرة فلذا اخترته دون التأييد"^(٣)، وقال الغلاييني: "وهي تفيد تأكيد النفي لا تأييده"^(٤)، فهو لاء عينة ممن وافقوا الزمخشري على ما ذهب إليه من إفادة (لن) للتأكيد، وفي الجملة فقد وافقه كثير من العلماء في ذلك كما ذكر الصبان في حاشيته، قال: "وافقه على التأكيد كثيرون"^(٥).

ولعل ما ذهب إليه الزمخشري من إفادة (لن) للتأكيد نفي المستقبل أرجح من قول من خالفه، وذلك لأنها تنفي ما كان خالصاً للاستقبال بدليل، أي لا تنفي إلا ما كان مصدرًا بالسين أو سوف، وهذا لا يشترط في (لا) و(ما) النافيتين، قال سيبويه: "وإذا قال هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل... وإذا قال: سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل"^(٦)، وقال المبرد: "فإذا قلت: لن يفعل، فهو نفي لقوله: سيفعل، كما أن قولك: ما يفعل، نفي

١- الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٢٣/٢٥١.

٢- البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ٧٩/٤.

٣- السيوطي: الهمع ٢/٢٦٦.

٤- الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (المتوفى: ١٣٦٤هـ): جامع الدروس العربية، الناشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ، ١٦٩/٢.

٥- الصبان، محمد بن علي (المتوفى: ١٢٠٦هـ): حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ، ٤٠٧/٣.

٦- سيبويه: الكتاب، ١١٧/٣.

لقوله: هو يفعل^(١)، وقد رجح أبو حيان ما ذهب إليه الزمخشري من إفادة (لن) لتأكيد نفي المستقبل، وخصوصية النفي بها على النفي بـ(لا) عندما عرض لتفسير بعض الآيات السابقة، قال: "كان الأقرب من هذه الأقوال قول الزمخشري، أولاً من أن فيها تأكيداً وتشديداً، لأنها تنفي ما هو مستقبل بالأداة، بخلاف (لا)، فإنها تنفي المراد به الاستقبال مما لا أداة فيه تخلصه له، ولأن (لا) قد ينفي بها الحال قليلاً، فـ(لن) أخص بالاستقبال وأخص بالمضارع، ولأن (ولن تفعلوا)، أخصر من (ولا تفعلون)، فلهذا كله ترجح النفي بـ(لن) على النفي بـ(لا)"^(٢)، وقد ذكر السيوطي عن بعضهم أن منع التأكيد بـ(لن) يُعد مكابرة، وقد تقدم قوله آنفاً.

الثالث: الدلالة على الدعاء:

ذهب بعض النحاة إلى القول بأن (لن) تأتي للدعاء مثل (لا)، واستدلوا على ذلك بالشعر والقرآن الكريم، أما الشعر فقد استدلوا بقول الأعشى في مدح الأسود بن المنذر وقومه:^(٣)

لن تزلوا كذلکم ثم لا زل ... ت لكم خالداً خلود الجبال

على أن (لن تزلوا) دعاء لهم بالتمكين، ويؤيد ذلك عطف الدعاء المصدر بـ(لا) عليه، وهو قوله: (لا زلت لكم خالداً خلود الجبال)، وهو دعاء من الشاعر بأن يكون ملازماً لمدح الأسود وقومه ما بقيت الجبال.

وأما القرآن فقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص: ١٧، قيل معناه: اللهم بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ويقوي هذا قراءة عبد الله بـ(لا) بدل (لن)، قال الطبري: "فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ"

١ - المبرد: المقتضب، ٤٧/١.

٢ - أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ١٧٤/١.

٣ - ديوان الأعشى ص ٧٦.

يعني المشركين، كأنه أقسم بذلك، وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ)، كأنه على هذه القراءة دعا ربه، فقال: اللهم لن أكون ظهيراً^(١). ولعل من أوائل من أشار إلى الدعاء بـ(لن) ابن السراج في كتابه الأصول، قال: "وقال قوم: يجوز الدعاء بلن، مثل قوله: (فلن أكون ظهيراً للمجرمين)، وقال الشاعر:

لن تزالوا كذلكم ثم لا زل...ت لهم خالداً خلود الجبال

والدعاء بـ(لن) غير معروف، إنما الأصل ما ذكرنا، أن يجيء على لفظ الأمر والنهي^(٢)، ويتضح من قوله هذا أنه لا يجيز الدعاء بـ(لن)، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض النحاة المتأخرين نسبوا إليه أنه ممن يجيز الدعاء بـ(لن)، قال المرادي: "ذهب قوم منهم ابن السراج إلى أنه يجوز أن يكون الفعل بعدها دعاء، واختاره ابن عصفور، وجعلوا منه قوله تعالى: (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ)، والصحيح: أنه لم يستعمل من حروف النفي في الدعاء إلا (لا) خاصة^(٣)، وقال الأشموني: "تأتي (لن) للدعاء كما أنت (لا) كذلك، وفاقاً لجماعة منهم ابن السراج وابن عصفور"^(٤).

وأغلب النحاة لا يجيزون الدعاء بـ(لن) كما ذكر ابن السراج أن الدعاء بها غير معروف، وخرجوا البيت والآية على أن المراد بـ(لن) فيهما النفي المحض، قال السمين الحلبي: "وقوله: (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) نفي على حقيقته، وزعم بعضهم أنه دعاء، وأن (لن) واقعة موقع (لا)، وأجاز قوم ذلك مستدلين بهذه الآية، ويقول الشاعر:

١ - الطبري: تفسير الطبري (جامع البيان) ٥٤٢/١٩.

٢ - ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (المتوفى: ٤١٦هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الناشر مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ١٧١/٢.

٣ - المرادي، حسن بن قاسم (المتوفى: ٧٤٩هـ): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، ١٢٢٩ / ٣.

٤ - الأشموني: شرح ألفية ابن مالك ١٧٩/٣.

لن تزالوا كذلكم ثم لا زل ... ت لهم خالدا خلود الجبال

وليس فيهما دلالة لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء، وإن كان في البيت أقوى^(١)، وقال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي: "قال شهاب الدين: وليس في الآية والبيت دلالة على وقوع (لن) موقع (لا)، لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء"^(٢).

وقد اضطرب قول ابن هشام في مسألة الدعاء بـ(لن)، فقد منعه في كتابه (شرح قطر الندى)، وأجازه في كتابه (مغني اللبيب)، قال في شرح القطر: "ولا تقع (لن) للدعاء خلافاً لابن السراج، ولا حجة له فيما استدل به من قوله تعالى: (قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين)، مدعياً أن معناه فاجعني لا أكون، لإمكان حملها على النفي المحض، ويكون ذلك معاهدة منه لله سبحانه وتعالى ألا يظاهر مجرماً جزءاً لتلك النعمة التي أنعم بها عليه"^(٣)، وقال في المغني: "وتأتي للدعاء كما أتت (لا) لذلك وفاقاً لجماعة منهم ابن عصفور والحجة في قوله:

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلت ... لكم خالداً خلود الجبال

وأما قوله تعالى (قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين)، فقليل: ليس منه، لأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم، بل إلى المخاطب أو الغائب، نحو: يا رب لا عذبت فلاناً، ونحو: لا عذب الله عمراً، ويرده قوله:

(ثم لا زلت ... لكم خالداً خلود الجبال)^(٤)، فهنا يعترض على من منع الدعاء في الآية بحجة أن فعل الدعاء فيها مسند إلى المتكلم وهو رسول الله موسى، بأن فعل الدعاء في البيت أيضاً مسند إلى المتكلم وهو الشاعر الأعشى.

١- السمين الحلبي: الدر المصون ٨/ ٦٥٨.

٢- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٢٣٠.

٣- ابن هشام، عبد الله بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ): شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٢هـ، ص ٥٨.

٤- ابن هشام: المغني ٣٧٤، ٣٧٥.

وقد رجح السيوطي أن تكون (لن) في البيت للدعاء وفقاً لابن عصفور وخلافاً للجمهور، قال: "والجمهور على أن الفعل بعد (لن) لا يخرج عن كونه خبراً كحالته بعد سائر حروف النفي غير (لا)، وذهب قوم إلى أنه قد يخرج بعد (لن) إلى الدعاء كحالته بعد (لا)، قال الشاعر في (لا):

ولا زال منهلاً بجرعائك القطر^(١)

وقال في (لن):

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلت ... لكم خالداً خلود الجبال

وهذا القول اختاره ابن عصفور، وهو المختار عندي لأن عطف الدعاء في البيت قرينة ظاهرة في أن المعطوف عليه دعاء لا خبر^(٢). ورجح عباس حسن في كتابه النحو الوافي أن تكون (لن) في الآية للدعاء لا للنفي، بحجة أن أدب موسى مع ربه يتطلب أن يكون خطابه على سبيل الدعاء لا على سبيل النفي المحض، فقال في تضمين (لن) لمعنى الدعاء: "ومنه قوله تعالى على لسان موسى: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ)، لأن أدب المتكلم مع ربه، وجهله بالغيب، يقتضيان أن يكون الكلام متضمناً الدعاء لا النفي القاطع لأمر يكون في المستقبل، لا يدري المتكلم عنه شيئاً، فكيف يقطع فيه برأى حاسم^(٣)."

ولعل إطلاق القول بإفادة (لن) للدعاء صعب، وذلك لقلة الشواهد عليه، حيث لم يذكر النحاة إلا البيت والآية السابقين، قال أبو حيان عند تفسيره للآية السابقة: "وقيل: (فلن أكون) دعاء لا خبر، و(لن) بمعنى (لا) في الدعاء، والصحيح أن (لن) لا تكون في الدعاء، وقد استدل على أن (لن) تكون في الدعاء بهذه الآية، ويقول الشاعر:

١- هذا عجز بيت من مطلع قصيدة لذي الرمة و صدره (أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَمِيَّ عَلَى الْبَلَى). ديوان ذي الرمة، ص ٥٥٩.

٢- عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ): النحو الوافي، الناشر دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، ٤/ ٣٠٠.

٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧.

لن تزالوا كذلك ثم ما زل ... ت لهم خالدا خلود الجبال^(١)

كما أن النحاة لم يتفقوا على أن (لن) في البيت والآية للدعاء كما تقدم، ويضاف إلى ذلك ما أورده البغدادي في خزانة الأدب أن رواية النحاة لببيت الشاهد على خلاف الرواية الصحيحة، قال: "وقوله: (لن يزالوا) بالياء التحتية بضمير الغيبة الراجع لمجموع من ذكر ممن قتلوا وأسروا ونهبوا من الأعداء، وممن غزا معه وقتل وغنم من الأولياء. وقوله: (لا زلت) بالخطاب والهم) بضمير الغيبة. فظهر من هذا أن روايته في كتب النحو (لن تزالوا) بالخطاب (ولا زلت لكم) بالتكلم والخطاب على خلاف الرواية الصحيحة^(٢). كما أن جمهور النحاة ذهبوا إلى أن الفعل بعد (لن) لا يأتي إنشاء وإنما يكون خبراً. قال السيوطي: "والجمهور على أن الفعل بعد (لن) لا يخرج عن كونه خبراً كحالته بعد سائر حروف النفي غير (لا)^(٣)، والخبر لا يكون دعاء، وإنما يأتي الدعاء على أسلوب الإنشاء. وبناء على ما تقدم يمكن القول إن (لن) لا تأتي للدعاء إلا نادراً جداً أو شذوذاً.

الرابع: الدلالة على قصر النفي:

نقل أبو حيان والسيوطي أن من ذهب إلى القول بدلالاتها على قصر زمن النفي بها عبد الواحد بن خطيب زملكا، قال أبو حيان: "وأما ما ذهب إليه ابن خطيب زملكا من أن (لن) تنفي ما قرب وأن (لا) يمتد النفي فيها، فكاد يكون عكس قول الزمخشري^(٤)، وقال السيوطي: "وأغرب عبد الواحد الزملكاني، فقال في كتابه (التبيان في المعاني والبيان): إن (لن) لنفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها. قال وسر ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعاني و(لا) آخرها ألف، والألف يكون امتداد الصوت بها بخلاف النون، ونقل ذلك عنه ابن

١- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ٢٩٣/٨.

٢- البغدادي، عبد القادر بن عمر (المتوفى: ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ، ٥٧٦، ٥٧٥/٩.

٣- السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٣٦٦/٢.

٤- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ١٧٤/١.

عصفور وأبو حيان ورداه^(١). ويقصد بقوله الألف يكون امتداد الصوت بها بخلاف النون أن الألف حرف مد، وحروف المد تستوعب الصوت مهما طال ولا ينتهي مدّها إلا بانتهاء نفس الناطق، وأما (لن) فأخرها نون ساكنة، والنون الساكنة ليست من الحروف التي يمتد بها الصوت، وعليه فنطق (لا) طويل، ونطق (لن) قصير، وما دام الأمر كذلك فـ(لا) تناسب الدلالة على الزمن الطويل في النفي لطول النطق بها، و(لن) تناسب الزمن القصير في النفي لقصر النطق بها.

ولعل السهيلي سابق لابن الزملكاني فيما ذهب إليه من دلالة (لن) على قصر زمن مدة النفي، وذلك لأن ابن الزملكاني متوفى سنة ٦٥١هـ^(٢)، بينما السهيلي متوفى سنة ٥٨١هـ^(٣)، وفوفاته سابقة لوفاة ابن الزملكاني بسبعين سنة. وقد أورد السهيلي في كتابه (نتائج الفكر في النحو) أن (لن) تدل على قصر مدة النفي بها، وحجته أنها لا يمتد الصوت بالنطق بها، فهي قصيرة في النطق، وعليه ينبغي أن يكون معناها قصيراً كذلك؛ لأن الألفاظ عنده مشاكلة للمعاني التي تؤديها، قال: "ومن خواصها أنها تنفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معنى النفي في حرف (لا) إذا قلت: لا يقوم زيد أبداً. وقد قدمنا أن

١- السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٣٦٦/٢.

٢- قال السبكي: "عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الشيخ كمال الدين أبو المكارم ابن خطيب زملكا، قال أبو شامة كان عالماً خيراً متميزاً في علوم عدة، ولى القضاء بصرخند ودرس ببعلبك. قلت: وهو جد الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني، وكانت له معرفة تامة بالمعاني والبيان وله فيه مصنف وله شعر حسن، توفي بدمشق سنة إحدى وخمسين وستمائة". السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ)؛ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي - د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ٣٦٦/٨.

٣- قال الصفدي: "عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبع بن الحسين بن سعدون الوافي بالوفيات بن رضوان ابن فتوح الإمام الخير أبو القاسم وأبو زيد ويقال أبو الحسن ابن الخطيب أبي عمر بن أبي الحسن، الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي الحافظ صاحب المصنفات توفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة". الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفى: ٧٦٤هـ)؛ الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ، ١٠١/١٨.

الألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحها، يتفرس العاقل فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسه، كما يتعرف الصادق للفراسة صفات الأرواح في الأجساد بنحيزة نفسه، فحرف (لا) لام بعدها ألف، يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضيق النفس، فإذا امتداد لفظها بامتداد معناها، و(لن) بعكس ذلك، فتأمله فإنه معنى لطيف، وغرض شريف^(١)، واستدل على ذلك بآيتي الجمعة والبقرة اللتين استدل بهما الزمخشري على دلالة (لن) على التأكيد وتميزها عن (لا) في قوة النفي - كما تقدم ذلك في دلالة (لن) على التأكيد - فعكس السهيلي المعنى الذي جاء به الزمخشري، فقال: "ألا ترى كيف جاء في القرآن البديع نظمه، الفائق على كل العلوم علمه: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا﴾ الجمعة: ٧، بحرف (لا) في الموضع الذي اقترن فيه حرف الشرط بالفعل فصار من صيغ العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ الجمعة: ٦٠. كأنه يقول: متى ما زعموا ذلك لوقت من الأوقات أو زمن من الأزمان وقيل لهم: (تَمَنَّوْا الْمَوْتَ) فلا يتمنونه، وحرف الشرط دل على هذا المعنى، وحرف (لا) في الجواب بإزاء صيغة العموم، لاتساع معنى النفي فيها، وقال في سورة البقرة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ البقرة: ٩٥، فقصر من سعة النفي وقرب، لأن قوله تعالى في النظم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ﴾ البقرة: ٩٤. وليست (إن) ها هنا مع (كان) من صيغ العموم، لأن (كان) ليست بدالة على حدث، وإنما هي داخلية على المبتدأ والخبر عبارة عن مضي في الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث، فكأنه يقول عز وجل: إن كانت قد وجبت لكم الدار الآخرة وثبتت لكم في علم الله تعالى فتمنوا الموت الآن، ثم قال في الجواب: (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ)، فانتظم معنى الجواب بمعنى الخطاب في الآيتين جميعاً، والله الموفق للصواب^(٢).

١- السهيلي: نتائج الفكر في النحو/ ١٠٠.

٢- السهيلي: نتائج الفكر في النحو/ ١٠١، ١٠٢.

وقد استأنس الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن بما ذهب إليه السهيلي وابن الزملاكي، ونعته بأنه ألطف من رأي المعتزلة، فقال: "ومنهم من قال: (لا) تنفي الأبد، ولكن إلى وقت بخلاف قول المعتزلة، وأن النفي بـ(لا) أطول من النفي بـ(لن)؛ لأن آخرها ألف، وهو حرف يطول فيه النفس، فناسب طول المدة بخلاف (لن)؛ ولذلك قال تعالى: ﴿لَنْ تَرِيَّ﴾، وهو مخصص بدار الدنيا، وقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الأنعام: ١٠٣، وهو مستغرق لجميع أزمنة الدنيا والآخرة، وعلل بأن الألفاظ تشاكل المعاني؛ ولذلك اختصت (لا) بزيادة مدة، وهذا ألطف من رأي المعتزلة"^(١).

وهذا المعنى الذي ذهب إليه السهيلي وابن الزملاكي غير مشهور، وقد رده ابن عصفور وأبو حيان كما تقدم، بل اعتبره أبو حيان في الارتشاف من خيالات البيانين، قال: "ودعوى بعض أهل البيان أن (لن) لنفي ما قرب، ولا يمتد نفي الفعل فيها كما يمتد في النطق بـ(لا) من باب الخيالات التي لأهل البيان"^(٢)، كما يبدو من نص السهيلي التالي أن دافعه لتقييد زمن النفي بـ(لن) لمدة قصيرة هو إبطال مذهب المعتزلة الذين يرون طول النفي بها أو تأبيده كما سيأتي لاحقاً، وعليه يجوز أن يكون توجيهه هذا من قبيل الحمية الدينية لا من قبيل الاستقراء اللغوي، ونصه هو: "ومن أجل ما تقدم من قصور معنى النفي في (لن) ودلالاتها على القرب في أكثر الكلام، لم يكن للمعتزلة حجة على نفي الرؤية في قوله عز وجل ﴿لَنْ تَرِيَّ﴾، ولم يقل: (لا تراني)، فلو كان النفي بـ(لا) لكان لهم بعض التعلق، ولم يكن حجة بجواز تخصيص العموم بنص آخر من الكتاب والسنة، والله الموفق"^(٣)، وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن هذا المعنى الذي أثبته السهيلي وابن

١- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٢١/٢، ٤٢٢.

٢- أبو حيان: ارتشاف الضرب ١٦٤٤/٤.

٣- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ٤٢١، ٤٢٠/٢.

الزملكاني لـ (لن) ضعيف ولا تؤيده شواهد بيّنة، كما أنه لم يدافع عنه نفر من النحاة المشهورين المتأخرين عنهما؛ وهذا يدل على عدم شهرة هذا القول وضعفه.

الخامس: الدلالة على التأبيد:

ويقصد بالتأبيد أن منفيها لا يقع مطلقاً، وعلى هذا المعنى جاء السؤال الذي عُنون به البحث، وهذا المعنى نسبه أغلب النحاة إلى الزمخشري، وذكروا أنه أورده في كتابه (الأنموذج في النحو)، وسوف أورد نص الأنموذج الخالي من عبارة التأبيد بعد أن أورد مجموعة من نصوص النحاة المشهورين الذين نسبوا هذا المعنى إلى الزمخشري، قال ابن مالك: "ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفي بـ (لن)، وهو الزمخشري في أنموذجه"^(١)، وقال ابن هشام: "ولا تفيد (لن) توكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشافه ولا تأبيده خلافاً له في أنموذجه"^(٢)، وقال أبو حيان: "ولا يقتضي النفي على التأبيد خلافاً للزمخشري في أحد قوليه"^(٣)، وقال الزركشي: "وليس معناها النفي على التأبيد خلافاً لصاحب الأنموذج"^(٤)، وقال المرادي: "ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبداً، خلافاً للزمخشري. ذكر ذلك في أنموذجه"^(٥)، وقال السيوطي: "وذهب الزمخشري في أنموذجه إلى أنها تفيد تأبيد النفي"^(٦)، فعلى الرغم من تصريح هؤلاء النحاة المشهورين وغيرهم بأن الزمخشري قال بتأبيد النفي بـ (لن) في أنموذجه، فإن الزمخشري لم يصرح بالتأبيد في أنموذجه.

١- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجباني (المتوفى: ٦٧٢هـ): شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٨٣/١، ١٥٣١/٢.

٢- ابن هشام: معني اللبيب عن كتب الأعاريب ٣٧٤/١.

٣- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ١٦٦/١.

٤- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٢٢/٢، ٤٢٢.

٥- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني ٢٧٠/١.

٦- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني ٢٧٠/١.

وعبارته في الأنموذج هي: "والن) نظير (لا) في نفي المستقبل ولكن على التأكيد"^(١). وهذا هو المعنى الذي صرح به الزمخشري أيضاً في كتابيه المفصل والكشاف - كما تقدم ذلك في دلالة (لن) على معنى التأكيد - ولم يذكر فيهما أيضاً التأييد، وذلك يدل على أن الزمخشري لم يصرح بمعنى التأييد كما نسب إليه، ولعل التأييد جاء في بعض نسخ الأنموذج القديمة تصحيفاً من النساخ، وقد أشار إلى ذلك شارح الأنموذج الأردبيلي محمد بن عبد الغني المتوفى سنة ٦٢٧هـ، فقال: "وفي بعض النسخ التأييد بدل قوله التأكيد"^(٢). فقد أثبت أن قول الزمخشري هو التأكيد، بدليل أنه لم يقل التأييد بدل التأكيد دون أن يذكر كلمة (قوله) ليتساوى المعنيان في احتمال الصحة، وما يؤيد هذا التوجه شرحه لعبارة الزمخشري السابقة على معنى التأكيد فقط دون أن يتطرق إلى معنى التأييد، فقال شارحاً لها: "أقول إذا أردت نفي المستقبل مطلقاً قلت: لا أضرب مثلاً، وإذا أردت نفيه مع التأكيد قلت: لن أضرب"^(٣). وقد اعترض محمد عبد الخالق عزيمة على ما ذكره ابن هشام في المغني من أن الزمخشري ذهب في أنموذجه إلى أن (لن) تفيد تأييد النفي، فقال: "قول المغني: (ولا تفيد (لن) توكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشافه ولا تأييده خلافاً له في أنموذجه وكلاهما دعوى بلا دليل)، غير مطابق لما قاله الزمخشري"^(٤). وبناء على ما تقدم يتضح أن الزمخشري لم يصرح بلفظ التأييد لـ (لن) في كتابه الأنموذج أو في كتابيه المفصل والكشاف.

١- الزمخشري، محمود بن عمر (المتوفى: ٥٣٨هـ): الأنموذج في النحو، شرح الأردبيلي جمال الدين محمد بن عبد الغني (المتوفى: ٦٢٧هـ)، تحقيق دكتور حسني عبد الجليل يوسف، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة، ص ١٩٠.

٢- الزمخشري: الأنموذج في النحو، ص ١٩٠.

٣- الزمخشري: الأنموذج في النحو، ص ١٩٠.

٤- عزيمة، محمد عبد الخالق عزيمة (المتوفى ١٤٠٤هـ): دراسات لأسلوب القرآن الكريم، طباعة دار الحديث بالقاهرة، ٦٣٧/٢.

وما دام الزمخشري لم يصرح بلفظ التأييد لـ(لن)، فهل ما نسبته إليه هؤلاء العلماء المشهورون افتراء وكذب أو أنه يرى ما ذكره في مذهبه اللغوي؟ الحقيقة أن الزمخشري يرى أن (لن) تفيد النفي المؤبد، لكنه لم يعبر عنه بلفظ التأييد، وإنما عبر عنه بألفاظ أخرى تؤدي معناه ولا تحمل حروفه، وهذه الألفاظ وردت في أكثر من موضع في كتابه الكشاف، ولعله فعل ذلك عمداً حتى لا يهجر الناس كشافه، وذلك لأن نسبة تأييد النفي لـ(لن) مشهورة عند المعتزلة - سيرد ذلك لاحقاً - والزمخشري على مذهبهم، حتى أن ابن مالك عندما نسب إليه القول بتأييد النفي بـ(لن) علل اتجاهه ذلك بانتصاره لمذهب المعتزلة، قال: "ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأييد النفي بـ(لن)، وهو الزمخشري في أنموذجه، وحامله على ذلك اعتقاده أن الله - تعالى - لا يرى، وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعني ثبوت الرؤية، جعلنا الله من أهلها، وأعاذنا من عدم الإيمان بها"^(١)، يقصد باعتقاده اعتقاده الاعتزالي، حيث يرى المعتزلة أن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وعلى الرغم من أن الزمخشري كان يعتقد مذهب المعتزلة ويجاهر به وينافح عنه إلا أنه كان يهرب من إثبات ألفاظ المعتزلة المشهورة في كشافه، ومع ذلك لم يتخلَّ عن معاني هذه الألفاظ الاعتزالي، والدليل على ذلك ما أورده صاحب وفيات الأعيان فيما يتعلق بمقدمة الكشاف، قال: "وأول ما صنف كتاب (الكشاف) كتب استفتاح الخطبة (الحمد لله الذي خلق القرآن)، فيقال إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن، و(جعل) عندهم بمعنى (خلق)، والبحث في ذلك يطول، ورأيت في كثير من

١- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجبالي (المتوفى: ٦٧٢هـ): شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٨٣/١، ١٥٢١/٣.

النسخ (الحمد لله الذي أنزل القرآن)، وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف^(١)، فيقصد صاحب الوفيات بالضمير في (عندهم) المعتزلة، وخلق القرآن مما يعتقدونه في مذهبهم، وقد صرح به الزمخشري عندما تحدث عن تكليم الله تعالى لموسى، فقال: "وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح"^(٢)، وهو مشهور عندهم بلفظ (خلق)، والزمخشري على هذا الاعتقاد، لأنه معتزلي، لكنه عبر عن هذا الاعتقاد بكلمة غير مشهورة فيه، وهي (جعل)، وعلى هذا النحو لم يصحح بلفظ التأييد، وإنما استخدم ألفاظاً تؤدي معناه دون حروفه، وأشهر هذه الألفاظ التي استخدمها كلمة (مستحيل) و(منافٍ لصفاته)، و(ينافي حالي)، و(محال)، و(مؤيس)، و(إقنات)، و(لا يصح)، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٣، "لن) أخت (لا) في نفي المستقبل، إلا أن (لن) تنفيه نفياً مؤكداً، وتأكيد هاهنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل منافٍ لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا^(٣)، فاستخدم هنا التأكيد بمعنى التأييد، ولم يصحح بلفظ التأييد، وإنما استخدم ألفاظاً أخرى تؤدي معناه وهي مستحيل ومنافٍ ومحال، وفعل مثل ذلك عدة مرات في كشفه، وقد علق أبو حيان على قوله هذا بأنه هو المنقول عنه في أن (لن) تفيد النفي على التأييد، فقال: "وهذا القول الذي قاله في (لن) هو المنقول عنه أن (لن) للنفي على التأييد، ألا تراه فسر ذلك بالاستحالة، وغيره من النحاة يجعل (لن) مثل (لا) في النفي"^(٤)، وعند تفسيره لقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَحَلَّ رَبُّهُ

١- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الناشر دار صادر - بيروت، ١٧٠/٥.

٢- الزمخشري: الكشف ٤٠/٣.

٣- الزمخشري: الكشف ١٥٢/٢.

٤- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ٥٣٧/٧.

﴿الْجَبَلُ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الأعراف: ١٤٣. قال: "فإن قلت: ما معنى (لن)؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه (لا)، وذلك أن (لا) تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً. والمعنى: أن فعله ينافي حالي، كقوله: لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، فقوله: لا تدركه الأبصار، نفى للرؤية فيما يستقبل، ولن تراني تأكيد وبيان، لأن المنفي مناف لصفاته^(١)، فاستخدم هنا للتأييد عباراتي (ينافي حالي) و(مناف لصفاته)، وعبارة المنافاة هذه جعلها بمثابة التأييد، والتزم بها في بعض المواضع في تفسيره الكشف، وقد أكد الزمخشري على دلالة (لن) على التأييد في الآية السابقة بتشبيه النظر إلى الله بنسبة الولد إليه، فكما أن نسبة الولد إليه مستحيلة على التأييد فكذلك النظر إليه، والدليل على ذلك أنه حقق عند طلب النظر إليه ما جعله عند نسبة الولد إليه، وهو دكُّ الجبال، فقال: "فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله؟ قلت: اتصل به على معنى أن النظر إليّ محال فلا تطلبه، ولكن عليك بنظر آخر: وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم، كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية؟ لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره، كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: ﴿وَنَخَّرُ الْجِبَالَ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَكَا﴾ مريم: ٩٠-٩١^(٢). وقد نبه لأسلوب الزمخشري الخفي هذا في إثبات التأييد لـ(لن) ابن المنير صاحب (الانتصاف من الكشاف)، قال: "(لن) للنفي المؤكد، وأما قول الزمخشري في المنافاة له، فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من قتل كلامه علماً، وذلك أنه اعتمد في إحالة الرؤية على الله تعالى على أن قوله تعالى: لن تراني، معناه أن الرؤية منافية لحالي، وجعل هذه المنافاة من مقتضى (لن)، ثم التزم ذلك في هذه اللفظة

١- الزمخشري: الكشف ١٥٤/٢.

٢- الزمخشري: الكشف ١٥٤/٢.

حيثما وقعت، كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذا مقتضى (لن)^(١٧)، وقال في موضع آخر معقباً على قول الزمخشري: " (لن) كما قال تشارك (لا) في النفي وتمتاز بمزية تأكيديه. وأما استنباط الزمخشري من ذلك منافاة الرؤية لحال الباري عز وجل، ثم إطلاق الحال على الله تعالى مما يستحز عنه، واستشهاده على أن (لن) تشعر باستحالة النفي بها عقلاً، مردود كثيراً بكثير من الآي، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ لَنْ نَخْرُجَإَ مَعِيَ أَبَدًا﴾ التوبة: ٨٣ ، فذلك لا يحيل خروجهم عقلاً، ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ هود: ٣٦، ﴿لَنْ تَنِيْمُونَا﴾ الفتح: ١٥، فهذه كلها جائزات عقلاً، لولا أن الخبر منع من وقوعها، فالرؤية كذلك^(١٨)، وقد كرر الزمخشري المنافاة عند قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يوسف: ٦٦، قال: "لن أرسله معكم مناف حالي - وقد رأيت منكم ما رأيت - إرساله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله"^(١٩)، واستخدم كلمة (محال) للدلالة على التأييد في الآيات التالية: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ هود: ٣٦، قال: "لن يؤمن إقناط من إيمانهم، وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع"^(٢٠)، وقوله: ﴿وَلِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف: ٥٧، قال: "فلن يهتدوا، فلا يكون منهم اهتداء البتة، كأنه محال منهم لشدة تصميمهم"^(٢١)، وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ النبأ: ٣٠، قال: "وناهيك بلن نزيدكم، وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة"^(٢٢)، واستخدم

١- ابن المنير، أحمد بن محمد الإسكندري (ت: ٦٨٣هـ): الانتصاف من الكشاف، الكتاب مزيل بحاشية الكشاف، ٤٨٧/٢.

٢- ابن المنير: الانتصاف من الكشاف، حاشية الكشاف، ٤٨٤/٢.

٣- الزمخشري: الكشاف ٤٨٧/٢.

٤- الزمخشري: الكشاف ٣٩٢/٢.

٥- الزمخشري: الكشاف ٧٣٠/٢.

٦- الزمخشري: الكشاف ٦٩٠/٤.

(المؤيس) بمعنى التأيد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْذُرُكُمَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ المائدة: ٢٢، قال: "لن ندخلها نفى لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس"^(١)، وقوله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ آل عمران: ١٢٤، قال: "وإنما جيء بـ(لن) الذي هو لتأكيد النفي، للإشعار بأنهم كانوا لقلبتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكتهم كالأثسين من النصر"^(٢). واستخدم (لا يصح) بمعنى التأيد في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٦٧، قال: "نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير"^(٣). وأما (مستحيل) و(إقنات) بمعنى التأيد فقد تقدمتا، فالأولى وردت مع (منافٍ لأحوالهم)، والثانية وردت مع (محال)، ولا داعي للتكرار.

فمما تقدم يتضح أن الزمخشري يرى أن (لن) تفيد التأيد، لكنه لم يصرح بلفظ التأيد في أنموذجه كما نسب إليه ذلك كثير من النحاة، بل صرح بألفاظ أخرى تؤدي معناه في كشفه، والسؤال: هل الزمخشري هو أول من زعم أن (لن) تفيد التأيد كما ذكر ذلك أغلب النحاة، أو أن هناك من سبقه إلى هذا المعنى؟ الحقيقة أن الزمخشري ليس أول من زعم أن (لن) تفيد النفي على التأيد، بل إن هذا القول قديم عند المعتزلة، ويدل على ذلك ما أورده السمرقندي صاحب تفسير (بحر العلوم) من أن (لن) لا تدل على التأيد خلافاً للمعتزلة، والسمرقندي متوفى سنة ٣٧٣هـ^(٤)، أي قبل ولادة الزمخشري بأربع وتسعين

١- الزمخشري: الكشف ٦٢١/١.

٢- الزمخشري: الكشف ٤١٧/١.

٣- الزمخشري: الكشف ٧٣٤/٢.

٤- الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام، الناشر دار العلم للملايين، الطبعة

الخامسة عشر ٢٠٠٢م، ٢٧/٨.

سنة، إذ الزمخشري مولود سنة ٦٧ هـ^(١)، ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٩٥، قال: "وفي هذه الآية دليل أن (لن) لا تدل على التأبيد، لأنهم يتمنون الموت في الآخرة خلافاً لقول المعتزلة في قولهم: لن تراني ويقال: إن قوله (لن) إنما يقع على الحياة الدنيا خاصة، ولم يقع على الآخرة، لأنهم يتمنون الموت في النار إذا كانوا في جهنم"^(٢)، وقد أكد الثعلبي المتوفى ٤٢٧ هـ^(٣)، أي قبل ولادة الزمخشري بأربعين سنة ما أورده السمرقندي، فقال: "ولا دليل لهم فيها، لأنَّ (لَنْ) هاهنا لا توجب التأبيد وإنما هي للتوقيت، لقوله تعالى حكاية عن اليهود ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ﴾، يعني الموت، ثم حكى عنهم أنهم يقولون لمالك: ﴿يَمُوتُ لَكَ لَيْفٌ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ الزخرف: ٧٧. ﴿يَلْتَبِتَهَا كَانَتْ الْقَاسِيَةَ﴾ الحاقة: ٢٧، يعني الموت، وقال سبحانه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْآخِرَ﴾، يعني الجنة. ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبُوا﴾ آل عمران: ٩٢، وقد يدخل الجنة من لا ينفق ممّا [علمت]، فمعنى الآية لن تراني في الدنيا وإنما تراني في العقبى"^(٤)، وقد صرح الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ^(٥) بنسبة التأبيد لـ(لن)، وذلك عندما قارن بين الحرفين (لا) و(لن) في الآيتين آية الجمعة: ﴿وَلَا يَسْمَنُوهُ أَبَدًا﴾ وآية البقرة: ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ أَبَدًا﴾، فذكر أن (لا) في الآية الأولى لا تدل على التأبيد، وإنما اكتسبته من الاسم (أبدًا)، وأما التأبيد في الآية الثانية فاكْتُسِبَ من الفعل المقترن بـ(لن)، (لن يتمنوه) والاسم (أبدًا)، فقال عن (لا) في (لا يتمنونه): "وليس في لفظه معنى التأبيد، وإنما حصل ذلك فيه

١- الأعلام: الزركلي ١٧٨/٧.

٢- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (المتوفى: ٣٧٢ هـ): بحر العلوم، ٧٥/١.

٣- الأعلام: الزركلي ٢١٢/١.

٤- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧ هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشر، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، ٢٧٥/٤.

٥- الأعلام: الزركلي ٢٢٧/٦.

بمقارنته من قوله (أبدًا). فكان الأول أوكد وأبلغ، لأن لفظي الاسم والفعل للتأيد^(١). ويقصد بالأول (لن يتمنوه)، كما صرح بالتأيد الطبرسي الشيعي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ^(٢). وهو معاصر للزمخشري حيث كانت وفاته بعد وفاة الزمخشري بعشر سنوات، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾. قال: "أقال لن تراني هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني أبدًا لأن (لن) ينفي على وجه التأيد كما قال أولن يتمنوه أبدًا، وقال (لن) يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له"^(٣). فيتضح مما تقدم أن التأيد من قول المعتزلة في زمان سابق للزمخشري، وعليه يكون الزمخشري مقلداً لهم فيما ذهبوا إليه؛ لأنه يعتقد اعتقادهم، ولعل ما قام به كثير من النحاة والمفسرين من نسبة التأيد إلى الزمخشري دون غيره سببه شهرة الزمخشري في النحو والتفسير.

وقد تابع الزمخشري في القول بالتأيد بعض النحاة والمفسرين الذين عاصروه أو أتوا من بعده في أزمان متفاوتة، فقد وافقه معاصره ابن عطية في دلالة (لن) على التأيد في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾. قال: "لَنْ تَرَنِى نص من الله تعالى على منعه الرؤية في الدنيا، و(لَنْ) تنفي الفعل المستقبل، ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد لقضينا أنه لا يراه موسى أبدًا، ولا في الآخرة، لكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة، فموسى عليه السلام أخرى برويته"^(٤). ومن الذين جاءوا من بعده ابن

١- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٢٠ هـ): درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق دكتور محمد مصطفى آيدين، الناشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٦٨/١.

٢- الأعلام: الزركلي ١٤٨/٥.

٣- الطبرسي، أبو علي الفضل بن حسن (المتوفى: ٥٤٨ هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، ٢٦٠/٤.

٤- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢ هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، ٤٥٠/٢.

يعيش، قال: " (لن) تنفي فعلاً مستقبلاً قد دخل عليه السين وسوف تفيدان التنفيس في الزمان، فلذلك يقع نفيه على التأبيد وطول المدة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾. وكذلك قول الشاعر:

ولن يراجع قلبي حبّها أبداً زكنت من بغضهم مثل الذي زكنوا

فذكر الأبد بعد (لن) تأكيداً لما تعطيّه (لن) من النفي الأبدي^(١)، وقد ذكر المفسر ابن كثير في عدة مواضع من تفسيره أن (لن) تفيد التأبيد، ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ البقرة: ٢٤، قال: " (لن) لنفي التأبيد أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِيَنِي﴾، قال: "وقد أشكل حرف (لن) هاهنا على كثير من العلماء، لأنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة ... وقيل: إنها لنفي التأبيد في الدنيا، جمعاً بين هذه الآية، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة^(٣)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ الكهف: ١٤، قال: " (لن) لنفي التأبيد، أي: لا يقع منا هذا أبداً؛ لأننا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً، ولهذا قال عنهم: (لقد قلنا إذا شططاً)، أي: باطلاً وكذباً وبهتاناً^(٤)، وتبعه أيضاً النيسابوري، قال: " (لن) نفي للاستقبال على سبيل التوكيد أو التأبيد^(٥)، وتبعه من المعاصرين ابن عاشور التونسي في تفسيره التحرير والتنوير، فقد ذكر في عدة مواضع أن (لن) تفيد التأبيد، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْسُكُنَا لَنْ

١- ابن يعيش: شرح المفصل ٥/ ٣٧، ٣٨.

٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١/ ١٩٩.

٣- ابن كثير: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٦٩٤.

٤- ابن كثير: تفسير القرآن الكريم ٥/ ١٤١.

٥- النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ): غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ٦/ ٨٢٢.

نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدَ) البقرة: ٦١، قال: "والتعبير ب(لن) المفيدة لتأييد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضرر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده، فإن التأييد يفيد استغراق النفي في جميع أجزاء الأبد أولها وآخرها، ف(لن) في نفي الأفعال مثل (لا) التبرئة في نفي النكرات"^(١)، و(لا) التبرئة هي (لا) النافية للجنس المفيدة لاستغراق النفي لجميع أفراد الجنس، ف(لن) عنده مثلها في الاستغراق، إلا أنها تستغرق النفي في جميع أجزاء الأبد، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَقْلَحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ الكهف: ٢٠، قال: "وأبداً ظرف للمستقبل كله، وهو تأكيد لما دل عليه النفي ب(لن) من التأييد أو ما يقاربه"^(٢)، وعند قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ سبأ: ٢١، قال: "وجيء بحرف (لن) لتأكيد نفي إيمانهم بالكتب المنزل على التأييد تأسيساً للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الطمع في إيمانهم به"^(٣)، وعند قوله: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الْآرْثِقَاتِ مَنَابِدٍ وَلَنْ تُشْرِكَ رَبَّنَا أَحَدًا﴾ الجن: (١، ٢)، قال: "ولن نشرك ربنا أحداً، أي ينتفي ذلك في المستقبل، وهذا يقتضي أنهم كانوا مشركين ولذلك أكدوا نفي الإشراك بحرف التأييد"^(٤).

ويضاف إلى ما تقدم أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن (لن) تنفي الأفعال، والأفعال نكرات، فإذا لم تقيد فستدل على النفي في جميع الأزمان اللاحقة، قال صاحب اللباب: "قال شهاب الدين: وعلى تقدير أن (لن) ليست مقتضية للتأييد، فكلام ابن عطية وغيره ممن يقول: إن نفي المستقبل بعدها يعم جميع الأزمنة المستقبلية - صحيح، لكن

١- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)؛ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الناشر الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر ١٩٨٤هـ، ٥٢٢/١.

٢- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨٧/١٥.

٣- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٠٢/٢٢.

٤- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٢١/٢٩.

لمدرك آخر، وهو أن الفعل نكرة، والنكرة في سياق النفي تعم^(١)، وقال الصبان: "القائل بالتأييد إنما يقول به عند إطلاق منفيها وخلوه عن مقيداته وعن التكرار"^(٢).

وعلى الرغم من هذه الأقوال التي تؤيد الزمخشري وأصحابه من المعتزلة فيما ذهبوا إليه من إفادة (لن) للتأييد، فلا يمكن التسليم بما ذهبوا إليه، وذلك لوجود ما ينافي أنها للتأييد في القرآن الكريم والسنة، وذلك في المواضع التالية:

أولاً: عند تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾، ذكر أن الله لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ وذلك لدلالة (لن) على النفي التأييدي، وقد ورد ما يخالف ذلك في السنة الشريفة، وهو رؤية المؤمنين أصحاب الجنة لله كرؤية القمر ليلة التمام، فعن جرير بن عبد الله البجلي، قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته"^(٣). وقد قيّد عدم رؤية الله تعالى في هذه الآية التي احتج بها الزمخشري بالحياة الدنيا دون الآخرة، قال البغوي: "وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله لن تراني، و(لن) تكون للتأييد، ولا حجة لهم فيها، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال"^(٤)، وقال الخازن: "وقد تمسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾، قالوا (لن) تكون للتأييد والدوام، ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة،

١- سراج الدين الدمشقي: الباب في علوم الكتاب ٣٠١/٩.

٢- الصبان: حاشية الصبان ٤٠٧/٢.

٣- الدارقطني، علي بن عمر (المتوفى: ٣٨٥هـ): رؤية الله، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، الناشر مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، عام النشر ١٤١١هـ، ص ١٩٢.

٤- البغوي، الحسين بن مسعود الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٩٩/٢.

وما قالوه في أن (لن) تكون للتأييد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة، إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية، ولم يقل به أحد منهم، ... إن صح هذا التأويل فيكون معنى: (لن تراني) محمولاً على الدنيا أي لن تراني في الدنيا^(١).

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوا أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾، فعلى دلالة (لن) على النفي التأبيدي أن الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم لا يتمنون الموت في الدنيا والآخرة، وثبت بالقرآن أن الكافرين أصحاب النار من أهل الكتاب وغيرهم يتمنون الموت في الآخرة، وذلك في قوله: ﴿وَنَادُوا بِمَلَكِهِمْ لِيَقْضِ عَلَيْنَا زَكَّاتُكَ قَالَ إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ لِلْمَوْتِ فِي الْحَيَاةِ وَنَحْنُ أَكْثَرُ دُعَاءٍ﴾ الزخرف: ٧٧، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ النبأ: ٤٠، وقوله: ﴿يَلَيْتُنَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ الحاقة: ٢٧، فكل هذه الآيات تدل على تمني الكافرين للموت في الدار الآخرة للتخلص من عذاب النار، قال البغوي: "و(لن) لا تكون للتأييد، كقوله تعالى: (ولن يتمنوه أبداً)، إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة، كما قال الله تعالى: (ونادوا يا مالِك ليقض علينا ربك)"^(٢)، وقد جعل عدم تمنيههم للموت في الآية الأولى خاصاً بالحياة الدنيا، قال الألوسي: "وما ذكره في المعارضة من أن (لن) تفيد تأييد النفي غير مسلم، ولو سلم فيحتمل أن ذلك بالنسبة إلى الدنيا"^(٣)، وقال الزركشي: "قال الزمخشري: (لن) تدل على استغراق النفي في الزمن المستقبل بخلاف (لا)، ... وبني على ذلك مذهب الاعتزال في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾".

١- الخازن، علاء الدين علي بن محمد (المتوفى: ٧٤١هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح محمد علي شاهين، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ٢/ ٢٤٥.

٢- البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ٢/ ٢٩٩.

٣- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ٥/ ٤٨.

قال: هو دليل عن نفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وهذا الاستدلال حكاه إمام الحرمين في الشامل عن المعتزلة، ورد عليهم بقوله تعالى لليهود: (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)، (ولن يتمنوه أبداً)، ثم أخبر عن عامة الكفرة أنهم يتمنونه في الآخرة فيقولون: (يا ليتها كانت القاضية)، يعني الموت^(١).

ثالثاً: تقييد منفي (لن) باليوم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم: ٢٦، وهذا يدل على عدم التأييد، لأن التأييد لا ينتهي وقته، قال ابن هشام: "ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم في: ﴿فَلَنِ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾"^(٢)، وقال الصبان: "ورد ادعاؤه التأييد بأنه لا دليل عليه، وبأنها لو كانت للتأييد للزم التناقض بذكر اليوم في ﴿فَلَنِ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ والتكرار بذكر (أبداً) في ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾"^(٣).

رابعاً: تقييد منفي (لن) بغاية محددة، حيث ورد منفيها مقيداً بـ (حتى) إلى غاية ينتهي إليها في عشر آيات منها: ﴿لَنْ نَأْكُلُوا الْعِلَّ حَتَّى تَنْفَقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ آل عمران: ﴿قَالُوا يَمْشُونَ لَنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ المائدة: ٢٢، ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يوسف: ٦٦، ﴿قَالَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يوسف: ٨٠، ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ طه: ٩١، فهذه كلها غايات منتهية بأزمان محددة ومحتملة الحصول، بل كلها قد حصلت، وهذا دليل على انتفاء التأييد بـ (لن)، قال أبو حيان عند تفسير الآية الأخيرة: "لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له، وغيا ذلك برجوع موسى، وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم إلى الاستدلال وأخذ بتقليدهم السامري، ودلالة على أن (لن) لا تقتضي التأييد خلافاً

١- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٢١/٢، ٤٢٠.

٢- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٣٧٤/١.

٣- الصبان: حاشية الصبان ٤٠٧/٣.

للزمخشري، إذ لو كان من موضوعها التأييد لما جازت التغية بـ(حتى)، لأن التغية لا تكون إلا حيث يكون الشيء محتملاً فيزيل ذلك الاحتمال بالتغية^(١).

خامساً: ذكر الأبد بعد (لن) في خمس آيات، ولو كانت تفيد التأييد لكان ذلك تكراراً بلا فائدة، ومن هذه الآيات: ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ البقرة: ٩٥، ﴿قَالُوا يَسْمُوهُمْ إِنَّا لَنَنذِرُكُم بِهَا إِنَّا لَمَّا دَاخَمُوا فِيهَا﴾ المائدة: ٢٤، ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ التوبة: ٨٣. قال ابن هشام: "ولو كانت للتأييد ... لكان ذكر الأبد في ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ أَبَدًا﴾ تكراراً والأصل عدمه"^(٢). وهذا يضعف أن تكون (لن) دالة على التأييد بنفسها؛ لأنها لو كانت كذلك لما احتيج إلى اتباعها بـ(أبداً) في هذه الآيات.

ويضاف إلى ما تقدم أن أبا حيان أورد في تفسيره أن الزمخشري رجع عن قول التأييد، وذلك عندما عقب على قول الزمخشري: "ولا فرق بين (لا) و (لن) في أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل، إلا أن في (لن) تأكيداً وتشديداً ليس في (لا)، فأتى مرة بلفظ التأكيد ﴿وَلَنْ يَسْمَنُوهُ﴾ ومرة بغير لفظه ﴿وَلَا يَسْمَنُوهُ﴾"^(٣)، فقال أبو حيان: "وهذا منه رجوع عن مذهبه في أن (لن) تقتضي النفي على التأييد إلى مذهب الجماعة في أنها لا تقتضيه"^(٤).

وبناء على ما تقدم فإن نفي (لن) يمكن أن يكون نفيه تأييداً، أو أن يكون لفترة محددة مرتبطة بزمان معين قد يطول أو يقصر، ولا يمكن أن يحكم عليه بأنه دائماً مؤبد، وقد نفى الزركشي أن تفيد (لن) التأييد، بل جعل ما تدل عليه من تأييد ليس منها، وإنما هو من دليل آخر، فقال: "والحق أن (لا) و(لن) لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلية، والتأييد وعدمه يؤخذان من دليل خارج، ومن احتج على التأييد بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ

١- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ٣٧٤/٧.

٢- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٣٧٤/١.

٣- الزمخشري: الكشاف ٥٣١/٤.

٤- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ٣٧٤/٧.

تَفْعَلُوا ﴿البقرة: ٢٤﴾ وبقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الحج: ٧٢ ، عورض بقوله: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم: ٢٦ ، ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم، وبقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ البقرة: ٩٥ ، ولو كانت للتأييد لكان ذكر الأبد تكريراً والأصل عدمه^(١)، واحتج الزركشي على أن التأييد لـ (لن) مستفاد من دليل خارج عنها بأن حرف النفي (لا) أيضاً أحياناً يدل على النفي التأييدي - ومعلوم أنه لم يقل أحد بدلالة (لا) على النفي التأييدي - فقال: "وقد استعملت (لا) للاستغراق الأبدي في قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ فاطر: ٣٦ ، وبقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة: ٢٥٥، وبقوله: ﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة: ٢٥٥ ، وبقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْبَابِ﴾ الأعراف: ٤٠ ، وغيره مما هو للتأييد، وقد استعملت فيه (لا) دون (لن)، فهذا يدل على أنها للمجرد النفي والتأييد يستفاد من دليل آخر^(٢)، وأورد الرازي أن معنى التأييد دعوى على أهل اللغة من دون دليل، قال: "ما نقل عن أهل اللغة أن كلمة (لن) للتأييد. قال الواحدي رحمه الله: هذه دعوى باطلة على أهل اللغة وليس يشهد بصحته كتاب معتبر ولا نقل صحيح"^(٣).

* * *

١- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/٤٢١، ٤٢٢.

٢- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/٤٢١، ٤٢٢.

٣- الرازي: مفاتيح الغيب ١٤/٣٥٧.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكن تلخيص الإجابة عن سؤال العنوان: (هل تفيد (لن) النفي المؤبد كما زعم الزمخشري؟) في النقاط التالية:

أولاً: اتضح من البحث أن (لن) لا تنحصر في معنيي التأييد والتأكيد اللذين ذكرهما الزمخشري، بل تدل على معانٍ أخرى، وهي مطلق النفي في الزمن المستقبل، وقصر مدة النفي بها، والدعاء. والمعنى المتعارف عليه عند النحاة المتقدمين لـ (لن) هو إفادتها للنفي في الزمن المستقبل مطلقاً دون تقييد بتأكيد أو تأييد أو طول مدة أو قصرها.

ثانياً: معاني التأييد والتأكيد ونفي ما قرب لـ (لن) من أقوال النحاة المتأخرين، قال أبو حيان: "وهذه الأقوال، أعني التوكيد والتأييد ونفي ما قرب: أقاويل المتأخرين، وإنما المرجوع في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لأئمة العربية المقانعين الذين يرجع إلى أقاويلهم"^(١).

ثالثاً: على الرغم من وجود الشواهد على دلالة (لن) على الدعاء عند النحاة والمفسرين إلا أن هذا المعنى ضعفه جمع كبير من النحويين.

رابعاً: دلالتها على نفي ما قرب من الزمان معنى ضعيف يراه قلة من النحاة، وهناك كثير من الآيات التي تناقضه.

خامساً: على الرغم من أن دلالتها على معنى التأكيد من أقوال المتأخرين إلا أنه يكاد يكون ملازماً لها في جميع المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم، كما أنه مميز لها عن (لا)، لأنها دائماً تدل على نفي الأفعال المستخلصة للزمان المستقبل بحرف السين أو (سوف)، وهذا لا يشترط في (لا).

سادساً: على الرغم من أنها قد دلت على معنى التأييد في بعض الآيات، لا يمكن أن يسلم بكونها تقتضيه، وذلك لوجود آيات أخرى تعارضه.

١- أبو حيان: البحر المحيط في التفسير ١٧٤/١.

سابعاً: يمكن اعتبار أن من ذهبوا إلى القول باقتضاء (لن) لتأييد النفي -في الغالب- إنما فعلوا ذلك لخدمة مذهبهم الديني، وهم المعتزلة، وهدفهم نفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة مستفيدين من ورود (لن) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الأعراف: ١٤٣، فجعلوا نفي الرؤية مؤيداً في الدنيا والآخرة، لأنه ترتب عليه دك الجبل كما ترتب على نسبة الولد إليه دكه، ومعلوم أن نسبة الولد إليه مستحيلة في الدنيا والآخرة.

ثامناً: يرى بعض العلماء أن الزمخشري قال بدلالة (لن) على النفي التأييدي خدمة لمذهب المعتزلة الذي يعتقده، قال الزركشي: "قال الزمخشري: (لن) تدل على استغراق النفي في الزمن المستقبل بخلاف (لا)، ... وبني على ذلك مذهب الاعتزال في قوله تعالى: (لن تراني) قال: هو دليل عن نفي الرؤية في الدنيا والآخرة"^١.

تاسعاً: لم يستخدم الزمخشري لفظ التأييد في كتبه كما استخدمه علماء المعتزلة، وإنما استخدم ألفاظاً أخرى تؤدي معناه، ولعله فعل ذلك هروباً من استخدام ألفاظ المعتزلة المشهورة في كتبه لئلا يهجرها الناس.

عاشراً: لم يحكم الزمخشري على (لن) في بعض الآيات التي وردت فيها بالتأكيد أو التأييد أو غيرهما.

الحادي عشر: وردت (لن) في القرآن الكريم (١٠٦ مرة)، وفي كثير من هذه المواضع لم يصدر الزمخشري عليها حكماً بالتأكيد أو غيره في تفسيره الكشاف.

الثاني عشر: يرى بعض العلماء أن الزمخشري قد رجع عن قوله بدلالة (لن) على النفي التأييدي.

١- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/٤٢١، ٤٢٠.

المراجع:

- ١- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (المتوفى: ٣١٦هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الناشر مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- ٢- ابن المنير، أحمد بن محمد الإسكندري (ت: ٦٨٣هـ): الانتصاف من الكشاف، الكتاب مزيل بحاشية الكشاف.
- ٣- ابن الوراق، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٣٨١هـ): علل النحو، تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أخرجه محب الدين الخطيب، الناشر دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٥- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الناشر دار صادر - بيروت.
- ٦- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الناشر الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر ١٩٨٤هـ.
- ٧- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- ٩- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: ٦٧٢هـ): تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ.
- ١٠- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني (المتوفى: ٦٧٢هـ): شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- ١١- ابن هشام، عبد الله بن يوسف (المتوفى: ٧٦١هـ): شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.

- ١٢- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥م
- ١٣- ابن يعيش: موفق الدين يعيش بن يعيش النحوي (المتوفى: ٦٤٣هـ): شرح المفصل، طبعة عالم الكتب بيروت.
- ١٤- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (المتوفى: ١٢٧هـ): روح البيان، الناشر دار الفكر / بيروت.
- ١٥- أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (المتوفى: ٧٠٨هـ): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٦- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى.
- ١٧- أبو حيان، محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النحاس، الناشر مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ١٨- أبو حيان، محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق صديقي محمد جميل، طبعة دار الفكر بيروت.
- ١٩- الأشموني، علي بن محمد بن عيسى (المتوفى: ٩٠٠هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ٢٠- الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ٤٨/٥.
- ٢١- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٥٧٧هـ): الإتناف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الناشر المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٢٢- البغداد، عبد القادر بن عمر (المتوفى: ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

٢٣- البغوي، الحسين بن مسعود الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن =

تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٤- البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى: ٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٥- البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٦- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الناشر دار إحياء التراث العربي.

٢٧- الخازن، علاء الدين علي بن محمد (المتوفى: ٧٤١هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح محمد علي شاهين، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٨- خالد بن عبد الله الأزهري (المتوفى: ٩٠٥هـ): التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

٢٩- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٢٠هـ): درة التنزيل وغيرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق دكتور محمد مصطفى أيدين، الناشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٠- الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ): الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ. (هذا الكتاب منسوب إلى الخليل، وقيل الأصل هو كتاب: المحلى في وجوه النصب لأبي بكر بن شقير البغدادي المتوفى سنة ٣١٧هـ، حققه دكتور فائز فارس).

٣١- الدارقطني، علي بن عمر (المتوفى: ٣٨٥هـ): رؤية الله، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، الناشر مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، عام النشر ١٤١١هـ.

٣٢- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، طبعة دار التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

- ٣٣- الزجاجة، عبد الرحمن بن إسحاق (المتوفى: ٣٢٧هـ): حروف المعاني والصفات، تحقيق علي توفيق الحمد، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- ٣٤- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.
- ٣٥- الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام، الناشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
- ٣٦- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- ٣٧- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور علي بوملحم، الناشر مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٣م.
- ٣٨- الزمخشري، محمود بن عمر (المتوفى: ٥٣٨هـ): الأنموذج في النحو، شرح الأردبيلي جمال الدين محمد بن عبد الغني (المتوفى: ٦٢٧هـ)، تحقيق دكتور حسني عبد الجليل يوسف، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة.
- ٣٩- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي - د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٤٠- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم بدمشق.
- ٤١- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: ٥٨١هـ): نتائج الفكر في النحو، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.
- ٤٢- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
- ٤٣- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: ٩١١هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية - مصر.

- ٤٤ - الصبان، محمد بن علي (المتوفى: ١٢٠٦هـ): حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الناشر دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.
- ٤٥ - الصفي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (المتوفى: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ.
- ٤٦ - الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الحميري اليماني (المتوفى: ٢١١هـ): المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٤٧ - الطبرسي، أبو علي الفضل بن حسن (المتوفى: ٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- ٤٨ - الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤٩ - عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ): النحو الوافي، الناشر دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
- ٥٠ - عزيمة، محمد عبد الخالق عزيمة (المتوفى ١٤٠٤هـ): دراسات لأسلوب القرآن الكريم، طباعة دار الحديث بالقاهرة.
- ٥١ - العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (المتوفى: ٦١٦هـ): اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق د. عبد الإله النبهان، الناشر دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٥٢ - الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (المتوفى: ١٣٦٤هـ): جامع الدروس العربية، الناشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ.
- ٥٣ - الماقي، أحمد بن عبد النور (المتوفى: ٧٠٢هـ): رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٥٤ - المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (المتوفى: ٢٨٥هـ): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، طبعة عالم الكتب بيروت، ٨/٢.
- ٥٥ - المرادي، الحسن بن قاسم (المتوفى: ٧٤٩هـ): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٥٦- المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني (المتوفى: ٧٤٩هـ): تحقيق

الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل طبعة المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

٥٧- النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان،

تحقيق الشيخ زكريا عميرات، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

* * *

- 
- 51- Al-akbari,Abo albaqaa Abdulla ibn alhasan(almotawafe 616 H) Allobab fe elal albnna walerab ,Tahqeq D.abdulelah alnabhan,Alnasher dar alfekr -demashq,altabaa alola 1416.
- 52- Al-ghalaini ,Mostafa ibn mohammed salem (motawafe 1364) Jamea aldoros alarabia,alnasher almaktabah alasreiah,sayda-Bairout,Altobaa althamina waloshron 1414H.
- 53- Almalqi, Ahmad Ibn Abdalnor(motawafe 702): Rasf almabani fe sharh horof almaani ,Tahqeq Ahmad mohammed alkharat,majmaa allogha alarabia.demashq.
- 54- Almobrd, abo alabbas mohammed ibn yazeed (almotawafe 285H): Almoqtadab, tahqeq Mohammed abdukhaliq ademh,tobaa alam alkotob Bairout 218
- 55- Almoradi,Alhasan IBN qassim(749 motawafe):Tawdeh al maqased walmasalik besharh alfeih Ibn malik,sharh w tahqeq Abdulrahman ali suliman, ostaz allaghaweyat fe jamat alazhar,alnasher dar alfekr alarabi.tob3a alola1428.
- 56- ALmoradi ,Alhasan Ibn qassim:Aldani fr horof almaani (motawafe 749).tahqeq aldofactor fakhr alden qabawah w lostaz Mohammed nadem fadel tobaat almaktabah alarabieh be halab, altobaa alola1393 H.
- 57- Alnesabori,Alhasan ibn mohammed alqami (motawafe 850) Gharaaeb alqoraan wa raghaaeb alforqan ,Tahqeq alshekh Zakaria omerat ,Alnasher dar alkotob al elmiah-Bairout ,Altaba alola 1416 H.

* * *

- 41- Al-Suheeli, Abdel Al-Rahman Ben Abdallah (Al-Motawafa: 538): Nataej Al-Feker Fi Al-Nahew, Al-Nasher: Dar Al-Kotob Al-Elmeyah – Bayroot, Al-Tubaa Al-Ola: 1412.
- 42- Sebaweh, Amro ben Othman Ben Qanbar (Al-Motawafa: 180): Al-Ketab, Tahqeeq Abed Al-Salam Mohammad Haroon, Al—Nasher Maktabet Al-Khanji Bel-Qaherah, Al-Tubaa Al-Thalethah
- 43- Alsyootei, Abdel Rahman Ben Abi Baker, (Al-Motawafa: 911): Hamea Al-Hawamea Fi Shareh Jamea Al-Jawamea, Tahqeeq Abel Al-Hameed Hindawi, Al-Maktabeh Al-Tawfeeqiyah – Masser.
- 44- Alsabban , Mohhamed ibn Ali (motawafe 1206H): hasheyat alsabban ala sharh alashmonile alfeit ibn malik ,alnasher dar alkotob alelmieh Bairout –lebanon,altobaa alola 1417H.
- 45- Al-safadi, Salah alden khaleel ibn abek ibn Abdulla (almotawafe 764 H):Alwafe belwafeyat ,tahqeq Ahmad alarnaot w Turki mostafa,alnasher dar ihyaa altorath –Bairout am alnashr:1420 H.
- 46- AL-sanaani ,Abdulrazaq ibn hammam alhomiri alyamani(almotawafe 211H)
- 47- Altobresi,Abo Ali alfadl ibn Hassan (almotawafe 548H) Majmaa albayan fe tafser alqoraan ,dar alolom leltebaa walnshr –Bairout ,altabaa alola 1427 H.
- 48- Altabari,Mohammed ibn jarer (almotawafe 310H) Jame albayan fe taweel alqoraan ,Tahqeq Ahmad mohammed shaker ,Alnasher moassast alresalh alola1420H.
- 49- Abbas hasan (almotawafe 1398) Alnaho alwafe, alnasher dar almaaref ,altabaa alkhamesa ashar.
- 50- Ademah,Mohammed abdukhaliq adema(wotawfe 1404H) Derasat le oslob alqoraan alkareem ,tebaa dar alhadeth belqahera.

- 33- Al-Zujaji, Abed-Alrahaman Ben Ishaq (Al-Motawafa: 337): Horoof Al-Maani wa Al-Sefat, Tahqeeq Ali Tawfeeq Al-Hamud, Al-Nasher Muasaseh Al-Resaleh – Bayroot, Al-Tubaa Al-Ola 1984.
- 34- Al-Zarkashi, Mohammad Ben Abdallah Ben Bahader (Al-Motawafa: 794): Al-Burhan Fi Oloom Al-Quraan, Tahqeeq Mohammad Abu Al-Fadel Ibrahim, Al-Nasher Dar Ehyaa Al-Kutub Al-Arabiah Essa Al-Babi Al-Halbi wa Shurakauah, Al-Tubaa Al-Ola 1376.
- 35- Al-Zarkali, Kheer Al-Deen Ben Mahmood Al-Demashki (Al-Motawafa: 1396): Al-Ealam, Al-Nasher Dar Al-Elem Lil-Malayeen, Al-Tubaa Al-Khamset Asher 2002.
- 36- Al-Zamakhshari, Abu Qassim Mahmud Ben Amro (Al-Motawafa: 538): Al-Kashaf An Haqaeq Ghawamed Al-Tanzeel, Tubaa Dar Al-Ketab Al-Arabi, Bayroot, Al-Tubaa Al-Thailethah.
- 37- Al-Zamakhshari, Abu Qassim Mahmud Ben Amro, Jar Allah (Al-Motawafa: 538): Al-Mifasal Fi Sanaa Al-Earab, Tahqeeq Al-Doktoor Ali Bu Milhem, Al-Nasher Maktabet Al-Hilal – Bayroot, Al-Tubaat Al-Ola 1993.
- 38- Al-Zamakhshari, Mahmud Ben Omar (Al-Motawafa: 538): Al-Anamoothaj fi Al-Nahwi, Shareh Al-Ardbeeli Jamal Al-Deen Mohammad Ben Abdel Al-Ghani (Al-Motawafa: 627), Tahqeeq Doktor Hussny Abed Al-Jaleel Yusuf, Tubaa Maktabet Al-Adab bi Al-Qaherah.
- 39- Al-Sabaki, Taj Al-deen Abel Al-Wahab Ben Taqqi Al-Deen (Al-Motawafa: 771): Tabaqat Al-Shafeyah Al-Kubra, Tahqeeq D. Mahmud Mohammad Al-Tanahi- Dr. Abed Al-Fatah Mohammad Al-Helew, Al-Nasher Hajer Lil-Tebaa wa Al-Nasher wa Al-Tawzee, Al-Tubaa Al-Thanyah, 1413.
- 40- Al-Sameen Al-Halbi, Ahmad Bin Yusuf (Al-Motawafa: 756): Al-Dor Al-masoon fi Oloom Al-Ketab Al-Maknoo, Tahqeeq Al-Doktoor Ahmad Mohammad Al-Kharat, Tubaa Dar Al-Qalam Bi-Demashq.

- 25- Al-Baydawi, Abedallah Ben Omar Al-Sherazi (Al-Motawafa: 685):
Anwar Al-Tanzeel wa Asrar Al-Taaweel, Tahqeeq Mohammad
Abdelalrahman Al-Murashli, Al-Nasher Dar Ehya'a Al-Turath Al-Arabi
– Bayroot, Al-Tubaa Al-Ola 1418.
- 26- Al-Thalabi, Ahmad Ben Mohammad Ben Ibrahim (Al-Motawafa: 427):
Al-Kashef wa Al-Byan ann Tafseer Al-Quraan, Tahqeeq Al-Emmam Abi
Mohammad Ben Ashoor, Murajaa wa Tadqeeq Al-Ostath Natheer al-
Saedi, Al-Nasher Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi
- 27- Al-Khazan, Alaa Al-Deen Ali Ben Mohammad (Al-Motawafa: 741):
Lubab Al-Taaweel Fi Maani Al-Tanzeel, Tasheeh Mohammad Ben
Shaheen, Al-Nasher Dar Al-Kotob Al-Elmeyah-Bayroot, Al-Tubaa Al-
Ola 1415
- 28- Khalid Ben Abdallah Al-Azhari (Al-Motawafa: 905): Al-Tasreeh Bi-
Madmoon Al-Tawdeeh Fi Al-Nahew, Al-Nasher Dar Al-Kutub Al-
Elmyah – Bayroot/ Lubnan, Al-Tubaa Al-Ola 1421
- 29- Al-Khateeb Al-Eskafi, Mohammad Ben Abdallah Al-Asbahani (Al-
Motawafa: 420): durrah Al-Tanzeel wa Gharrat Al-Taaweel, Derset wa
Tahqeeq wa Taaleeq Doktoor Mohammad Mustafa Ayden, Al-Nasher
Jameaa Umm Al-Qurra, Makkah Al-Mukaramah, Al-Tubaa Al-Ola 1422.
- 30- Al-Khaleel Ben Ahmad Al-Faraheedi (Al-Motawafa: 170): Al-Jumul Fi
Al-Nahaw, Tahqeeq Fakher Al-Deen Qubawah, Al-Tubaa Al-Khamsah
1416.
- 31- Al-Darqutni, Ali Ben Omar (Al-Motawafa: 385): Roayah Allah, Qaddam
Lahu wa Haqaqa Alayhi wa Kharaja Ahadeethu: Ibrahim Mohammad Al-
Ali, Ahmad Fakhri Al-Refaai, Al-Nasher Maktabet Al-Manar, Al-
Zaraqah- Jordan, Amm Al-Nasher 1411.
- 32- Al-Razi, Abu Abdallah Mohammad Ben Omar Al-Tameemi (Al-
Motawafa: 606): Mafateeh Al-Gheeb (Al-Tafseer Al-Kabeer), Tubaa Dar
Al-Turath Al-Arabi Bi-Bayroot, Al-Tubaa Al-Thaniyah 1420.

- 17- Abu Hayan, Mohammad Ben Yusuf (Al-Motawafa: 745): Ereteshaf Al-Dareb Min Lisan Al-Arab, Tahqeeq Al-Doktor Mustafa Ahmad Al-Nahas, Al-Nasher Matbaa Al-Madani, Al-Tubaa Al-Ola, 1408.
- 18- Abu Hayan, Mohammad Ben Yusuf (Al-Motawafa: 745): Al-Bahar Al-Muheet Fi Al-Tafseer, Tahqeeq Sudqi Mohammad Jameel, Tubaa Dar Al-Feker Bi bayroot.
- 19- Al-Oshmoni, Ali Ben Mohammad Ben Essa (Al-Motawafa: 900): Shareh Al-Eshmoni Ala Alfiah Ebn Malek, Dar Al-Ketab AlElmiah Bi-Bayroot, Lubnan, Al-Tubaa Al-tubaa Al-Ola 1419.
- 20- Al-Alossi, Shehab Al-deen Mahmood Ben Abdallah Al-Husni (Al-Motawafa: 1270): Rooh Al-Maani Fi Tafseer Al-Quraan Al-Atheem Wa Al-Sabea Al-Mathani, Tahqeeq Ali Abed Albari Ateyah, Al-Nasher Dar Al-Ketab Al-Almeyah- Bayroot, Al-Tuba'a Al-Ola 1415, 48/5.
- 21- Al-Anbari, Abu Al-Barakat Abed Al-Rahman Ben Mohammad (Al-Motawafa: 577): Al-Ensaf Fi Masael Al-Khelaf Bayen Al-Nahaween Al-Basareen wa Al-Kuryeen, Al-Nasher Al-Maktabah Al-Asreyah, Al-Tubua Al-Awal 1424.
- 22- Al-Bughdadi, Abed Al-Qader Ben Omar (Al-Motawafa: 1093): Khazaneh Al-Adab wa Lub Lubab Lissan Al-Arab, Tahqeeq Abed Al-Salam Mohammad Haroon, Al-Nasher Maktabet Al-Khanji, Al-Qaherah, Al-Tubaa Al-Rabeaa 1418.
- 23- Al-Baghawi, Al-Hussien Ben Masood Al-Shafeei (Al-Motawafa: 510): Maalem Al-Tanzeel Fi Tafseer Al-Quraan – Tafseer Al-Baghawi, Tahqeeq Abed Al-Razaq Al-Mahdi, Al-Nasher Dar Ehya'a Al-Turath Al-Arabi- Bayroot, Al-Tuba'a Al-Ola 1420.
- 24- Al-Buqae, Ibrahim Ben Omar (Al-Motawafa: 885): Nuthum Al-Dorar Fi Tanasub All-Ayat wa Al-Sowar, Al-Nasher Dar Al-Ketab Al-Eslami, Al-Qaherah.

- Mohammad Kamel Barakat, Al-Nasher Dar Al-Ketab Al-Arabi Lil Teba'a Wa Al-Nasher 1387.
- 10- IBN Malek, Jamal Al-Deern Mohammad Ben Abdullallah Al-Tae Al-Jeyani (Al-Motawafa: 672): Shareh Al-Kefayah Al-Shafyia, Tahgeeg Abed Al-Moneam Ahmad Hareedi, Al-Nasher Jameat Um Al-Quraa Merkez Al-Baheth Al-Elmmi Wa Ehyaa Al-Turath Al-Eslami Kuleyah Al-Shareeaa Wa Al-Derasat Al-Eslamyah Makkah Al-Mukarama, Al-Tubaa Al-Ola.
 - 11- IBN Hisham, Abdallah Ben Yusuf (Al-Motawafa: 761): Shareh Qatar Al-Nada Wabel Al-Sada, Tahqeeq Mohammad Muhyeh Al-Deen Abed Al-Hameed, Al-Nasher Al-Qaharah, Al-Tubaa Al-Hadiyah Asher, 1383.
 - 12- IBN Hisham, Jamal Al-Deen Abdallah Ben Yusuf Al-Ansari (Al-Motawafa: 761): Maghni Al-Labeeb An Ketab Al-Aareeb, Tahqeeq Al-Dokotoor Mazen Al-Mubarak Wa Mohammad Ali Hamdallah, Tuba'a Dar Al-Feker Bairoot, Al-Tuba'a Al-Sadesah 1985.
 - 13- IBN Ya'eesh: Muwafaq Al-Deen Ya'eesh Ben Ya'eesh Al-Nahwi (Al-Motawafa: 643): Shareh Al-Mufasal, Tuba'a Alem Al-Kutub Bi-Bayroot
 - 14- Abu Al-Fedaa, Ismaeal Haqi Ben Mustafa Al-Estanboli (Al-Motawafa: 1127): Rooh Al-Byan, Al-Nasher Dar Al-Feker/ Bayroot.
 - 15- Abu Ja'afar, Ahmad Ben Ibrahim Ben Al-Zubeer Al-Gharnati (Al-Motawafa: 708): Mallak Al-Taaweel Al-Qatea Bethawi Al-Elhad Wa Al-Taateel Fi Tawjeeh Al-Mutashabeh Al-Ifeth Min Ay Al-Tanzeel, Wadea Hawasheeh Abed Al-Ghani Mohammad Ali Al-Fasi, Al-Nasher Dar Al-Ketab Al-Elmiah, Bayroot-Lubnan.
 - 16- Abu Hafes Seraj Al-Deen Omar Ben Ali Al-Demashki (Al-Motawafa: 775): Al-Lubab Fi Oloom Al-Ketab, Tahqeeq Al-Sheekh adel Ahmad Abed Al-Mawjood Wa Al-Sheekh Ali Mohammad Muawad, Al-Nasher Dar Al-Kutub Al-Elmyah – Bayroot/ Lubnan, Al-Tubaa Al-Ola

Sources and references

- 1- IBN Al-Soraj, Abo-Baker Mohammed Ben Al-Seri(Al-Motawafa:316AH):Al-Usool Fee Al_Nahw, Tahgeeg Adulhusein Al-Fetli, Al-Nashir: Moassat Al-Risala- Bayroot.
- 2- IBN Al-Moneer, Ahmed Ben Al-Askendari(Al-Motawafa: 683AH): Al-Intisaf Min Al-Kashaf,Al-Kitab Muzayal behashiyat Al-kashaf.
- 3- IBN Al-Wrag, Mohammed Ben Abdullah (Al-Motawafa:381AH): Ilal Al-Nahw,Tahgeeg Mohood Jasim MohammedAl-Dirweesh, Al-Nashir Moktabat Al- Roshd, Al-Riyad-Al-Saudia, Al-Tabaa Al- Ulah, 1420 AH.
- 4- IBN Hajar, Ahmed Ali Al-Asglani: Feth Al-Bari sherh Saheeh Al-Bokhari, Akhrajaho Mohib Al-Deen Al-Khateeb, Al-Nashir Dar Al-Marifa- Bayroot 1379 AH.
- 5- IBN Khalkan, Ahmed Ben Ibraheem Ben Abi bakr Al-Barmaki Al-Irbli (Al-Motawafa: 681AH): Wafiyat Al-Aayan Wa Anbaa Abna Al- Zaman , Tahgeeg Ihsan Abass, Al-Nashr Dar Sadir – Bayroot.
- 6- IBN Aashoor, Mohammed Al-Tahir Ben Al-Tonisi (Al-Motawafa: 1393): Al-Tahreer Wa Al-Tanweer (Tahreer Al-Mana Al-Sadeed Wa Tanweer AlAgl Al-Jadeed Men Tafseer Al-Kitab Al-Mjeed), Al-Nashir
- 7- IBN Atyia, Abed Alhaq Ben Ghaleb Al-Andalusi (Al-Motawafa: 542): Al-Mohareer Al-Wajeez Fi Tafseer Al-ketab Al-Azeez, Tahqeeq Abed Al-salam Abed Al-Shafi Mohammad, Al-Nashir Dar Al-Kutub Al-Elmiyah- Beirut, Al-Taba'a Al-Ola 1422.
- 8- IBN Katheer, Abu Al-Feda'a Ismael Bin Omar Al-Qurashi (Al-Motawafa: 774): Tafseer Al-Quraan Al-Atheem, Tahqeeq Sami Ben Mohammad Salameh, Al-Nasher Dar Taibah Lil Al-Nasher Wa Al-Tawzee'a, Al-Tuba'a Al-Thaniah 1420.
- 9- IBN Malek, Jamal Al-Deern Mohammad Ben Abdualлах (Al-Motawafa: 672): Tasheel Al-Fawaed Wa Takmeel Al-Makased, Tahqeeq

Does the Negative Particle (Lan)
Mean Perpetual Negation as Al-Zimkhshari Claimed?

Dr. Hassan AbdulAti Mohammed Omar

AL-Qassim University - College of Arabic Language and Social Studies
Department of Arabic Language and Literature

Abstract:

This research blog Koran has included a bootable taking action (will not be), and the origin and different scientists in it, and foreordained, and the separation between them and Mamulhe, and its location in the answer section, then the core theme of the view of the Elzimkhshari to say in terms of (not) to exile Altapeda and to discuss this statement touched Find each meanings that indicate it (would not), namely: the absolute negation valuable future, and confirmation of exile, and the Palace of exile, and pray, and life in exile. These meanings have been discussed at length, is included by each of said sense of them and Ardahm, and evidence that adopted them from the Koran, with more focus on the meaning of Altobed; it is a target in the title, introduced Find verses relied upon Elzimkhshari in significance exile Altapeda, showing that evidence and evidence which opposes exile Altapeda strong and many, said some grammarians Kappen owner and Zarkashi that Elzimkhshari said in terms of (not) to exile Altapeda service doctrine Alaatzala who denies seeing God in this world and the hereafter, benefiting from the receipt of (not) in the verse, addressing Moses, peace be upon him **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ﴾** And when Musa (Moses) came at the time and place appointed by Us, and his Lord spoke to him, he said: "O my Lord! Show me (Yourself), that I may look upon You." Allah said: "You cannot see Me. This research concludes with a summary and seal the most important results reached, with proof of references that have benefited from them.

الشاهد في رسائل القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ)
من خلال (فصوص الفصول وعقود العقول)
لابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ)

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الشاهد في رسائل القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ) من خلال (فصوص الفصول وعقود العقول) لابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ)

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

الرسائل الأدبية من أبرز نتاج الأدباء في القرن السادس الهجري، وقد برز فيها القاضي الفاضل وأضحى من أشهر الكتاب المترسلين الذين يُشار إليهم بالبنان في عصر الدول والإمارات. ومع أنه عاصر جملة من الكتاب المبرزين إلا أنه خلد ذكره بجودة كتابته وتميّز أسلوبه. لقد أخذ القاضي الفاضل على عاتقه مهمة تطوير الأساليب الكتابية، ومحاولة تخليصها مما بدأ يشوبها من تلطّخ بأوضاع المحسنات البديعية، فبرز في الكتابة الإنشائية وعدّ من شيوخها. ودراسة الرسائل في عصر الدول والإمارات بمنهج نقدي حديث من الميادين التي لا تزال بكرة، فكثير من الدارسين يعزفون عن دراسة الأدب في هذه الفترة اتهاماً لها بالضعف والتكاف، وهو حكم فيه تجاوز.

والبحث في رسائل القاضي الفاضل وما تحمله من توظيف للشواهد هي دراسة تسبر غور التفاعل بين الشاهد القديم وبين كلام القاضي الفاضل.



تقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد كانت الرسائل الأدبية من أبرز نتاج الأدباء في القرن السادس الهجري، وقد برز فيها القاضي الفاضل وكان ذا طريقة خاصة في الكتابة الرسائية، وعلى يديه تطور هذا الفن، فأضحى القاضي من أشهر الكتاب المترسلين الذين يُشار إليهم بالبنان في عصر الدول والإمارات، وأثر كثيرا فيمن جاء بعده.

ومع أن القاضي الفاضل عاصر جملة من الكتاب المبرزين كابن الخلال وابن قادوس والعماد الأصفهاني وغيرهم إلا أنه خلّد ذكره بجودة كتابته وتميّز أسلوبه، حتى قال صلاح الدين الأيوبي رحمه الله لجنوده: " لا تظنوا أنني ملكت الديار بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل"^(١).

إن ترسل القاضي الفاضل في رؤية صلاح الدين الأيوبي ليس خطابا جميلا ممتعا بقدر ما هو خطاب نافع، فصلاح الدين بقوله السابق يعني أن كتابة القاضي الفاضل كتابة تساعد على الفعل وتدعم السلطان، وتفسير هذا أن رسائل القاضي الفاضل في تهديدها للأعداء تُدخل الرعب في نفوسهم فينقادون إلى الهزيمة، وانقيادهم إلى الهزيمة برسائل القاضي الفاضل يصدّق قول ابن الأثير في المثل السائر عن استدراج الخصم

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦/ ١٤٠، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، بيروت.

للإذعان والتسليم: "مدار البلاغة كلها عليه"،^(١) فكلام صلاح الدين الأيوبي دليل على أنه يضع رسائل القاضي الفاضل في مدار الأجناس الأدبية المثبتة للسلطان.

لقد أخذ القاضي الفاضل على عاتقه مهمة تطوير الأساليب الكتابية، ومحاولة تخليصها مما بدأ يشوبها من تلطّخ بأوضار المحسنات البديعية، فبرز في الكتابة الإنشائية وعدّ من شيوخها، بل قيل عنه إن له طريقة خاصة هي (الطريقة الفاضلية) التي نظر من خلالها في الطرائق الموجودة في الكتابة في وقته ف"اتسع بها ووسع طاقتها واستطاع أن ينفذ بها إلى كل ما أراد من تجويد وتحبير"^(٢).

وقد ترك هذا المترسل جملة من الرسائل الأدبية، منها ما ألفه في كتاب، ومنها ما جمعه تلميذه ابن سناء الملك في كتاب، وهذه الرسائل التي سأدرسها في هذا البحث هي مما جمعه ابن سناء الملك من رسائل شيخه القاضي الفاضل^(٣).

والكتاب يضم رسائل دارت بين ابن سناء الملك وأستاذه القاضي الفاضل^(٤)، ورسائل وجهها القاضي الفاضل إلى القاضي الرشيد والد ابن سناء الملك^(٥) ورسائل

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ابن الأثير. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: ٦٤/٢. المكتبة العصرية. دط. ١٤١١هـ. ١٩٩٠م. صيدا. بيروت.

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي. د. شوقي ضيف: ٣٦٤. دار المعارف. ط. ٩. وانظر: ديوان الإنشاء الفاطمي بمصر وجهوده الكتابية (٣٥٨-٦٨ هـ) (٩٦٨-١١٧٢م) سمير عبد الوهاب الحباشة: ١٨١ وما بعدها. رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة مؤتة. ٢٠٠٧م.

(٣) انظر: فصوص الفصول وعقود العقول. ابن سناء الملك. تحقيق ودراسة محمد عبد الجواد. إشراف د. صلاح الدين الهادي. راجعه واعتنى به مختار دُغْجَاج: ٤٤٥، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. دط. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. القاهرة. مصر.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٤٧٧

(٥) انظر: المصدر السابق: ٣٧٩

أخرى وجهها القاضي الفاضل إلى ولده الأجل الأشرف أحمد بن عبد الرحيم بن علي القاضي الأشرف أبي العباس ابن القاضي الفاضل^(١).

ودراسة الرسائل في عصر الدول والإمارات بمنهج نقدي حديث من الميادين التي لا تزال بكرة، فكثير من الدارسين يعزفون عن دراسة الأدب في هذه الفترة اتهاما لها بالضعف والتكلف، وهو حكم فيه تجاوز.

ورسائل القاضي الفاضل وما تحمله من توظيف للشواهد محتاجة إلى دراسة تسبر غور التفاعل بين الشاهد القديم وبين كلام القاضي الفاضل، فقد اجتمع نصان مميزان، نص قديم مختار بعناية، ونص حبره القاضي الفاضل، فأغرى ذلك بدراسة علمية خاصة، تستكشف القدرة الإنشائية لدى القاضي في استدعاء التراث، والتعامل معه، ففصوص الفصول وعقود العقول "حافل بالنماذج الرائعة قرآنا وحديثا وشعرنا ونثرا ومثلا وحكمة وحكاية"^(٢)، فقد كان القاضي الفاضل كثير الاعتماد على الشواهد في رسائله، وكان ينثرها نثرا في بدايات الرسائل وفي متونها وفي خواتيمها، وقد يأتي بها كاملة أو مجتزأة، بحسب المقام الذي هو فيه، مما جعل الالتفات إلى دراسة توظيف الشاهد أمرا مهما، فهو يكشف قدرة الكاتب على المواءمة بين الشاهد القديم والسياق الرسالي^(٣) الجديد

(١) انظر: المصدر السابق: ٥٥، الحاشية: ٣.

(٢) المصدر السابق. مقدمة المحقق: ٧.

(٣) العلاقات الرسالية: مصطلح ورد في طبقات ابن المعتز في ترجمة أبي علي البصير: "وكان أبو علي كاتباً رسالياً". طبقات ابن المعتز. تحقيق عبد الستار فراج: ٣٩٧ ط ٣. دار المعارف. القاهرة.

وتدل الرسالية على الكاتب المتخصص في الرسالة، فإن المخاطب في الخطاب الحوارية أو المروي له في الخطاب السردية أو الوصفية عالم بالنصوص التي يستشهد بها صاحب الرسائل، ولذلك هو يحوزها ويعيد كتابتها ولا يستشهد بها كاملة، لأن الذي يقرأ تلك الرسائل ويقرأ ما فيها من عناصر استشهادية يستقبل النص بجمالية معروفة عنده، بعكس الرسائل العامة التي توجه إلى الجند مثلاً أو إلى الأعداء الذين لا يعرفون العربية فيخفت فيها الشاهد الأدبي الذي يرتبط بالرسائل العالمية أي التي تكون بين العلماء بالرسائل.

الذي يقتضي توظيفه وكتابته دون أن يحس القارئ بفجوة أو ثلمة تحتاجان إلى سدّ أو بنقص يحتاج إلى إكمال.

وفيما يتصل بالدراسات السابقة التي اهتمت بهذا الباب فلم أجد ما يتصل بذلك مباشرة، عدا إشارات سريعة جدا كتبها محمد محمد عبد الجواد حين حقّق الكتاب ودرسه^(١)، ولكنها دراسة انطباعية، لم تعتمد على منهج التناص الذي يدرس المنطقة الواقعة بين النصين، والذي يهتم بحوارية النصوص، وتفاعلها فيما بينها. وحين أُجبل النظر في الشواهد التي وردت في رسائل القاضي الفاضل في كتاب (فصوص الفصول وعقود العقول) ألحظ أن الشاهد في هذه الرسائل ينقسم إلى أربعة أنواع هي:

القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي والأمثال.

وسأحاول دراستها في هذا البحث مترسما خطى المنهج الإنشائي، وخاصة نظرية حوارية الأجناس الأدبية أو التناص، وهي من المرجعيات الهامة في تحليل الحركة النصية التي تحدث بين الأجناس الأدبية، وكان للناقد ميخائيل باختين بعيد الأثر في بناء أسسها. وللباحثين جوليا كريستيفا وتزفيتان تودوروف وجيرار جينيت عمل رئيس في تطويرها وإنضاج مفاهيمها ومصطلحاتها^(٢).

(١) انظر: فصوص الفصول وعقود العقول: ٤٩٩ - ٥١٠.

(٢) للناقد الفرنسي جيرار جينيت إضافات مهمة لمصطلح التناص أسهمت في إكمال ما ابتدأه باختين وأضافت إليه جوليا كريستيفا، فقد نزع إلى "الاعتقاد بأن النصوص الأدبية تتولد وتحيا على الدوام في ارتباطها التام مع جميع الأجناس الأساسية، وهذا بقدر ما يحدث فيها بالضرورة علاقات نصية مختلفة يجعلها في نفس الوقت متعالية على نصها الظاهر" القراءة وتوليد الدلالة. د. حميد لحميداني: ٤٦، المركز الثقافي العربي. بيروت. الدار البيضاء. ط. ٢٠٠٣م.، وراجع الرسائل الأدبية مقدمة الباب الخاص بالتداخل بين الأجناس وإلى التناص في شعر الرواد. د. أحمد ناهم. دار الآفاق العربية. ط. ١. القاهرة. مصر: ص ١٢ وما بعدها.

وبعد فأسال الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأُخِر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشاهد أداة مثمرة في التأثير في المتلقي، وإن أول أمر يحسن البدء به في هذا البحث تعريف الشاهد ليبين البحث على أساس علمي صحيح.

تعريف الشاهد:

الشاهد هو المصطلح الدال على أصل النص، فمادة (شهد) في اللغة تعني قال شيئا عن شيء، قال تعالى: (وشهد شاهد من أهلها)^(١) أي قال شيئا عن شيء، ففعل (شهد) في العربية هو من أفعال القول الدالة على استحضار الغائب عبر الكلام أو الخطاب.

وبين مصطلح (شَهِدَ) و(مَثَّلَ) صلة معجمية ذات إفادة في هذا الباب، ف(شهد) بمعنى رأى، يقال: هذا شاهد على، أي أنه قائم ليمثل الشيء، والشاهد عندي هو كذا، والشاهد هو مثال الحال الذي أتكلم فيه هو كذا، فالتكلم الذي يستعمل مادة شهد يستعملها لتمثيل الشيء، فمن هذه الجهة كانت مادة (شَهِدَ) ومادة (مَثَّلَ) مادتين مترادفتين^(٢).

والشاهد الأدبي "مقطع من نص يؤخذ من سياقه الأصلي ويدرج في سياق آخر بطريقة ما، لتحقيق وظيفة ما، فهو نقطة تقاطع بين نصين مختلفين ينتميان إلى جنس أدبي واحد.... أو إلى جنسين أدبيين مختلفين"^(٣).

إنَّ الشاهد علامة من علامات استفادة النصوص بعضها من بعض، فهو مظهر من مظاهر انفتاح النصوص على بعضها، وهو أداة من أدوات توشيح الكتابة وإثرائها بالمادة

(١) سورة يوسف: الآية: ٢٦.

(٢) راجع: لسان العرب: مادة (شهد) و(مثل).

(٣) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية) د. صالح بن رمضان: ١٦-٤١٧، ط ٢، الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

الموروثة، ويمكن القول إنه حجة نقلية للإقناع بفكر ما في سياق الاستدلال والبرهنة، وهو إلى جانب ذلك ركن من أركان البنية الفنية واتجاه مميز في صياغة النصوص^(١). والاستشهاد إعادة نص أدبي قديم في نص جديد، وهو ذو صلة بالعملية الأدبية الإبداعية، فهو عملية قائمة على التناص مع النصوص السابقة ومحاورتها، فما من عمل أدبي إلا وهو يتناص مع نصوص سابقة، والشاهد الأدبي شاهد على نص أصلي في نص جديد، وجسر واصل بين القديم والجديد، وحصيلة قراءة الأديب للنظام الأدبي الذي ينتمي إليه^(٢).

وللشاهد أهمية بالغة فلا ينبغي أن يأتي الخطاب أحادي اللغة والصوت فالبلاغة تقتضي أن يستشهد بنصوص وأقوال من خطابات أخرى لها مصداقيتها^(٣).

أنواع التناص في رسائل القاضي الفاضل:

يتصدر القرآن الكريم الاستشهاد في رسائل القاضي الفاضل في (فصوص الفصول وعقود العقول) ولذا سيكون أغلب الحديث تحت هذا العنوان عن شواهد القرآن الكريم، وما أقوله عن هذا النوع يمكن أن ينطبق على سائر الأشكال العلاقات بين النصوص في هذه الرسائل.

أ- التناص التام:

وهو الذي يذكر فيه القاضي الفاضل آية كاملة، ولم يكن القاضي في هذا القسم يشير إلى أنه سيذكر الآية بل يترك ذلك دون بيان، ويوكل للمتلقي مهمة استخراجها.

(١) انظر: المرجع السابق: ٤١٧.

(٢) انظر: المرجع السابق: الباب الثاني من الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم.

(٣) دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي. حسن المودن: ج١/ ٢٥٤. من بحوث الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. عالم الكتب الحديث. ٢٠١٠م. إربد. الأردن.

ولم يرد التناس التام إلا في موضع واحد هو قول القاضي الفاضل: "ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها البداية ولا قلت هذا بيت القصيد إلا تلا ما بعده: "وما نريهم من آية" ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(١). والشاهد في "أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون" فهي آية كاملة.

والتناس هنا مفيد الإعجاب المطلق بمنطق صاحبه فقد قرنه المترسل بالسحر الذي يعظم أثره.

ب-التناس الجزئي:

وهو تناس يقتبس فيه القاضي الفاضل جزءا من آية، ويدخلها بين ثنايا رسالته، ويحرص على تلاؤم المعنى مع النص المقتبس لئلا يشعر المتلقي بغرابة النص الجديد. ومن هذا النوع ما ورد في قوله: "ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها البداية ولا قلت هذا بيت القصيد إلا تلا ما بعده: "وما نريهم من آية".

فقوله مقتبس من قوله تعالى ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾^(٢). وقوله في رسالة يشتاق فيها إلى ابن سناء الملك ووالده: "وبالله إنني في هذه السفرة أجد من نظره على الهم سلطانا نصيرا، وأعاشر منه واحدا أجد منه عشيرا...و"الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين"^(٣). فقوله مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٤). وقد أفاد الاقتباس شدة شوقه للقاضيين كما كان يعقوب - عليه السلام - شديد الاشتياق لابنيه.

(١) سورة الطور: الآية: ١٥.

(٢) سورة الزخرف: الآية: ٤٨.

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول: ١٣٤.

(٤) سورة يوسف: الآية: ٦٤.

ومن التناص الجزئي ما ورد في قول القاضي الفاضل عن خطباء العرب: "وخطباء العرب جاهليها وإسلامها ومخضرمو دولتها ممن قد دل عليه كتاب البيان" وقرونا بين ذلك كثيرا" وإذا رأيت أدبهم "رأيت نعيما وملكا كبيرا"^(١).

فقوله هذا مقتبس من قوله تعالى: "وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا"^(٢). ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾^(٣).

ج-التناص الضمني:

وهو الأسلوب الذي يحوّر فيه الكاتب المفردة القرآنية، فيعيد صياغتها من جديد، وينهل من معانيها وألفاظها دون إشارة إلى نص الآية^(٤).

ومن شواهد ذلك قول القاضي الفاضل في رسالة إلى والد ابن سناء الملك يقرظ فيها كتابة ابن سناء الملك: "أنا منتظر منه الكرايس الكثيرة العدد، الدقيقة الخط... فإنها إن زادت قسمتها مجلدين فإني ممن إذا اكتال على الناس استوفى، ولعلي لا أثمر في هذا التطفيف"^(٥).

يقتبس القاضي الفاضل شاهدا وهو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٦).

(١) سورة يوسف: الآية: ٦٤.

(٢) سورة الفرقان: الآية: ٣٨.

(٣) سورة الإنسان: الآية: ٢٠. وللاستزادة في هذا المبحث راجع: أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري. د. ابتسام مرهون الصفار. ص ١٩-٣٦. جهيئة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٥م. عمان. الأردن.

(٤) انظر: رسائل الصاحب بن عباد دراسة موضوعية وفنية. فهد البكر: ٤٣٩، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣١-١٤٣٢هـ.

(٥) سورة المطففين: الآيتان: ١-٢.

(٦) فصوص الفصول وعقود العقول: ١٨٨.

وأجد شاهداً آخر استعمل فيه القاضي الاقتباس غير المباشر في وصف جمال الخط ودلالته على جمال المكتوب. يقول: "وقفت لي^(١) كتاب القاضي السعيد أبقاء الله وعلى الورقة المسودة فرأيت الجد الأبيض والحسن الأحمر، والعيش الأخضر، والروض الأنضر، ورأيت مطالع القصائد فرأيتها مطالع سعيدية، سعيدة ومبادئ كعواقب حميدة، وفواتح حسن كل بيت منها قصيدة. فأما التاء المرفوعة فلا يقرّ بها، ولا يقرّ بها، فما أعجبتني لا لأنها غير معجبة، بل لأنني أعلم أن الله لو حشر الأولين والآخرين ما قدروا أن يكملوا القصيدة من ذلك الجنس، ولا أحاشي من ذلك الكرام الكاتبين فضلاً عن الإنس"^(٢).

لقد استعمل القاضي جملة من الألوان الدالة على الجمال (الأبيض، الأحمر، الأخضر) ووصف الإطار المادي للكتابة (مطالع، فواتح، مبادئ) وفي إطار الوصف المادي للكتابة اختار من القرآن الكريم (كتب) واختار معنى من معاني الكتابة في القرآن وهو كتابة الأعمال، فناظر بين ما يكتبه الكتبة المذكورون في القرآن الكريم من الأعمال وبين ما كتبه المرسل في تلك الرسالة، ثم فاضل بين ما كتب في الرسالة وبين ما يكتبه الكتبة الحافظون، وفضل كتابة صاحبه، ولم يقتبس هذه الآية في صدر الكلام ولكنه أخرها ليغلق بها المقطع المدحي وليبين بها كمال هذه الكتابة وتمامها.

ومن هذا النوع كذلك قول القاضي الفاضل مقرضاً قصيدة للقاضي السعيد: "وكتاب القاضي السعيد وصل وطيه المقاطيع التي ما سميت بهذا الاسم إلا لانقطاع الخواطر عن مجاراتها، والأبيات التي هي أحسن مما استقرت عليه أبيات سلمى وجاراتها"^(٣).
ففي هذا المثال تناص ضمني مع قول عمرو بن معدي كرب:

(١) ورد النص بـ (لي) ولعل الصواب (على) ويؤيده ورود (على) في قوله: "وعلى الورقة".

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ١٠٨.

(٣) المصدر السابق: ١٧٦.

قد علمت سلمى وجاراتها ما قَطَّرَ الفارس إلا أنا^(١)

تناص القاضي مع البيت السابق ولم يبق القاضي منه إلا عبارات منثورة دالة على السياق، فهدم كل علامات الجنس الأدبي من إيقاع وروي وحافظ على بعض الكلمات الدالة على النص السابق فقط.

ومن هذا النوع ما جاء في قول القاضي في سياق قطعة من رسالة مدحية وفي فرع من فروع المدح هو تقرّظ شعر ابن سناء الملك: "وما أجدر هذه القصيدة أن تكون كأختها في الهناء بالأمر غير الواقع، وبالوصول إلى مصر ودونه ما شاءت الأقدار من الموانع، وبالجملة إن أهل هذه الصناعة وقفوا خلفاً ووقف أماماً وأنت السماء بهم دخاناً وأنت به غماماً، وتأخروا وإن تقدموا وتقدم وإن تأخر"^(٢).

وضع القاضي الفاضل الشاهد "وأنت السماء بهم دخاناً" في إطار وصف المرسل إليه بإزاء بقية الناس، وبقدر ما عظم المرسل إليه ووصفه بالمكانة قلل ممن هم حوله، فأخذ معنى قرآنياً موجوداً في وصف علامات الساعة، وهو أن تأتي السماء بدخان، وأخرج الشاهد من سياق وصف علامات الساعة إلى سياق ذم منزلة من حول الإمام فجعلهم كالخان فقال: "وأنت السماء بهم دخاناً وأنت به غماماً" وفي قوله (غمام) إحالة على السقي فهو غمام وغيره من الكتاب دخان.

لقد جاء التناص الضمني لخدمة المعنى المدحي، ثم جاءت العبارات غير القرآنية لتفسر المعنى: "وتأخروا وإن تقدموا وتقدم وإن تأخر، وقصروا وإن سبقوا وسبق وإن قصر".

(١) شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي. جمعه ونسقه مطاع طرابيشي: ١٦٧. دار الفكر للطباعة. ط ٢.

١٤٠٥ هـ. ١٩٨٥ م. دمشق.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ٨٦.

د-التناص القرآني الأغراض:

إن كل نص يستشهد به يؤخذ أسلوباً وغرضاً، لكن الكاتب وهو ينقل الأسلوب قد يغيّر الغرض وفاق الغرض الجديد، فقد يكون مدحاً فيصبح هجاء والعكس^(١).
وتحويل الأغراض القديمة في الشواهد إلى أغراض جديدة ظاهرة إنشائية معروفة في الترسل الأدبي، وبها يجلب الكاتب الشاهد لا لخدمة الغرض نفسه بل لخدمة غرض آخر في نص الرسالة، وأذكر من هذا التناص الأغراض شاهدة يقتبسها القاضي الفاضل من القرآن من سياق الذم والتقريع والتوبيخ وهو قوله في رسالة إلى والد ابن سناء الملك يقرظ فيها كتابة ابن سناء الملك: "أنا منتظر منه الكرايس الكثيرة العدد، الدقيقة الخط... فإنها إن زادت قسمتها مجلدين فإني ممن إذا اكتال على الناس استوفى، ولعلي لا آثم في هذا التطفيف"^(٢)، فالقاضي يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٣) الذين إذا أنكأوا على الناس يستوفون^(٤)، وقد جلبه من سياق القرآن، وهو سياق ذم ونقله إلى سياق المدح، مدح جمال الكتابة، والتعبير عن شرهه وطمعه ورغبته في أن يستزيد من تلك الكتابة، ثم حول الشاهد القرآني من سياق مادي لأن القرآن الكريم يتحدث عن المادة ممثلة في المكاييل إلى سياق معنوي، فخرج الشاهد من معناه الأصلي إلى معنى جديد، فكانت الرسالة نوعاً من الاجتهاد في استخدام الشاهد استخداماً جمالياً.

أنواع الشواهد في رسائل فصوص الفصول وعقود العقول:

١-الشاهد القرآني:

لا نكاد نقرأ رسالة كتبها القاضي الفاضل إلاّ ونجد فيها أثراً من اقتباس حتى لتكاد الظاهرة تغدو سمة أسلوبية مميزة، ولا غرو في ذلك فتقافة كاتب الإنشاء من أبرز

(١) للاستزادة حول ذلك: راجع الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: ٤٢٨.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ٣٥.

(٣) سورة المطففين: الآيتان: ١-٢.

شروطها حفظ القرآن الكريم وخطاطاته الدلالية والقدرة على انتزاع الشواهد القرآنية في أي فكرة أو جهة معنوية يكتبها الأديب ليؤيد بها رأيه.

ولعل كثرة الاقتباسات عائدة أيضا إلى ما يمتلكه الخطاب القرآني من سلطة إقناعية يتوسل بها الكاتب إلى إقناع المتلقي لأنه يمثل "السمة القارة في الخطاب الديني، ومن ثم فإن العودة إليه تعطي مصداقية متميزة لمعاني الخطاب وذلك انطلاقا من مصداقية الخطاب القرآني نفسه"^(١)، فهو "سلطة غير شخصية؛ لأنه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين لذلك يمثل محط إجماع دونه الحجج"^(٢)، كما أن النزوع إلى الشاهد القديم فيه دلالة على ما يحفّ المعطيات التراثية من قداسة ونظرة الإجلال والإكبار^(٣).

إن استشهاد القاضي الفاضل بالقرآن الكريم ليس بناتج عن معرفته بالقرآن الكريم فحسب، لأنه يتقاسم هذه المعرفة مع غيره من غير الكتاب، وإنما يعود ذلك إلى معرفته بمعاجم القرآن وبسجلات التعبير الفني فيه، فقبل كتابة الشاهد في النص الجديد يكون في ذاكرة الكاتب جملة من السجلات القرآنية المتميزة التي تشبه في ذهنه السجلات اللغوية العادية، فالمتكلم وفق جداول الاختيار المتوافرة في ذهنه يختار من جداول، والكاتب وهو هنا القاضي الفاضل حين يختار من جداول الاختيار لا ينتقي

(١) بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي (البنية الإحالية) د. يوسف أحمد إسماعيل: مج ٦٩، مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. الرسالة (٢٢٠) ١٤٢٥-١٤٢٦ هـ ٢٠٠٤م.

(٢) خطاب المناظرة في التراث العربي والإسلامي (مقاربة لآليات بلاغة الإقناع)، عبد اللطيف عادل: ٢٠٦، أطروحة مرقونة في كلية الآداب بجامعة القاضي عياض، مراكش. وانظر في ذلك: التفكير البلاغي عند العرب، مشروع قراءة، حمادي صمود: ٣٤، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م.

(٣) انظر: ظاهرة العنوان في شعر العهدين الزنكي والأيوبي، المفهوم والإجراء، عبد العزيز الخراشي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي إلى قسم الأدب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣-١٤٣٤ هـ: ٣٦.

كلمات بل ينتقي عبارات قرآنية ذات طاقة تلفظية أي في سياقات محددة، وهي أجزاء من آيات، فهو لا يختار من القرآن كلمة ولا يختار آية كاملة بل يختار وحدات معجمية مرتبة في ذهنه، تعوّض الكفاية اللغوية في اللغة.

إن القرآن الكريم الكتاب المعجز رأس الهرم من اللغة، لا تفوق بلاغته بلاغة، ولا يداني أسلوبه أي أسلوب، والأدباء يقتبسون منه (لأنه نور) ويطعمون كلامهم من آيه، محاولين إعلاء كلامهم حين يذكرون معه شيئاً من آي الذكر الحكيم^(١).

إن الأدباء عامة عندما يستشهدون بالقرآن يستشهدون وفي ضمائرهم أن القرآن نور، وأنه يضيء، ولذلك سُمّي الأخذ من القرآن اقتباساً، فهو من القبس (نقتبس من نوركم) ولما كان الشاهد القرآني قبساً فإن كتابته في الرسالة تنيرها، أي تجعلها أكثر بياناً لأن البيان نور، فبين سجل الكلام البين وسجل النور تداخل، وهذا أساس من الأسس التي بني عليها الاستشهاد بالقرآن في النظرية الأدبية^(٢).

والقاضي الفاضل كاتب مقدّم، وشروط الإجابة في الكتابة كثيرة ومنها حفظ القرآن الكريم والقدرة على انتزاع الآيات من مكانها وغرسها في الأماكن المناسبة لها من رسالته، لتنير أرجاء الخطاب حتى لا يبدو اضطراب بين الاقتباس وما حوله، وبذلك يثري الخطاب القرآني النص ويطبعه بطابع الثراء الفني^(٣).

(١) انظر: رسائل صاحب بن عباد: ٤٣٣.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٤٣٣.

(٣) للاستزادة انظر: التناص في شعر أبي العلاء المعري، إبراهيم الدهون: ١٢٠، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، إربد، الأردن. وراجع ديوان الإنشاء بمصر والشام في القرن السادس الهجري وأثره في تطور الأساليب النثرية. عايض الحارثي: ١٣٣، رسالة دكتوراه مقدمة إلى فرع الأدب بجامعة أم القرى عام ١٤٠٣هـ.

والتناص مع القرآن الكريم في رسائل القاضي الفاضل كثير، وهذا أمر يسهم في إسباغ مظهر من مظاهر الجمال الفني على كتابة القاضي الفاضل، ويسهم في "إكساب المعنى عمقا وتحفيزا، وتفاعلا مما يجعله أكثر حضورا، وفاعلية في النفوس"^(١).

إن القاضي الفاضل حين يدرج الشاهد القرآني في نصه يختفي عن النص ويغيب قصدا وينسلخ انسلاخا ظاهرا ومؤقتا من درجة النص المتن، وينتسخ من قائل إلى ناقل^(٢).

إن في الاستشهاد بالقرآن الكريم جمالية في التواصل الثقافي بين المترسلين وأهل زمانهم، فما إن يتمثل الكاتب بالقرآن الكريم حتى تنفتح قابلية المتلقي لتذوق ذلك النص، فتذوق النص ناتج عن رسوخ جمالية تلقي النص القرآني للسامع في عصر الكاتب، فبين النص القرآني وبين الجمهور ألفة سابقة.

وحين أطالع اقتباسات القاضي الفاضل أجده في بعض الحالات يتناص تناصا مباشرا مع الآية دون أن يغيّر فيها شيئا، بل كأنه ناقل لها يضعها بنصها حيث يرى مكانها المناسب لها في الرسالة^(٣).

ومن ذلك قوله في كتابه إلى والد ابن سناء الملك: "ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها البداية ولا قلت هذا بيت القصيد إلا تلا ما بعده: "وما نريهم من آية" ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٤).

(١) الشاهد في رسائل أبي بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ) بحث مقدم لإكمال متطلبات الماجستير في الأدب العربي في قسم الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نوال الفوز: ٧٥. العام الجامعي: ١٤٣٣-١٤٣٤ هـ.

(٢) للاستزادة انظر: التناص في شعر أبي العلاء المعري: ١٢٠.

(٣) من مواضع ذلك ما ورد في فصوص الفصول وعقود العقول: ٩٨.

(٤) سورة الطور: الآية: ١٥.

وقد يحذف القاضي الفاضل شيئاً من النص المقتبس، ومن ذلك ما ورد في النص السابق قائلاً عن كتابات ابن سناء الملك: "ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيد إلا تلا ما بعده" وما نريهم من آية^(١).
لقد اقتبس القاضي الفاضل آيتين، ولم يشر إلى أنهما آيتان لا عن طريق قوله مثلاً قال تعالى ولا عن طريق آخر.

اقتبس القاضي الفاضل آيتين من سورتين مختلفتين، ولم يكمل الآية الأولى لأن المعنى معروف فمن يحفظها يدركه. وباقيها ﴿أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا﴾ فكأن كتابات ابن سناء الملك تترع العينين انبهاراً بحسنها، فكلما سار القارئ في قراءة أدبه ازداد إعجابه، وصار ما بعده أعظم وأشدّ جمالاً مما سبقه.

ويحقق تناص القاضي الفاضل في الشاهد السابق علو كعب ابن سناء الملك في الكتابة، وأن من يطلع على كتابته حتى لو شهد له بالتقدم فإنه لم يضعه في موضعه اللائق به، وهذا مظهر من مظاهر المجاملات بين الأنداد والنظراء.

ومن المواضع التي اقتبس فيها القاضي الفاضل وحذف بعضاً من النص المقتبس ما ورد في كتاب أرسله إلى والد ابن سناء الملك يقول فيه: "ورد من القاضي السعيد كتاب فوجده طوفان بلاغة، وما قرأت سطراً منه إلا قرأت "يا سماء أقلعي، ويا أرض ابلعي، والتقى الماء على أمر قد قدر"^(٢).

لقد تصّرف القاضي في النص المنقول فقدم وأخر وحذف بعضاً منه فالآية هي ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَاسْمَأْزِلِي﴾^(٣)، وبين أن القاضي قدم "يا سماء أقلعي" وأخر "يا أرض ابلعي" وحذف المفعول به للفظه ابلعي، وهي (ماءك) وهو تصّرف قائم على

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ٩٨.

(٢) المصدر السابق: ١١٦.

(٣) سورة هود: الآية: ٤٤.

تقصّد القاضي المجيء بالسجع الذي هو حلية لفظية، والمجيء بـ (ماءك) يفوّت على القاضي تحقيق المحسن البديعي.

إن هذا الوجه من وجوه التناص في كتابة الشاهد القرآني هو تحويل دلالي، فاقتباس القاضي الفاضل لما جاء في هذه الآية هو تحويل لدلالاتها من سياق سردي إلى سياق مدحي فالسياق السردى فيه أمر للسماء بالإقلاع عن الإمطار في قصة نوح عليه السلام، وأدرجها في سياق المدح –مدح البلاغة المتدفقة بالكثرة–، ولكن هذا التناص لم يكن لمجرد وصف هذه البلاغة بالكثرة، بل إن وراء استعارة الماء في الآية دلالتين، دلالة سلبية مذكورة في القرآن، وهي الطوفان والإهلاك وابتلاع الماء لكل ما في الأرض باستثناء نوح عليه السلام ومن معه، والقاضي الفاضل أخذ هذا المعنى وحوّله إلى دلالة إيجابية هي كثرة البلاغة، فهنا دلالة الإحصاب وجمال اللغة والتعبير.

فاستعارة الآية القرآنية إنما هي لما في (الماء) من قدرة دلالية على أن يوظفها الكاتب في السياق الثاني وهو سياق المدح.

ويتكئ الكاتب على النص القرآني لأنه العقد الجمالي والثقافي بين المتكلم والمرسل إليه، فبين الكاتب والقارئ اتفاق على ترتيب جمالية النصوص فليست كل النصوص الأدبية متجانسة من حيث ترتيب المجتمعات للقيم الجمالية، فكل حضارة طريقتهما في ترتيب جمالية النصوص.

وألحظ من جهة أخرى أن الكاتب ينطلق في بناء الرسالة التي وجهها لابنه قائلاً عنه: "وأما اعتذارك عن معلمك القاضي السعيد في كونه فارقني فأرقني..."^(١)، ينطلق من غرض الاعتذار الغرض يسبق المعنى، فالكاتب ينطلق من الغرض فيصمم المعاني المنظومة من خلال الشاهد الموجود سلفاً في ذاكرة الكتابة.

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ٦٧.

إن المعنى الذي بنى عليه الكاتب الاعتذار هو معنى من قبيل المدح الذي يراد به الذم وهو السحر، فهو يتهم على سبيل الذم المتحدث عنه بالسحر "فإنه يعلمك السحر" وتذهب وجهة السامع والقارئ إلى معنى الذم لكن الكاتب يعدل باستعمال الاستدراك فيقول "لكن سحر البيان" ثم ينثر في المقطع كله كلمات من الشاهد القرآني الذي بنى عليه المدح الذي يشبه الذم وهو عبارة (النفاثات في العقد) ينثرها في النص قائلاً: "وقد عقد لساني عن عتبه، بالسحر من كتبه، فإني لما قرأت كتابه وتأمّلت قصيدته التي اعتذر فيها عن فراقي وهربه مني وتركه أيدي أشواقى آخذة بأطواقي، كنت كلما قرأت فصلاً أو بيتاً تحللت عقدي فعلمت أن أقواله النفاثات في العقد"^(١).

ومما سبق يبين أن الشاهد القرآني هو منطلق بناء الغرض (غرض الاعتذار) لأن الشاهد القرآني هو المكون الثقافي والجمالي لصياغة معاني هذا الغرض الإخواني.

ويقول في رسالة أخرى: "وأما كتاب القاضي السعيد فقد وقفت عليه قبل كل كتاب وصل في هذه النوبة، ارتياحاً إلى ما يصدر منه، وعلماً بفضل ما يؤثر عنه، وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره، ومن نثره إلا نظمه، ولا من آخره إلا أوله، ولا من أوله إلا آخره، ولا نظرت ولا سمعت فيه إلا بعين الهوى وإلا بإذنه، ولا قلت إلا ما استمهد خاطر الإنصاف وقلمه من حسن لا خلاف في حسنه، ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها البداية، ولا قلت هذا البيت آية القصيد إلا تلا ما بعده "وما نريهم من آية" ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢).

إن عبارات المدح في النص السابق منسوخة من قوله تعالى: "وما نريهم من آية" و من قوله تعالى أيضاً: "أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون" فأية القصيد مأخوذة من "وما نريهم

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ٦٧-٦٨.

(٢) سورة الطور: الآية: ١٥.

من آية "لأن الأصل في وصف معقد الشعر في القصيد أن نقول بيت القصيد، ولا نقول آية القصيد، وعلى هذا فلفظ (آية) يمهّد لوضع الشاهد" وما نريهم من آية"^(١).

ولعل مردّ كثرة اقتصار القاضي الفاضل على المقاطع دون النصوص كاملة إلى أن المدونين القدامى ونقاد النثر كانت اهتماماتهم منصبة على بلاغة الجملة، أما بلاغة النص والخطاب والسياق فلم تكن من المفاهيم المعتمدة في شعرية النثر وفي بلاغته، ولأن تناقل النصوص يقتضي اختصار الأقوال، ولأن المترسل يحفّز القارئ لينتج معه معنى النص، فحين يكون المتلقي حافظاً للقرآن وحافظاً للنص الذي لم يُذكر فإنه يتحول وهو يقرأ الشاهد في سياقه إلى قارئ ومتذكر في آن.

إن القاضي الفاضل يشتق المعنى من الشاهد ويدرجه في قول نثري ثم يسوق الشاهد فيكون قد مهّد المتلقي لقبول الشاهد في المقام الجديد.

ويبدو أن المدح الذي يخصّ به المترسل الشعر والنثر مستعملاً الاقتباس القرآني يتكرر في الرسائل، ففي إحدى الرسائل يقول: "تعرف القاضي السعيد وصول كتابه المعطوف على الفائية الوفائية، وقبلها وصلت السينية السنية" وما يرينا من آية إلا هي أكبر من أختها"^(٢) "^(٣). إن القاضي الفاضل لا يقتبس من القرآن في كل رسالة معزولة عن غيرها، فيبدو أنه اختار موضوعات اقتباسية وكرّرها في رسائله، فموضوع تشبيه الشعر والنثر في نطاق المدح بالآية موضوع يتكرر، ويبدو أن وراء هذه الرسائل خطة فنية بمقتضاها يختار المترسل لموضوعات معينة شاهداً بعينه من القرآن.

(١) إن المعهود ألا يقال آية القصيد بل بيت القصيد لكن القاضي عبّر بالآية لأنه يكتب والشاهد القرآني في ذهنه.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٨.

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول: ٥٥.

وقد يبين استشهاد القاضي من لفظة يشتقها من لفظة في الشاهد الذي يورده، ومنه قوله عن كتاب لابن سناء الملك في رسالة كتبها لوالد ابن سناء الملك: "ووقفت على الكتاب السعدي - أسعده الله - وزاده اقتدارا ودأوت جراح خاطري ما فيه من الغرائب التي أنشأهن إنشاء فجعلن أبكاراً"^(١).

إن القاضي في هذا السياق يربط بين أمرين مهمين هنا وهما الكتابة الفنية التي تسمى إنشاء ويسمى كاتبها منشئاً وبين الإبداع، الدال على الخلق على غير مثال سابق.^(٢) فكلاهما إنشاء، ويستفيد مما ورد في الآية الكريمة من ورود إنشاء مرتين مرة بفعلا الماضي ومرة بمصدرها.

إن مطالع رسائل القاضي الفاضل يجد أنه اتخذ إدراج النصوص القرآنية في رسائله ركناً من أركان تأليف الجمل، وقد أسهم هذا الأمر في تحقيق ثلاث وظائف هي الوظيفة الإقناعية التي يهدف فيها التناص إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي^(٣)، والوظيفة الجمالية التي تجذب الذائقة، والوظيفة البنائية التي بها ينمو هيكل الرسالة ونظامها.

٢- الشاهد النبوي الشريف:

كان للحديث النبوي أثر في أسلوب الكتاب، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب، وقد أوتي جوامع الكلم، فكلامه قبس يضيء ثنايا كلام الكتاب. ومن الشروط التي يجب توافرها في بلاغة الكاتب في زمن القاضي الفاضل الإحاطة بكثير من الأحاديث النبوية علماً وحفظاً.

(١) المصدر السابق: ٧٧.

(٢) لسان العرب: مادة (بدع).

(٣) انظر: اللغة والخطاب، عمر أوكان: ١٣١، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١م، المغرب.

وتناص القاضي مع الحديث النبوي قليل مقارنة بتناصه مع القرآن الكريم، ولا عجب في ذلك فكثير من الأدباء يحفظون القرآن الكريم ويرددونه ويقرؤونه ويتدبرونه وهم مأجورون على ذلك، أما الحديث النبوي فليسوا متعبدين بتلاوته مما يجعل تكرّر النص من القرآن الكريم أكثر دورانا على ألسنة الكتاب وغيرهم من تكرّر نصوص الحديث، ولأمر آخر وهو أن "قدسية النص القرآني وارتفاعه عن مستوى التعبير البشري أحلته المنزلة الأولى، فينظر إليه الكتاب على أنه الأنموذج الرفيع الذي يحتذى"^(١).

ومن شواهد تناص رسائل القاضي مع الحديث ما ورد في قوله عن قصيدة لابن سناء الملك: "وقد تجاذبت الهمم روايتها فإن فهمها رأس مال في فصل الخطاب، وتناوبت الأقلام نسخها فإنها طيارة لا يقيدوها إلا الكتاب"^(٢).

فالشاهد السابق يتناص مع قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "قيدوا العلم بالكتاب"^(٣).

وقد اتخذ القاضي التناص مع الحديث النبوي سببا للتعبير عن منزلة قصيدة ابن سناء الملك، فمن حقها التقييد بالكتابة فليست من عرض القول أو رديئه، بل هي في مقام عال ومكانة سامقة.

وبغير القاضي الصيغة التي وردت في الحديث النبوي، فقد ورد الحديث بصيغة الإنشاء (الأمر) وهنا ورد بصيغة الخبر عن طريق النفي والاستثناء، وقد حُذِفَ المفعول به الاسم الظاهر (العلم) ووُضِعَ مكانه الضمير الدال على (القصيدة)، وحافظ القاضي على ختم الكلام بـ (الكتاب) غير أن موضعه في الحديث الجر وفي نص القاضي الرفع على الفاعلية.

(١) الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث. محمد محمود أحمد الدروبي: ٥٣٦، ط ١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ١٩٩٠م..

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ٨١.

(٣) سنن الدارمي. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي. عناية محمد أحمد دهمان: ١٢٧/١. دار إحياء السنة النبوية.

إن التناص مع الحديث النبوي من شأنه الدلالة على عالميّة لدى الأديب^(١)، وفيه يكتسب النص قيمته من قيمة الشواهد المدرجة فيه، فهو يروم إدخال المتلقي إلى فضاء النص بالاستعانة بخطاب آخر، فكأن الكاتب تنازل عن سلطة الكتابة، أمام قداسة النص النبوي^(٢).

ومن شواهد التناص مع الحديث النبوي ما ورد في قول القاضي عن كتاب لابن سناء الملك: "ولا عيب في هذه المحاسن إلا قصور الأفهام، وتقصير الأنام، وإلا فقد لهجوا بما تحتها ودونوا ما دونها... وسارت الأشعار وطارت بما لا يبلغ مدّها ولا نصيفها"^(٣).

يتناص القاضي مع قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه"^(٤).

ويعمد القاضي إلى التناص مع الحديث السابق لما يمثل من دعم لرؤيته وبلورة لأفكاره، فرغبة القاضي في إعلاء منزلة الكتاب الذي بلغه من ابن سناء الملك جعله يستحضر الحديث النبوي الذي يدل على عظم شأن الصحابة، فلا يقاربه أحد ولو أنفق ما أنفق.

ويحافظ القاضي على صيغة الحديث النبوي التي تحوي نفياً غير أنه يكرر (لا) مرتين في حين أن الحديث يستعمل (ما) في المرة الأولى، و(لا) في الثانية، وفي هذا مزيد مزية في الحديث الذي نأى عن التكرار، وينحرف القاضي بالصيغة من المذكر إلى المؤنث لأن ذلك من متطلبات السياق.

(١) ظاهرة العنوان في شعر العهدين الزنكي والأيوبي: ٢٠٩.

(٢) للاستزادة: راجع: الشاهد في رسائل أبي بكر الخوارزمي: ٢٠٩.

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول: ٩٨ - ٩٩.

(٤) مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحكام الجامع الصحيح. زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي. تحقيق محمد سالم هاشم: ٣٤٢/٢، ط١. ١٩٩٤م. بيروت.

وبعد فإن التناص مع الحديث النبوي - وإن كان قليلا - فإن فيه إشارة إلى انفتاح الرسالة على عوالم غنية بالدلالات والإيحاءات، وإسهام ذلك العمل الفني في بناء الذاكرة بنائاً أدبياً^(١).

٣-الشاهد الشعري:

اهتم القاضي الفاضل بالشعر واستشهد به في مرات كثيرة تأييدا لفكرته أو تصويرا لحال ما، وذلك لما للشعر من طاقات تأثيرية تؤثر في المتلقين، و"أحسن الكلام ما رُق لفظه، ولطف معناه، وتلألأ رونقه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم"^(٢). بل إن العرب تقول: "ما أحسن هذه الرسالة لو كان فيها بيتٌ من الشعر"^(٣). والعرب عموما يحبون الاستشهاد بالشعر "فهو أهم عنصر في بنية مجتمعهم الثقافية، وهو نمط التعبير الذي شغلهم عن التفكير في أنماط أخرى"^(٤)، وهذا يعني أن "للشعر قوته في البناء اللغوي والمعرفي والإقناعي داخل هذه الثقافة"^(٥).

ومن مظاهر ورود الشاهد الشعري مجيئه بنصه أي يكون التناص معه تناصا مباشرا، ومنه ما

ورد في قول القاضي الفاضل في ختام رسالة بعث بها إلى والد ابن سناء الملك: "والمملوك يقول عنه - يقصد ابن سناء الملك - ما قاله البديع الأضرلابي وقد طلب السلطان السلجوقي مجموعا شعريا فجمعه وكتب معه:

أرسلت مجموعا وهذا قد أتى يحكي تفاصيلي ومجموعي

(١) الشاهد في رسائل أبي بكر الخوارزمي: ٢٠٩.

(٢) الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي. صححه وضبطه وشرحه غريبه أحمد أمين وأحمد الزين: ١٤٥/٢. منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

(٣) المرجع السابق: ١٣٦/٢.

(٤) التفكير البلاغي عند العرب، مشروع قراءة. حمادي صمود: ٢٤.

(٥) خطاب المناظرة في التراث العربي والإسلامي (مقاربة لآليات بلاغة الإقناع): ٢٧.

يريك مطبوعاً ولكنه ألف مالميس بمطبوع

لكن عذري فيه تلقيبه زهيد أسقاط المجاميع^(١)

فالنص الوارد أبيات لكنها رسالة داخل رسالة فهي تغوير أو تضمين انعكاسي أي تضمين نص أدبي في آخر من الجنس نفسه، فكأن النص الأول فيه قاع وينعكس عليه نص آخر^(٢).

ومن مظاهر ورود الشاهد الشعري قول القاضي الفاضل في رسالة بعث بها إلى والد ابن سناء الملك يقرّظ فيها كتابا لابن سناء الملك: "ورد من القاضي السعيد كتاب فوجده طوفان بلاغة، وما قرأت سطرًا منه إلا قرأت يا سماء أقلعي، ويا أرض ابلعي، والتقى الماء على أمر قد قدر؛

والماء إن جاوز الطوفان مهلكة والعدل إن جاوز المشروع عدوان^(٣)

يدخل القاضي الفاضل شاهدا شعريا ليس من نظمه في رسالته، ولم يحور فيه، ولم يسبقه به (قال، قول، قيل) وهو شاهد متصل بموضوعه، شديد التواشج به، فهو يخوض في بلاغة ابن سناء الملك حتى رأى أنها جاوزت المؤلف، وهو بهذا يدل القارئ على قدرته على استجلاب الشواهد وغرسها في مواضعها المناسبة لها.

ومن مظاهر المناسبة في استحضار الشاهد الشعري ما يحويه من نغم ففيه قرب من التشطير، ف"والماء إن جاوز الطوفان" تقابل "والعدل إن جاوز المشروع".

وأجد إجحاح القاضي على الماء وما يتصل به في المقطع السابق، ولا غرو في ذلك فالماء من المواضع الاستعارية المشهورة في اللغة.

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ١٨٩-١٩٠.

(٢) انظر: معجم السرديات، د. محمد القاضي وآخرون: ٩٧-٩٩، دار محمد علي للنشر، ط. ١، ٢٠١٠م. تونس.

(٣) المصدر السابق: ١١٦.

وربما ورد الشاهد الشعري مبتورا أي شطرا واحدا، ولعل هذا عائد إلى شهرته، وتتمام معناه، ومناسبته للقيام بما يريد الكاتب، ومنه قول القاضي الفاضل من نص بعث به إلى ابنه الأجل الأشرف: "وأما اعتذارك عن معلمك القاضي السعيد في كونه فارقني فأرقني وأوحدني فأوحدني، فهذه حجج ملفقة علمك إياها، فإنه يعلمك السحر ولكن سحر البيان، وما أحق أقواله أن توصف بما وصف به ابن المعتز كتابته بأنها سحارة تحكم عقد اللسان، فلا يجد البليغ معارضتها في الإمكان"^(١).

لقد سبق إيراد القاضي الفاضل النص بقوله: "بما وصف به ابن المعتز كتابته بأنها" وهذا يشير إلى رغبته في الإقناع بجمال كتابة المرسل إليه، وذلك بتخلي القاضي عن الكلام وترك المجال لغيره ممن هو أفصح منه، كما أن إدخال قول ابن المعتز أسهم في بناء الفاصلة السجعية.

إن استشهاد القاضي بنص في المدح من كاتب آخر يضاعف من دلالة المدح لأن الممدوح يصبح محل مدح من الكاتب ومن قائل الشاهد الأول في آن واحد. ومثل ما سبق من إدخال شطر واحد في إحدى رسائل القاضي الفاضل ما ورد في النص السابق حين قال: "فعلمت أن أقواله النفائات في العقد، وأن من وجد منها ما وجد، ما فقد منه ما فقد، وما هرب إلا خوفا أن يقضى عليه بالمحتوم وهو حاضر بحضرتي، فينفرد بتجرع حسرتي دون أسرتي، وهذا عذر أستحي أن يقوله فقلته عنه، وخجل أن يجعله عذره فعذرتة عند نفسي منه، ما عليه والله عتب ولا ذنب، ومن أين للوجه الجميل ذنوب"^(٢).

(١) المصدر السابق: ٦٧-٦٨، والشطر من قول ابن المعتز:

ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز. تحقيق محمد بديع شريف: ٣١٦/٢. دار المعارف. ١٩٧٧م. القاهرة.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ٦٨-٦٩. والشطر من قول أبي فراس:

ديوان أبي فراس الحمداني. رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه: ٤٤. دار صادر. دت. بيروت.

إن بلاغة الجملة تقتصر على المكونات المادية والإيقاعية للجملة، أما بلاغة الشاهد فتأخذ بلاغة الجملة ثم يضاف إليها بلاغة المستشهد منه، مثل قول أبي فراس السابق فجملته تحولت إلى حكمة (ومن أين للوجه الجميل ذنوب) فهذه الجملة حين نقلت من موضعها الأصلي أصبحت حكمة فبلاغتها بلاغة خطاب وتفاعل بين السامع والقارئ. ويستحضر القاضي قول أبي فراس "ومن أين للوجه الجميل ذنوب" لينفي عن صاحبه أي عيب مهما قل، وقد أسهم إحضار الشاهد في صبغ آخر الفقرة بصبغة إيقاعية يمكن القارئ أن يترنم بها.

وفي الرسالة السابقة يرد التناص مع الشطر في غير موضع، وهذا أمر يوحى بنزوع القاضي إلى الاكتفاء بالبنيات الشعرية الصغرى التي تحوي معنى تاما، وتقوي القول في المعنى الذي يتحدث عنه الكاتب.

ومن وجوه تحويل الشاهد الشعري في الرسائل ما عُقد بين الغزل والإخوانيات^(١) وقد ورد هذا في قول القاضي الفاضل: "وفي هذا اليوم وصل كتاب القاضي السعيد إلى دمشق فوصل إلى العين منه إنسانها"، الحظ هنا كيف أن الكاتب اشتق من فعل إخبار وصل الكتاب فعل المدح والتعبير عن الإخوانيات: "فوصل إلى العين منه إنسانها وتبوا من النفس مكانها، وهو مكانها وأحواله سارة بجسمه، والطريق ما أثرت فيه أثرا ينقص من نشاط عزمه، وكان معي هذا الكتاب كما قال المجنون:

وخبرت ليلى بالعراق مريضة فأقبلت من مصر إليها أعودها^(٢)

(١) إن التجاور في أصل المعنى بين الغزل والإخوانيات حادث؛ لأن الغزل في بعده العفيف الصادق تعبير عن العاطفة والوجدان لكنه ليس من الإخوانيات، هو تعبير عن الوجدان في العلاقة بين الرجل والمرأة، وقد أخذ المترسل الشاهد من الغزل وأدرجه في الإخوانيات.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ١٧٣. والبيت في ديوان مجنون ليلى. جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج: ٨٦. مكتبة مصر. ١٩٧٩م. القاهرة.

فقد شبه القاضي الرسالة بليلي وشبه نفسه وهو يقرؤها بالمجنون يزور محبوبته. ومن شواهد التحويل ما ورد في قول القاضي الفاضل في رسالة كتبها لوالد ابن سناء الملك يقرّط فيها كتابا لابن سناء الملك: "وصاحبنا هذا صحبته الديم، وسبّح بحمده القلم، وكبر له وهلل فيما رقم، أو فيم نثر بمدحه ونظم، ما استأنس إلا بنفسه، ولا رأى مثلها ولا يرى ولا نرى، ولا أخرج من كيس فكره النقود التي تباع بها القلوب وتشتري"^(١).

ولّد الكاتب معنى مدحيا في صورة محسّنة من معنى مدحي في صورة محسّنة من شعر أبي الطيب المتنبّي، وجعل الصورة قالبا تعبيريا يمكن أن يتحول بفضل الاستشهاد الرسائلي إلى (نقود الفكر تباع بها القلوب وتشتري) فقد استعملها المتنبّي أول مرة ثم أعاد القاضي استعمالها فكانت وظيفتها التصويرية وظيفّة تحويل للصورة الحسية الملموسة إلى عبارة مثلية يمكن أن تسير في الاستعمال.

إن ما سبق مثالان دالان على تحويل الأغراض مما كانت عليه الشواهد في سياقها الأصلي إلى سياق جديد.

٤- الشاهد المثلي:

الأمثال من أبرز فنون التعبير المشهورة، تنتشر بين الناس سريعا ويمتد بقاؤها قرونا طويلة، وهي نصوص تمنح النص الذي ترد فيه طاقة تعبيرية، وتضفي عليه سلطة المثل وخبرة قائله، ولها "وظيفة حجاجية عقلية"^(٢) ويرى العسكري أن الأمثال "من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على

(١) المصدر السابق: ٨٠.

(٢) دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، حسن المودن: ج١/ ٢٥٤.

المتكلم مع كثير عنايتها وجسيم عائداتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب^(١).

وللأمثال حضور بين في الأدب العربي؛ فهي لا تنفك تواجه المتلقي في مختلف النصوص، ولا غرو في ذلك؛ فهي مرآة عاكسة لكثير من الأوضاع الاجتماعية والحضارية في الحياة.

وحين أنظر إلى رسائل القاضي الفاضل المدروسة أجده أورد بعض الأمثال ووظفها في خطابه إلا أن ورود هذا الجنس الأدبي قليل والأمثلة هي:

١- تحللت عقدي.

٢- ولا أخرج إلا من كيس فكره.

٣- الحسن الأحمر.

وهذه الأمثال لم يرد شيء منها بصورته الأصلية بل غير القاضي الفاضل في تركيبه ولو تغييرا يسيرا.

١- قال في نص بعث به إلى الأجل الأشرف: "تحللت عقدي، فعلمت أن أقواله النفائات في العقد"^(٢).

إن بداية الجملة "تحللت عقدي" مأخوذ من المثل "وتحللت عقده" وهو مثل يضرب للغضب إذا سكن غضبه^(٣).

(١) جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د. أحمد عبد السلام. خرج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول: ١/١٠. دار الكتب العلمية. ط ١. ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م بيروت، لبنان، وللقارئ أن يراجع العقد الفريد. ابن عبد ربه: ١/٢٧٤. دار الكتب العلمية. ط ١. ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي. تحقيق فؤاد علي منصور: ١/٣٧٥. ط ١. دار الكتب العلمية. ١٩٩٨ م. بيروت، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا. القلقشندي. تحقيق يوسف علي طويل: ١/٣٤٧. ط ١. دار الفكر. ١٩٨٧ م. بيروت.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ٦٨.

(٣) مجمع الأمثال. الميداني. تقديم حسين زررور: ١/١٩٥. ط ١. ١٩٨٨ م. بيروت.

ورد المثل في صيغة خبرية، وقد أتى في بداية ذكر تحليل العقد بعد انعقادها قائلاً: "وقد عقد لساني عن عتبه، بالسحر من كتبه، فإني لما قرأت كتابه وتأملت قصيدته التي اعتذر فيها عن فراقي، وهربه مني وتركه أيدي أشواقي، آخذة بأطواقي، كنت كلما قرأت فصلاً أو بيتاً تحللت عقدي، فعلمت أن أقواله النفائات في العقد".

يلحظ القارئ أن القاضي الفاضل بنى أسلوب الجملة انطلاقاً من المثل، فـ "تحللت عقدي" ودعاه ذلك لجلب النفائات في العقد، مما يشير إلى أهمية المثل في الفقرة، فقد أبان عن مراد الكاتب وجعله يستدعي شاهداً مستفاداً من القرآن الكريم له صلة وثقى بلفظة (العقد) الواردة في (عقدي).

وقد مال القاضي في المثل السابق إلى الحذف فقد حذف (من) فأصل المثل: تحللت من عقدي.

وفي هذا رغبة من الكاتب في الوصول السريع إلى المعنى، ولست أتكلف فأزعم أن لذلك ملاءمة مع مقاصد الترسل من جهة وجمالية الرسالة من جهة أخرى. وأرى جلب القاضي المثل السابق مناسباً لفحوى الرسالة، وقد زاد المعنى قوة في التأثير في المتلقي.

ومن الأمثلة التي وردت في رسائل القاضي الفاضل ما جاء في قوله عن ابن سناء الملك: "صاحبنا هذا صحبتته الديم، وصبّحته النعم، وسبح بحمده القلم، وكبرّ له وهلل فيما رقم، أو فيما نثر بمدحه ونظم، ما استأنس إلا بنفسه، ولا رأى مثلاً، ولا يرى ولا نرى، ولا أخرج إلا من كيس فكره النقود التي تباع بها القلوب وتشتري"^(١).
فقول القاضي: "ولا أخرج إلا من كيس فكره" عكس للمثل "ليس هذا من كيسك"^(٢).

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ٨٠.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٢٢٣.

ويخاطب القاضي في النص ذاكرة المتلقي فيختار آله الكلامية باستعمال المثل، وقد تخلّى عن صوته واعتاض عنه بصوت آخر يلبي ما في نفسه.

وقد أتى المثل في صيغة خبرية منفية، واستعمله عتبة ليختم به إحدى فقر الثناء على صاحبه، وأبقى القاضي العبارة على سياق النفي، ولكنه غير طريقته، فلست تشعر بنبوه، وفي هذا دلالة على استيعاب القاضي المثل وقدرته على توظيفه في نصوصه.

ويختلف توظيف هذا المثل عن المثل السابق، فهنا لم تبين الفقرة على أسلوب المثل وحده كما في المثل السابق، بل أتى المثل في درج الكلام دون أن يؤثر في البنية الإيقاعية للفقرة.

وقد غيّر القاضي في بنية المثل الأصلية "ليس هذا من كيسك" فنقل الكلام من خطاب إلى غيبة، ومن جملة اسمية منفية إلى جملة فعلية منفية، وبنى المثل على النفي والاستثناء، وكان مبنيًا على النفي فقط، واستبدل بالنفي بـ(ليس) النفي بـ(لا)، وزاد الفعل (أخرج)، وأضاف (كيس) إلى اسم بعد أن كانت مضافة إلى ضمير الخطاب، وهذا التغيير أسهم في تأكيد مقصد القاضي من الرسالة، فقد بنى الفقرة كلها على ضمير الغيبة، فكان من الملائم التحوير في بنية المثل وإعادة كتابته ليناسب المقام، وهذا الفعل لم يُلغ حضور عبارة المثل الأصلي من الذهن، فالتغيير لم يبتعد كثيرا عن الأسلوب الذي أتى عليه المثل الأصلي.

لقد انصهر المثل السابق – مع ما لحقه من تغيير – في الفقرة وجاء ملتحما فلا نشاز يلحظه المتلقي ولا فجوات يحس بها^(١).

ومن الأمثال التي استعملها القاضي في رسائله ما كتبه إلى والد ابن سناء الملك قائلا: "وقفت لي كتاب القاضي السعيد أبقاء الله وعلى الورقة المسودة فرأيت الجد الأبيض والحسن الأحمر، والعيش الأخضر، والروض الأنضر، ورأيت مطالع القصائد فرأيتها

(١) للاستزادة حول ذلك راجع: الشاهد في رسائل أبي بكر الخوارزمي: ٩٨.

مطالع سعيدية سعيدة، ومبادئ كعواقب حميدة، وفواتح حسن كل بيت منها قصيدة^(١).

والمثل هو "والحسن الأحمر" وهو مأخوذ من المثل "الحسن أحمر"^(٢). وفعل القاضي في المثل قليل فقد عرفه ب(ال) فقط مراعاة للألوان التي ساقها في الفقرة وهي معرفة ب(ال)، وهو تغيير محدود يلائم السياق الذي ورد فيه.

ومما سبق يبين أن القاضي الفاضل تمكن من توظيف الأمثال – مع قلة ورودها – وما تحويه من دلالات توظيفا أسهم في تركيز المعنى وزيادة إفادته، وأعاد كتابة شيء منها لتناسب المقام.

وظائف الشاهد في رسائل فصوص الفصول وعقود العقول:

لكل نص أدبي مهما يكن جنسه الأدبي نوعان من الوظائف الكبرى نوع من داخل النص نفسه، أي أن الشاهد الأدبي في سياقنا هذا يرد ليبني الرسالة من الداخل مثل الوظائف الإيقاعية والتحسينية ومهمة الشاهد فيها تحسين النص وتجويده، ونوع سياقي مرتبط بمنزلة الشاهد من الثقافة الأدبية التي ينتمي إليها القارئ، لأن لكل نوع من أنواع الشواهد أثرا في ثقافة القارئ، فالاستشهاد بالقرآن يختلف عن الاستشهاد بالشعر، فمثلا نستعمل الشاهد القرآني للإقناع، وعندما نريد أن نخاطب في القارئ الحماسة فإننا نميل إلى الاستشهاد بالشعر.

إن إدراج الشاهد في بنية الخطاب يعني أن الكاتب يأخذ الآية أو قطعة منها أو صدرا من صدور الأبيات أو عجزا من أعجاز الأبيات ويزرعه في خطاب ذي فواصل وذو قرائن

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ١٠٨.

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. أبو عبيد البكري. تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين: ٣٤٤. ١٩٥٨م بيروت.

تناظر الفاصلة أو القرينة في ذلك النص المجلوب، فتحولّ العبارة الأخيرة في الآية أو يحولّ الروي في العروض أو في الضرب إلى بنية سجعية في خطاب الرسالة^(١)، ومنها:

”وصلت السينية السنية وما يُرينا من آية إلا هي أكبر من أختها، وما يجلو علينا عروسا إلا وقد جمع بين حسنهما وبختها“^(٢).

لقد تصرّف الكاتب في الشاهد السابق فأوهمنا بأنه يقدّ الآية على قوله هو، وفي الحقيقة أن الآية جاءت لتنصهر في خطاب الرسالة الذي يسبقها فقوله: ”وما يجلو علينا عروسا إلا وقد جمع بين حسنهما وبختها“ هو أصل الكلام الذي صنعه الكاتب، وعبارة (بختها) هي التي جلبت من أختها، وهذا دال على أن ما يسمى في بلاغة الجملة الاقتباس هو في الحقيقة ليس اقتباسا في الجملة بل هو اقتباس في الخطاب.

ولنا أن نسأل: لماذا لا تكون الآية هي التي استدعت السجعة (وبختها)؟ سواء أكان الأصل في السياق النص المجلوب يولّد منه نص جديد، أو كان الأصل في السياق النص الجديد يطلب نصا مجلوبا، ففي كلتا الحالتين العلاقة بين الروي وبين القرينة في الرسالة ليست علاقة جملة بجملة بل علاقة مكوّن خطابي بمكوّن خطابي آخر، فالقارئ حين يطالع هذه البنية ينسب السياق الأصلي، ويقرأ النص المجلوب على أنه جزء من النص الجديد.

إن الشاهد الأدبي شكل من أشكال الكتابة التي تحقق هذه الوظائف فمن الجمالية ما يرد في تحويل القافية إلى فاصلة في النص النثري، كأن يأخذ الشاعر شطر بيت قافيته تصبح فاصلة مع فاصلة موجودة في النثر، وغاية الشاهد تجميل النص الأدبي كقول القاضي الفاضل:

(١) انظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي: ٤٢٠.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول: ٥٥.

”ولولا أن الموت أكرم نزال على الحرم، ولا تحول بينها وبين خدور العز والشمم، ومن العجز أن تبیت الرجال تبكي النساء، ولا يأخذ فيهن بأطراف الصبر والإنساء“^(١) فالوظيفة هنا تجميلية.

ومن الوظائف البنائية الوقف، أي أن يُدرج المترسل داخل النص بيتا غايته فيه الترويح عن القارئ بالفصل بين مقطعين نثريين لكسر الرتابة التي يمكن أن يحدثها النثر، وليريح القارئ، فالشاهد الشعري هو الذي يُوقف نسق النص لتستبدل به نسقا جديدا، وشاهد هذا ما ورد في رسالة كتبها القاضي الفاضل يعزي فيها بوفاة أم ولد القاضي السعيد ”وكنت كتبت إليه أعلمه بموتها في جواب كتاب جاء منه، وفي هذا الشهر ماتت أم ولد المملوك فيا لله ماذا فجعت وماذا أوجعت، وماذا أبكت وماذا أنكت“ ثم يقول: ”ولولا الحياء لهاجني استعبار“، ولا يأتي بالعجز لأن العجز لا يتلاءم والسياق، فالعجز في الغزل والبكاء على المرأة، والسياق في رثاء الأم لذلك يقتصر على الصدر ”ولولا الحياء لهاجني استعبار“^(٢).

ونلاحظ أن الوقف هو إيقاف نفس النثر بالشعر وقد أكدّه القاضي الفاضل قائلا: ”لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار“.

لقد والى القاضي شيئين لم يكونا متواليين، فالبيت الثاني لجرير أيضا، لكنه ليس عجز البيت، فقد ضمّن المترسل القرينة أو الفاصلة بين: لولا الحياء لهاجني استعبار، وبين: لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار.

إن صلة الشاهد بالنص الجديد صلة تحاور؛ إذ يمكن للشاهد أن يؤثر في السياق الجديد فيوجّه فواصله، ويمكن للسياق الجديد أن يؤثر في الشاهد فيغيره بما تقتضي فاصلة السياق.

(١) المصدر السابق: ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٠٩.

ومثل ما سبق قول القاضي الفاضل في رسالة بعث بها إلى ولده الأجل الأشرف: "وقد تمنى المليحة بالطلاق، وعقائله المليحة لا تطلق ولا تطاق"^(١). إن الشاهد المجلوب في النص: "وقد تمنى المليحة بالطلاق" أسهم في بناء الفاصلة على حرف القاف، فهي جملة تامة، ويعطف عليها المترسل جملة مختومة بالحرف نفسه، وهذا الشاهد كالشاهد السابق في توجيه الفاصلة والتأثير في النص الجديد. ومثله أيضا قول القاضي عن رسالة لابن سناء الملك: "فجاء بالنجم مصفودا من الأفق وجاء الناس بالقول من كذب، ولم ينالوا ما أرادوا بعد الجهد والطلب، ولا ظفروا بهذه العيون بوجه ولا سبب"^(٢).

إن الرسالة موطن التداخل بين الأجناس الأدبية، فالشاهد الشعري يُنقل من جنس أدبي هو الشعر إلى جنس أدبي هو النثر عبر القافية فهي التي تتحول من علامة دالة على جنس وهو الشعر إلى علامة دالة على جنس آخر هو النثر الفني. ويمثل ما سبق ما ورد في قول القاضي الفاضل وهو يقرّط قصيدة سينية لابن سناء الملك: "لتكون البلاغة أكثر نفيرا، ويكون بعضها لبعض ظهيرا"^(٣) فالاقتراس من آيتين هما قوله تعالى: (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا)^(٤) والثانية: (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)^(٥)، والذي سوّغ للكاتب ذكرهما علاوة على أنهما يؤيدان المعنى السجع الذي يبدو واضحا بين (نفيرا وظهيرا).

لقد جمع القاضي بين سياقين قرآنيين مختلفين، ولكنهما من سورة واحدة هي سورة الإسراء، وصنع من الآيتين بنية إيقاعية، فالآيتان ليستا مضمومتين ولا متتابعتين.

(١) المصدر السابق: ٥٦.

(٢) المصدر السابق: ٧٧-٧٨.

(٣) المصدر السابق: ٥٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ٦.

(٥) سورة الإسراء: الآية: ٨٨.

ولكن القاضي أخذهما وصنع منهما معا بنية إيقاعية، وهذه البنية الإيقاعية تذكرنا بالأصل.

وشاهد آخر يرد في قول القاضي الفاضل عن اختيار ابن سناء الملك من كتاب الحيوان: "وأما اختيار القاضي السعيد من كتاب الحيوان للجاحظ فقد نفخ من روحه في روح حيوان أبي عثمان وأطلق كتابه من محاصرة الأطراح، وذكر به بعدما كان نسيا منسيا، وأعاره شبابا وقد بلغ من الكبر عتيا"^(١).

ففي هذا السياق توليد للبنية الإيقاعية من الشاهدين من سورة مريم من قوله تعالى:

(قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)^(٢) ومن قوله تعالى: (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا)^(٣).

ومن تحويل الصدور والأعجاز إلى جمل مسجّعة قول القاضي الفاضل: "ولولا أن الموت أكرم نزال على الحرم، ولا تحول بينها وبين خدور العز والشمم، ومن العجز أن تبیت الرجال تبكي النساء، ولا يأخذ فيهن بأطراف الصبر والإنساء، لبكى المملوك وناح وشكا وباح"^(٤).

فنلاحظ أن الكاتب يجلب النص الشعري ممثلا في شطر تام أي: صدرا أو عجزا، مثل: "الموت أكرم نزال على الحرم" هذه جملة مفيدة فيها مبتدأ (الموت) وخبره (أكرم نزال على الحرم).

(١) المصدر السابق: ٢١٥.

(٢) سورة مريم: الآية: ٢٣.

(٣) سورة مريم: الآية: ٨.

(٤) المصدر السابق: ٢٠٩-٢١٠.

يجلب الكاتب الجملة السابقة ويجعلها جزءاً من جملة مفيدة في الخطاب بعد أن كانت جملة مفيدة في سياقها الأول، وفي السياق الثاني ليست مفيدة وحدها، بل تصبح كلها جملة مفيدة في بنية شرطية، وتكون اسماً للناسخ (أن) ثم يعطف عليها الكاتب صدراً آخر "ولا تحول بينها وبين خدور العز والشمم" وهي أيضاً في سياقها الأول جملة فعلية مفيدة: تحول (فعل)، وهي (فاعل)، وبينها وبين خدور العز والشمم جملة ظرفية مفعول فيه، فالكاتب أخذها من سياقها وكانت جملة مفيدة وجعلها اسماً معطوفاً على الاسم الأول اسم أن الناسخ، والوحدتان العروضيتان كلتاهما تصبحان مركبا غير مفيد في الجملة النثرية لأنه ينتظر جواباً وهو "لبكى...".

إن ما كان جملة مفيدة في سياقها الأصلي يجلب فيصبح غير مفيد في السياق الجديد، إذ أصبح اسماً لناسخ وينتظر الإفادة من جواب الشرط وبذلك تلتحم الجملة في السياق الجديد ويعطيها السياق الجديد معنى نحويًا جديدًا. إن العمل الذي أداه القاضي الفاضل حين جلب شاهداً قديماً وزرعه أوزع جزءاً منه في نص جديد يفرض على المتلقي ضرورة استيعاب أهداف توظيف النص الجديد التي يرمي إليها.

وأما النوع الثاني من الوظائف فهو التصوير، والتصوير عمل ضروري في الرسائل وغيرها، فاستثماره في النص يجعله أكثر صدقاً في نفوس المتلقين، ومعلوم أن "العقل لا يستغني عن الصورة تماماً، وأنه حين يخلق في اللامادي إنما يعلو على أجنحة من الصور"^(١).

وفي رسائل القاضي الفاضل استثمار لوظيفة التصوير، فقد اعتمد على التخيل، ومن شواهد ذلك ما ورد في قوله عن قصيدة لابن سناء الملك: "وما أجدر هذه القصيدة أن تكون كأختها في الهناء بالأمر غير الواقع، وبالوصول إلى مصر ودونه ما شاءت الأقدار

(١) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ٢٧٤ دار الأندلس، ط ١٩٨١م.

من الموانع، وبالجمله إن أهل هذه الصناعة وقفوا خلفا ووقف أماما، وأتت السماء بهم دخانا وأتت به غماما، وتأخروا وإن تقدموا وتقدم وإن تأخر..^(١) إن هذا المقطع المقتطف من الآية جاء في مقطع يجمع بين المدح والذم، مدح المخاطب وذم الناس، والآية لا تمثل إلا نصف الصورة يقابلها نصف ثان تمام المقابلة، فالشاهد المأخوذ من الآية يدخل في إطار مقابلة تجمع بين الصورة والمحسن المعنوي (المقابلة) فتصف المخاطب بالخصب والغيث والعطاء، ولهذه الأمور رمزية الصلة بين الأدب (قصيدة) وبين الأرض التي ينزل عليها الغمام فتخصب، وتصف غيره بالهباء، ويقابل ذلك الدخان وهو علامة من علامات الجذب والجفاف والصورة التي لا فائدة منها.

ومن الشواهد التي برزت فيها وظيفة التصوير ما ورد في قول القاضي عن قصيدة لابن سناء الملك: "والقصيدة الأولى السينية ما وافقها كما ذكر القاضي السعيد زحل في طريقها، بل يقوم المشتري أحسن القيام في قضاء حقوقها، وتأخرت عندي إلى أن سيرتها مقترنة بالغاية لتكون البلاغة أكثر نفيرا، ويكون بعضها لبعض ظهيرا، ولو أنصفناها لكان أدنى ما فيها من بيت يعمر ألف بيت، وكان يوسف عروسها قد قال لها أغناها عن أن تقول له هيت"^(٢).

استعمل الكاتب ضمير المؤنث في الفقرة كلها فنشأت تورية بين القصيدة، وهي مؤنث والمرأة فأصبحت الصورة مدحية غزلية، وقد جلب الكاتب من قصة يوسف مقطعا سرديا وحوله إلى مقطع من مقاطع الرسالة، وحول امرأة العزيز إلى قول يوسف.... فبدل أن تقول هي هيت لك كما قالت امرأة العزيز ليوسف، فإن يوسف في هذه القصيدة قد أغني عن أن تقول له امرأة العزيز هيت لك لجمالها، فكانت الوظيفة تصويرية ولكنها رمزية في الوقت نفسه ترمز إلى جمال القصيدة الذي يشبه جمال المرأة وترمز إلى معمار

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ٨٦.

(٢) المصدر السابق: ٥٨-٥٩.

القصيدة (بيت يعمر ألف بيت) وكانت العبارة التي قيلت ليوسف - عليه السلام - هي التي نشرت على المقطع كله سياقاً من الجمال.

وأما النوع الثاني من الوظائف فهو وظائف من خارج النص، وأبرز وظيفة أذكرها هي الوظيفة الإقناعية، فـ "مدار العلم على الشاهد والمثل"^(١)، وهذا يؤكد قدرته على الإقناع لإثبات ما يراه المترسل، أو لتحويل رأي المخاطبين لأمر يراه، والإقناع: "قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي"^(٢).

ويسعى القاضي الفاضل إلى تقوية الرأي الذي يصدر عنه، وتأييده وإبراز قوة حجته فيستحضر الشواهد التي تحقق له هذا الغرض الإقناعي، وذاك أنها "قادرة على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمه"^(٣)، فيها يستدرج المتلقي ويقذف في روعه قبول ما يراه وما يذهب إليه في أمر ما، وبها "يحصل التصديق والاستدلال والخبر والبرهنة"^(٤) والقاضي ينتقي في هذا الموضوع الشواهد انتقاء يفصح عن قدرته على المحاجة والجدال والإقناع. إن الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف الصورة؛ لأن الحجاج بها ما هو إلا توخي الأساليب الملائمة للمقام قصد الاستمالة والتأثير والإقناع في المتلقي^(٥).

ومن الشواهد التي برزت فيها الوظيفة الإقناعية ما ورد في قول القاضي الفاضل: "وأما كتاب القاضي السعيد فقد وقفت عليه قبل كل كتاب وصل في هذه النوبة، ارتياحاً إلى ما يصدر منه، وعلماً بفضل ما يؤثر عنه، وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره،

(١) البيان والتبيين. الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام هارون ج١/ ١٧١. دار الجيل. دط. دت. بيروت.

(٢) البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيمائي لتحليل النص. هنريش بليث. ترجمة محمد العمري: ٦٤. أفريقيا الشرق. لبنان. المغرب. ١٩٩٩م.

(٣) خطاب المناظرة في التراث العربي والإسلامي (مقاربة لآليات بلاغة الإقناع). عبد اللطيف عادل: ٢٠٦.

(٤) حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي. مجلة عالم الفكر. مج ٣٠. ١٠٩. الكويت. يوليو. سبتمبر. ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.

(٥) انظر: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجاً). د. علي محمد سلمان. ٦٤. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. وزارة الثقافة والإعلام. مملكة البحرين. ط١. ٢٠١٠م.

ومن نثره إلا نظممه. ولا من آخره إلا أوله. ولا من أوله إلا آخره. ولا نظرت ولا سمعت فيه إلا بعين الهوى وإلا بإذنه. ولا قلت إلا ما استمهد خاطر الإنصاف وقلمه من حسن لا خلاف في حسنه. ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها البداية. ولا قلت هذا البيت آية القصيد إلا تلا ما بعده: "وما نريهم من آية" "أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون" (١).

لقد مهد القاضي الفاضل لاقتباس الآية القرآنية في وصف سحر الكلام بسلسلة من الجمل المنفية في وصف جمال الكلام. ويستعمل الكاتب فعل (رأى، نظر، سمع، قال)، وتدرج في نفي أن يكون قد وجد أجمل من هذا الكلام حتى بلغت الفقرة مداها في تضخيم جمال الكلام الموصوف، وحين وصل الكاتب إلى التشبيع الأسلوب في وصف جمال الكلام أتى بالآية التي تتحدث عن السحر. فكانت نتيجة مسلما بها بعد وصف الكلام السابق بما يشبه الكمال. فعبارة السحر جاءت تسويغا لسلسلة من الأوصاف التي وضعت الكلام السابق في أعلى مراتب البلاغة. ثم إن الآية التي استشدها بها الكاتب ليست النص الواحد في تشبيه الكلام المؤثر والبلغ بالسحر فللنبي - عليه الصلاة والسلام - : "إن من البيان لسحرا" (٢). واختيار الكاتب الآية دون الحديث فيه قصد إلى دعم حجة السلطة في وصف أثر الكلام.

وأذكر شاهدا آخر ورد في قول القاضي الفاضل مقرضا كتابا لابن سناء الملك وهو قوله: "وقفت على الكتاب السعيد - أسعده الله - وزادك اقتدارا ودأوت جرح خاطري ما فيه من الغرائب التي أنشأهن إنشاء فجعلن أبكارا" (٣).

إن الشاهد القرآني يقنع المتلقي بأن المعنى الوارد فيه هو كمال المعنى في الغرض المستشهد به. فالاستشهاد بالقرآن إقناع بأن المعنى الوارد فيه أجمل معنى في جنسه. فقول القاضي "التي أنشأهن إنشاء فجعلن أبكارا" مأخوذ من القرآن الكريم في ذكر

(١) فصوص الفصول وعقود العقول: ٩٨.

(٢) سنن الترمذي. تحقيق عزت عبيد الدعاس: ٦٣/٨. ١٩٦٥م. حمص.

(٣) المصدر السابق: ٧٧.

أجمل تصوير للمرأة، وهو هنا يستجلب لتصور به قصيدة، فما السبب الذي دعاه يفعل ذلك؟

لعل الذي دعا الكاتب رغبته في الإقناع بأن هذه القصيدة هي أجمل القصائد، للشاهد وظيفة إقناعية، والشاهد القرآني له قوة وسلطة فوقية تعرف بحجة السلطة، وهي دالة على الإقناع بنص لم يكتبه الكاتب بل ورثه من ثقافته، فوراثة النصوص سلطة قولية تقنع المتلقي بأن ذلك المعنى المذكور هو أجمل معنى في جنسه.

ويظهر مما سبق أن الأدلة التي يستشهد بها القاضي الفاضل في نصوصه من الأدلة الجاهزة وهي "حجج تتسند قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"^(١)، وكونها كذلك يجعلها أقدر على بلوغ الأثر فيمن توجه إليه الرسالة، ويجعلها كذلك تحمل المتلقين على التسليم بما يرد في رسالته من آراء وأفكار.

وبعد فيظهر مما مر أن الشاهد في رسائل القاضي الفاضل أدى وظيفة إقناعية أسهمت في إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، وذلك حين اعتمد على شواهد لها حجة السلطة فقوى قوله وأقنع المتلقي به.

ومن الوظائف الوظيفية الثقافية عامة، فالشاهد الأدبي يلبي حاجة السامع، والقارئ العربي يطمن للنص الذي فيه شاهد، إذ الشاهد الأدبي يربط النص بالسنن الثقافية، فلاستشهاد بالقرآن مثلا يوطد الصلة بين النص وبين الثقافة الدينية، والشاهد الشعري يوطد علاقة الشعر بالثر، ويعطي للناثر منزلة، وتجميل النص النثري بالنص الشعري وظيفته إقناع السامع بجمالية الكتابة بصورة عامة، وقد سبق ذكر شواهد متعددة تدخل في هذين السياقين السابقين.

* * *

(١) انظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي. محمد العمري: ٩٠. أفريقيا الشرق، ط ٢، ٢٠٠٢م.

الخاتمة

عني البحث بدراسة الشاهد في رسائل القاضي الفاضل في (فصوص الفصول وعقود العقول) لابن سناء الملك بمنهج التناص، وقد بان ما يلي:

كوّنت الشواهد الأدبية روافد نصية في رسائل القاضي الفاضل فلها أثر في تعدّد الأساليب وإبرازها.

لم يرد الشاهد في رسائل القاضي الفاضل إلا وله مغزى وعمل داخل النص، وهو بذلك ينأى بشواهد عن الورود العرضي الذي لا يضيف إلى النص شيئاً، وهذا الإجراء من شأنه أن يجعل الشاهد الجديد ذا قيمة جديدة ليست في وضعه الأول وذاك بعد انتقاله من نص إلى نص.

وبان أيضاً أن القاضي الفاضل موفور العناية بطرائق الكتابة فهو لا يفتأ يستحضر شواهد في جميع رسائله، ثم يغرسها في النص الجديد محاولاً جهده أن يكون الكلام مستقيماً لا فجوة فيه ولا نشان.

وبدا للباحث غلبة الاستشهاد بالآيات القرآنية والشواهد الشعرية على الأنواع الأخرى من الشواهد.

وظهرت من البحث قدرة القاضي الفاضل على تحويل الشاهد من سياقه الأول المستقر في ذاكرة القارئ إلى سياق جديد يحدث المفاجأة المكبوتة، وهي نوع من العدول النوعي من سياق قديم إلى سياق جديد، ولذلك فإن من أهم وظائف نقل الشاهد بتحويله من غرض إلى غرض هو قرع الذاكرة والتأثير فيها ومخاطبتها بلغة جديدة وبمعنى جديد يحدث رد فعل يسمى في جماليات التلقي التأثير الجديد للنص.

واستقر الرأي على أن الشواهد المجلوبة في رسائل القاضي الفاضل تفصح عن مهارة في الاختيار وقدرة على التوظيف.

وكان تعامل القاضي مع الشواهد مظهراً من مظاهر تنمية المعرفة وشكلاً من أشكال التسخير الأمثل.

واستطاع القاضي التأليف بين النصوص القديمة والجديدة، وربط بينها في سياق جديد ربطاً قوياً، فأثبت قوة الصلة بين الشواهد عموماً وأن الشاهد القديم في خدمة الجديد.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري. د. ابتسام مرهون الصفار. جهيئة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٥م. عمان. الأردن.
- الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي. صححه وضبطه وشرحه غريبه أحمد أمين وأحمد الزين. منشورات المكتبة العصرية. بيروت. صيدا.
- البلاغة والأسلوبية. نحو نموذج سيمائي لتحليل النص. هنريش بليث. ترجمة محمد العمري. أفريقيا الشرق. ١٩٩٩م. لبنان. المغرب.
- بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي (البنية الإحالية) د. يوسف أحمد إسماعيل. مج/ ٦٩. مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. الرسالة (٢٢٠) ١٤٢٥-١٤٢٦ هـ ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.
- البيان والتبيين. الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. دار الجيل. ط. ١. د. ت. بيروت.
- التفكير البلاغي عند العرب، مشروع قراءة. حمادي صمود. منشورات الجامعة التونسية. ١٩٨١م. تونس.
- التناص في شعر أبي العلاء المعري. إبراهيم الدهون. عالم الكتب الحديث. ط. ١. ١٤٣٢هـ ٢٠١١م. إربد. الأردن.
- جمهرة الأمثال. أبو هلال العسكري. ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د. أحمد عبد السلام. خرج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. ط. ١. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. بيروت. لبنان.
- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. بحث بعنوان (دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي). حسن المودن. عالم الكتب الحديث. ٢٠١٠م. إربد. الأردن.
- ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز. تحقيق محمد بديع شريف. دار المعارف. ١٩٧٧م. القاهرة.

- ديوان أبي فراس الحمداني. رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه. دار صادر. دت. بيروت.
- ديوان مجنون ليلي. جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج. مكتبة مصر. ١٩٧٩م. القاهرة.
- الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية). د. صالح بن رمضان. ط ٢. الفارابي. ٢٠٠٧م. بيروت. لبنان.
- الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث محمد الدروبي. ط ١. دار الفكر للنشر والتوزيع. ١٩٩٠م. الأردن. عمان.
- سنن الترمذي. تحقيق عزت عبيد الدعاس. ١٩٦٥م. حمص.
- سنن الدارمي. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي. عناية محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة النبوية.
- شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي. جمعه ونسقه مطاع طرايبشي. دار الفكر للطباعة. ط ٢. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م. دمشق.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القلقشندي. تحقيق يوسف علي طويل. ط ١. دار الفكر. ١٩٨٧م. بيروت.
- الصورة الأدبية. مصطفى ناصف. دار الأندلس. ط ٢. ١٩٨١م.
- طبقات ابن المعتز. تحقيق عبد الستار فراج. ط ٣. دار المعارف. القاهرة.
- العقد الفريد. ابن عبد ربه. دار الكتب العلمية. دط. ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. أبو عبيد البكري. تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين. ١٩٥٨م. بيروت.
- فصوص الفصول وعقود العقول. ابن سناء الملك. تحقيق ودراسة محمد عبد الجواد. إشراف د. صلاح الدين الهادي. راجعه واعتنى به مختار دُغْبَاج. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. دط. ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م. القاهرة. مصر.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي. د. شوقي ضيف. دار المعارف. ط ٩.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي. محمد العمري. أفريقيا الشرق. ط ٢. ٢٠٠٢م.

- القراءة وتوليد الدلالة. د. حميد لحميداني: ٤٦. المركز الثقافي العربي. بيروت. الدار البيضاء. ط١. ٢٠٠٣م
- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجاً) د. علي محمد سلمان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. وزارة الثقافة والإعلام. مملكة البحرين. ط١. ٢٠١٠م.
- اللغة والخطاب. عمر أوكان. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. ٢٠٠١م. المغرب.
- لسان العرب. ابن منظور. دار صادر. دت. دط. بيروت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ابن الأثير. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. دط. ١٤١١هـ. ١٩٩٠م. صيدا. بيروت.
- مجمع الأمثال. الميداني. تقديم حسين زرور. ط١. ١٩٨٨م. بيروت.
- مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحكام الجامع الصحيح. زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي. تحقيق محمد سالم هاشم. ط١. ١٩٩٤م. بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. السيوطي. تحقيق فؤاد علي منصور. ط١. دار الكتب العلمية. ١٩٩٨م. بيروت.
- معجم السرديات. د. محمد القاضي وآخرون. دار محمد علي للنشر. ط١. ٢٠١٠م. تونس.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٣هـ. بيروت.

الرسائل العلمية:

- خطاب المناظرة في التراث العربي والإسلامي (مقاربة لآليات بلاغة الإقناع). عبد اللطيف عادل. أطروحة مرقونة في كلية الآداب بجامعة القاضي عياض. مراكش.
- ديوان الإنشاء بمصر والشام في القرن السادس الهجري وأثره في تطور الأساليب النثرية. عايض الحارثي. رسالة دكتوراه مقدمة إلى فرع الأدب بجامعة أم القرى عام ١٤٠٣هـ.
- ديوان الإنشاء الفاطمي بمصر وجهوده الكتابية (٣٥٨-٦٨ هـ) (٩٦٨-١١٧٢م) سمير عبد الوهاب الحباشة. رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة مؤتة. ٢٠٠٧م.



- رسائل صاحب بن عباد دراسة موضوعية وفنية. فهد البكر. رسالة ماجستير مقدمة لقسم الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣١هـ - ١٤٣٢هـ.
- الشاهد في رسائل أبي بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ) أنوال الفوز. بحث مقدم لإكمال متطلبات الماجستير في الأدب العربي في قسم الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عام الجامعي ١٤٣٣. ١٤٣٤هـ.
- ظاهرة العنوان في شعر العهدين الزنكي والأيوبي، المفهوم والإجراء. عبد العزيز الخراشي. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي إلى قسم الأدب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٣٣-١٤٣٤هـ.

* * *



- Al-Habashinah, Sameer Abedulwahhab. "Diwan Al-Ensha' Al-FatimiBi MisrWaJuhooduh Al-Kitabiyyah(358-568 AH) (968-1172 AD)." Diss. Mu'tahU, 2007 AD.
- Al-Harathi, Ayedh. "Diwan Al-Ensha Bi Miser WaAl-Sham Fi Al-Qarn Al-Sades Al-Hijri WaAtharuhFi Tatweer Al-Asaleeb Al-Nathriyyah." Diss. Umm Al-QuraU, 1403 AH.
- Al-Khrashi, Abdulaziz. "ZhaheratAl-OnwanFi Shi'r Al-AhdainAl-ZinkiWaAl-Ayyobi:Concept and Application." Diss. Imam Muhammad bin Saud IslamicU, 1433-1434 AH.

* * *

- _____. *Diwan Al-Sha'ar Al-Ameer Abi Al-Abbas Abdullah bin Muahammad Al- Mu'tazz*. Ed. Muhammad Badee'Shareef. Cairo: Dar Al-Ma'arif, 1977 AD.
- _____. *DiwanMajnounLiyla*. Ed. Abdulsattar Ahmad Farraj. Cairo: MaktabatMisr, 1979 AD.
- _____. *Al-Nujoom Al-Zaherah Fi MulookMisrWa Al-Qahirah*. Ed. Muhammad Hussein Shamsuldeen. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutob Al-'Elmiyyah, 1413 AH.
- _____. *Shi'r A'mr bin Ma'di Karib Al-Zabidi*. Ed. Muta'Tarabishi. 2nd ed. Damascus: Dar Al-Fikrfor Publishing, 1985 AD.

Dissertations:

- Adel, Abdullateef. "Khitab Al-MunazhrahFi Al-Turath Al-'ArabiWaAl-Islami:Investigation of techniques of Persuasive Rhetoric'." Diss. Al-QadhiAyadU, (n.d.).
- Al-Bakr, Fahad. "Rasa'el Al-SahebIbn Abbad: Thematic and Technical Study." Diss. Imam Muhammad Ibn Saud IslamicU, 1431-1432 AH.
- Al-Fawwaz, Nawal. "Al-Shahed Fi Rsa'elAbi Baker Al-Khwarizmi (383 AH)." Diss. Imam Muhammad Ibn Saud Islamic U, 1433-1434 AH.
- Esma'eel, Youssef Ahmad. *Bena'a Al-Qasidah Al- 'Arabiah Fi Al-A'aser Al-Mamluki: The Contextual Structure*. Diss. Kuwait U, 2004-2005 AD/ 1425-1426. Kuwait:Hawliyyat Al-AdabWa Al-Oloom Al-Ijtima'iyah, (n.d.).

- Ramadan, Saleh. *Al-Rasa 'el Al-Adabiyyah Wa Dawruha Fi Tatweer Al-Nathr Al-'Arabi Al-Qadeem (Poem Reading Project)*. 2nd ed. Beirut: Al-Farabi, 2007 AD.
- Al-Saffar, Ebtisam Marhoon. *Athar Al-Quran fi Al-Adab Al-'Arabi fi Al-Qarn Al-Awwal Al-Hijri*. Amman: Juhainah for Publishing and Distribution, 2005 AD.
- Salman, Ali Muhammad. *Ketabat Al-Jahez Fi Daw' Nazhariyyat Al-Hajjaj: His Letters as a Model*. 1st ed. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing; Bahrain: Ministry of Culture and Information, 2010 AD.
- Al-Sayouti, Jalaluldeen. *Al-Muzher fi Oloom Al-Lughah Wa Anwa 'iha*. Ed. Fuadali Mansour. 1st edition. Beirut: Dar Al-Kutob al-'Elmiyyah, 1998 AD.
- Sumood, Hammadi. *Al-Tafkeer Al-Balaghi 'Ind Al-'Arab: A Reading Project*. Tunis: Tunis U, 1981 AD.
- Al-Tawheedi, Abu-Hayyan. *Al-Emta 'Wa Almu'ansah*. Ed. Ahmad Ameen and Ahmad Al-Zain. Biuret: Al-Maktabah Al-'Asriyyah, (n.d.).
- Al-Termithi, Myhammad. *Sunan al-Termithi*. Ed. 'Ezzat Obeid Al-Da'as. Homs: (n.p.), 1965 AD.
- Al-Zabidi, Zain Al-Deen Ahamd. *Mukhtaser Sahih Al-Bukhari Al-Musamma Al-Tajreed Al-Sareeh li Ahkam Al-Jama ' Al-Sahih*. Ed. Muhammad Salem Hashim. 1st ed. Beirut: (n.p.), 1994 AD.
- _____. *Diwan Abi Firas Al-Hamdani*. Ed. Al-Hussein Ibn Khalawaih. Beirut: Dar Sader. (n.d.).

- Ibn Al-Atheer, 'izzuldeen. *Al-Mathal Al-Sa'er Fi Adab Al-Katib Wa AlSha'er*. Ed. Muhammad Muhyeldeen Abdulhameed. Sidon: Al-Maktabah Al-'Asriyyah, 1990 AD/ 1411 AH.
- Ibn Manzhoor, Muhammad. *Lisan Al- 'Arab*. Beirut: Dar Sader, (n.d.).
- Ibn Al-Mu'tazz, Abdullah. *Tabqat ibn Al-Mu'atzz*. Ed. Abdulsattar Farraj. 3rd ed. Cairo: Dar al-Ma'arif, (n.d.).
- Al-Jahizh, 'Amr. *Al-Bayan Wa Al-Tabyeen*. Ed. Abdulsalam Haroun. Beirut: Dar Al-Jeel, (n.d.).
- Lihumaidani, Humaid. *Al-Qira'ah Wa Tawleed Al- Dalalah*. 1st ed. Beirut: Arab Cultural Council, 2003 AD.
- Al-Maidany, Ahmad. *Majma' Al-Amthal*. Ed. Hussein Zaroor. 1st ed. Beirut: (n.p.), 1988 AD.
- Al-Malek, Ibn Sana'. *Fusoos Al-Fusool Wa Oqood al-Oqoul*. Ed. Muhammad Muhammad Abduljawad, Salahuddeen Al-Hadi and Mukhtar Dughbaj. Cairo: Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution, 2005 AD/ 1426 AH.
- Nasif, Mustafa. *Al-Sourah Al-Adbiyyah*. 2nd ed. Dar Al-Andalus, 1981.
- Okan, Omar. *Al-Lughah Wa Al-Khitab*. Casablanca: Afriqia Al-Sharq, 2001 AD.
- Al-Qalashqandi, Abu Al-'Abbas. *Subh Al-A'sha Fi Sena'at Al-Ensha*. Ed. Yusuf Ali Taweel. 1st ed. Beirut: Dar Al-Fikr, 1987 AD.

Sources and references

The Holy Qur'an

- Al-Amri, Muahmmad. *Fi Blaghah Al-Khitab Al-Eqnaai*. 5th ed. Efriqia Al-Sharq, 2002.
- Al-Andalusi, Ibn Abdrabbuh. *Al- 'Eqd Al- Fareed*. Dar Al-Kutob Al- 'Elmiyyah, 1984 AD/ 1404 AH.
- Al-Askri, Abu Helal. *Jamhrah Al-Amthal*. Ed. Ahmad Abdlsalam and Muhammed SaidZaghlool. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutob Al-E'lmiyyah, 1988 AD/ 1408 AH.
- Al-Bakri, Abu Obeaid. *Fasl Al-Maqal fi SharhKitabAl-Amthal*. Ed. Ehsan Abbas andAbdulmajeedAbdeen. Beirut: (n.p.), 1958.
- Al-Dahoon, Ibraheem. *Al-Tanas fi Shi'r Abi Al- 'Ala' Al-Ma'arri*. 1st ed. Irbid: Alam Al-Kutob Al-Hadeeth, 2011 AD/ 1433 AH.
- Dhaif, Shawqi. *Al-Fan WaMathahiboh Fi Al-Nathr Al- 'Arabi*. 9th ed. Dar Al-Ma'arif, (n.d.).
- Al-Darami, Abdullah Abdulrahmman. *Sunanh Al-Darami*. Ed. Muhammad Ahmad Dahman. Dar Ihya' Al-Sunnah Al-Nabawayyah, (n.d.).
- Al-Durobi, Muhammad. *Al-Rasa 'el Al-Fanniyyah fi Al-AssrAl- AbbasiHattaNihayat Al-Qarn Al-Thaeth*. 1st ed. Amman: Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution and, 1990.
- Henrich, Blaith. *Al-BalaghahWaAl-Oslobiyyah:NahwNamouthajSima 'iLi TahlilAl-Nass*. Trans. Muhammad Al-Amri. Lebanon-Morocco: AfriqiaAl-Sharq, 1999.

The Citation in Al-Qadi Al-Fadhel's Essays (596H)

In (Fusos Al-FusolwaO'qoud Al-O'qoul) by Ibn San'a Al-Malek

Dr. Muhammad bin Ibrahim Al-Dokhy

Department of Arabic Language and Literature

Al- Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

The moral messages of the leading product of the writers in the sixth century Ah, where the judge was Mr. became famous writers interviewers who are referred to the site in the age and the UAE. Although a contemporary of prominent writers, however, immortalized by the quality of his writing and distinguished style. The judge took on the task of developing good methods written and try to rid it of began smearing the rhetorical, improvers, baudar emerged on the writing construction promise of elders. And in this era of communications and a modern critical approach Emirates fields still Virgin, many scholars are reluctant to study literature in this period counts her weakness and cost, and is it overflow. Look at the letters the judge the righteous and their recruitment for trials is the study of the interaction between the Valley explores old and witness among the words of judge Fadhel.



ظاهرة الألم في شعر حسن بن عبدالله القرشي دراسة في المضمون

د. عبد الرحمن بن أحمد السبت
قسم اللغة العربية - كلية التربية بالمجمعة
جامعة المجمعة



ظاهرة الألم في شعر حسن بن عبد الله القرشي دراسة في المضمون

د. عبد الرحمن بن أحمد السببت
قسم اللغة العربية – كلية التربية بالمجموعة
جامعة المجمعة

ملخص البحث:

بعدُ الألم ظاهرة بارزة عند الشعراء، وخاصة في العصر الحديث، حيث أصبحوا يتحدثون عن آلامهم، ويبثون أحزانهم وأشجانهم في أشعارهم، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتظهر الألم عند الشاعر السعودي حسن بن عبد الله القرشي.

وتهدف الدراسة إلى إيضاح معنى الألم، وبيان مواضعه في شعر حسن القرشي من خلال العتبات الشعرية المتمثلة في العنوانية سواء أكانت عنوانية الدواوين أم القصائد الشعرية، وكذلك من خلال إظهار الألم في عتبة الإهداءات للديوان بأكمله أو إحدى قصائده، كما أوضحت الدراسة الألم في عتبة المقدمات التي كتبها الشاعر بخط يده صديراً في ديوانه الشعري، وكذلك الألم في عتبة مطالع القصائد، وخواتيمها، بالإضافة إلى بيان الألم من خلال عتبة الغلاف والرسومات.

كما تحدثت الدراسة عن أسباب الألم وبواعثه في شعر القرشي، فأبانت عن بعض الأسباب الخاصة المتعلقة بالشاعر من خلال الحديث عن وفاة والده، وفشله في حبه الأول، والحديث عن غربته النفسية، وبأسه وفقدان الأمل عنده، وتبرمه من بعض أصدقائه الذين خذلوه، وكذلك حبه للمرأة وتألمه من ذلك كثيراً، ووفاة والدته، ووحشة الليل وظلمته التي تحيط به كل حين، بالإضافة إلى بعض الأسباب العامة المتمثلة في أحوال الأمتين العربية والإسلامية.

وقد أبانت الدراسة عن وسائل الهروب، والمنافذ التي سلكها الشاعر من أجل الهروب عن آلامه، من خلال التغزل بالمرأة، والحديث عن محاسنها، والنظر إلى الأمور من خلال نافذة الأمل والفأل، واللجوء إلى الله – سبحانه – لتفريغ الهم والغم، والصبر على الآلام والأحزان حتى يأتي الفرج، فما من عسر إلا ويعقبه يسر.



مقدمة :

يحاول الباحث الوقوف على تعريف الألم، وبيان مواضعه في شعر حسن بن عبدالله القرشي، وأسبابه وبواعثه، ووسائل الهروب منه، ملتزماً بالمنهج الوصفي التحليلي في الدراسة، مع عدم إغفال المنهج النفسي من أجل بيان مواضع الألم في شعر القرشي، وإيضاح الأسباب التي جعلت القرشي يتألم كثيراً من خلال نصوصه الشعرية، ثم محاولاته للهروب من الألم من خلال نوافذ عدة.

وقد جاء تقسيم الدراسة تلبية لخطة البحث وأهدافه، إذ تضمنت مقدمة، وتمهيداً، وثلاثة محاور، فالمحور الأول: مواطن الألم في العتبات الشعرية عند حسن القرشي، والمحور الثاني: أسباب الألم وبواعثه، أما المحور الثالث، فهو عن وسائل الهروب من الألم ونوافذه، ثم خاتمة متضمنة أبرز نتائج الدراسة والتوصيات.

تمهيد :

الألم هو: الوجد، وجمعه: آلامٌ، وتألم فلانٌ من فلان، إذا تشكَّى وتوجَّع منه، والتألم: التوجُّع^(١)، والألم: الشعور بما يضاد اللذة، سواء أكان شعوراً نفسياً أم جسدياً^(٢)، "وهو شيء خفي رغم أن نتائجه ظاهرة"^(٣).

والألم ظاهرة بارزة عند الشعراء المعاصرين، وقلمنا نجد شاعراً لم يصف حزنه وألمه، وشكواه وعذابه، "بل يمكن أن يُقال إنَّ الحزن قد صار محوراً أساسياً في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد، ويتضح هذا فيما ينشر في المجلات والصحف

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، مادة (ألم).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، مادة (ألم)، ٢٥/١.

(٣) يواغت الألم في شعر السياب، نجاة عنوان الكنان، بحث منشور في مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد ٢٠١١، ١٢م، ص: ٨٨.

من قصائد مفردة، وفيما نستمع إليه في الندوات الأدبية، وفيما ينشر من دواوين^(١)، ولكنه ألمٌ وحزن متفاوت من شاعر لآخر، فهناك شاعر يجعل الدنيا أمامه سوداء يتألم من كل شيء، وآخر رابط الجأش لا يتحدث إلّا عن الآلام العظيمة، والأحزان الكبيرة، وتبرز هذه الظاهرة عند الشعراء لأنهم أشدّ الناس رقةً، وأكثرهم إحساساً وشعوراً.

ومن هؤلاء الشاعر حسن بن عبد الله القرشي المولود في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ، وقد درس في مدارسها الابتدائية والثانوية، ثم حصل على ليسانس آداب - قسم التاريخ من جامعة الرياض، وعمل في وظائف عدّة، منها: وزارة المالية، ووزارة الخارجية، كما عمل رئيساً للمذيعين، وكان سفيراً للمملكة العربية السعودية في السودان، ثم موريتانيا، وله إنتاج نثري، وشعري غزير تمثّل في (١٦) ديواناً، وترجم بعض شعره إلى عدّة لغات عالمية، وقد مثّل المملكة العربية السعودية في عدّة مؤتمرات ومهرجانات أدبية وشعرية، وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعمّان، ودمشق، كما أنه أمين عام سوق عكاظ بالمملكة العربية السعودية، وكان رئيساً للنادي الأدبي بجدة قبل أن ينتقل عمله إلى السودان، وقد منحته جامعة أريزونا العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب تقديرًا لجهوده الثقافية والأدبية^(٢)، وقد توفي - رحمه الله - في جدة عام ١٤٢٥هـ، ودفن في مكة المكرمة^(٣).

كما صدرت عنه عدّة دراسات، منها: القرشي شاعر الوجدان للدكتور عبدالعزيز الدسوقي، وحسن عبد الله القرشي (شاعر من الحجاز) للأستاذ أحمد الجدد، والحركة

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م، ص: ٣٥٢.

(٢) انظر ديوانه: المشي على سطح الماء، (ملحق: نبذة عن حياته وأعماله)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص: ١١٣-١٢٦.

(٣) انظر: جريدة الشرق الأوسط، الخميس ١٤ ربيع الثاني، ١٤٢٥هـ، ٣ يونيو، ٢٠٠٤م، العدد ٩٣١٩.

الشعرية في السعودية: حسن عبد الله القرشي - حياته وأدبه للدكتور صلاح عدس، وحسن القرشي شاعر الجزيرة العربية، للدكتور حسن فتح الباب، وحسن عبد الله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث للدكتور ياسين الأيوبي، إلّا أنّ هذه الدراسات لم تتطرق إلى ظاهرة الألم في شعر القرشي في أيّ من مباحثها، كما أنّ هناك دراسة موسومة بـ: "الألم في الشعر السعودي: دراسة موضوعية وفنية" لمنى بنت صالح الرشادة^(١)، وقد درست الباحثة الألم في الشعر السعودي عامة، وكان التركيز على الجانب الفني من خلال ثلاثة مباحث، هي: التجربة الشعورية، والدراسة الأسلوبية، والدراسة الموسيقية، كما كان للجانب الموضوعي جزء من الدراسة، وقد اختلفت البواعث التي ذكرتها الباحثة للألم في الشعر السعودي عما ذكرته من بواعث في شعر القرشي، ولم تتقاطع إلا في النزر اليسير مع اختلاف في المسمى، والطرح، والاستشهاد، من خلال ما أسمته بـ: فقد الأحبة والأقارب، والحب المعذب، وقد انفردت هذه الدراسة بالتركيز على مواطن الألم في العتبات الشعرية عند القرشي، وفي وسائل هروبه من الألم، فضلاً عن تخصص الدراسة في شعر القرشي من خلال دراسة دواوينه كلها، ومنها ما تم طباعته بعد رسالة الباحثة، والمتمثلة في ثلاثة دواوين شعرية.

والقرشي أحد شعراء الحجاز الذين اشتهر شعرهم بالغنائية، وفي هذه الغنائية حزن يمزق القلوب، وأسى يفرّق النفوس، نتيجة لظروف عامة عاصروها، أو خاصة ألّمت بهم، وأصابت حياتهم، فهم يتغنّون بما يجدون من أملٍ وألم، ومن سخطٍ ورضى، ومن

(١) عبارة عن رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير تخصص الأدب والنقد، كلية الآداب للبنات بالدمام، العام الجامعي ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، إشراف أ.د. مسعد بن عيد العطوي، وهي موجودة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، المملكة العربية السعودية، ورقم الاستدعاء: (٩٥٣١٠٠٩ / ٨١١ / ٨٦٤ ر).

شوقي وحنين، وفي شعر القرشي سمات الحب والأمل، والشكوى من اللوعة والحرمان مما يمتنع العقول، ويغني النفوس، ويروق لعشاق الأدب الرصين^(١).

ولذا قال عن نفسه: "إنني شاعرٌ أعيش - ما أتيح لي - هموم النفس البشرية، كما أنني شاعرٌ أحيا - ما استطعت - هموم قومي في هذا العالم المتناقض المضطرب، المغلف بالضباب، الرازح تحت كابوس الدلّ والنفاق والجريمة، والواقع تحت سيطرة الاستعمار والظلم والاستبداد، وما من ديوان من دواويني إلّا وفيه نبضٌ لهذه الهموم القومية المتفاقمة، ومحاولة لتحريك الطاقات الإنسانية نحو عالم أفضل، ونحو مثل عليا...ولست مسؤولاً كإنسان عن الوصول إلى قمة النجاح، أو الهبوط إلى وهدة الإخفاق في هذا المضمار، ولكنني مسؤول - ليس غير - عن نكأ الجرح، ومحاولة سكب البلمس الذي قد يكون سبباً في برئه وشفائه"^(٢).

مواطن الألم في العتبات الشعرية عند حسن القرشي:

تعدّ العتبات الشعرية من المواضع المهمة في البناء الفني للقصيدة، حيث تنقل ومضات سريعة لما يريد الشاعر إيصاله للمتلقين، وفيها ترسخ أبرز معالم القصيدة في الذهن، ويبقى أثرها أقوى، ويتجلّى ذلك من خلال الحديث عن العتبات الآتية:

١. الألم في عتبة العنوان:

يأتي العنوان في طليعة العتبات المفضية إلى عالم الحقيقة النصية، فهو مفتاح عالم النص، والبوابة الرئيسة له^(٣)، وهو من أوائل ما يلحظه المتلقي من العتبات، ومن خلاله

(١) انظر: الأمس الضائع، حسن عبد الله القرشي، تقديم بقلم د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ١٩٥٧م، ص: ٨ - ١٥.

(٢) تجربتي الشعرية، حسن عبد الله القرشي، دار القرشي للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م، ص: ٣٢ - ٣٣.

(٣) انظر: العنوان في الرواية العربية - دراسة، عبد المالك أشهبون، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص: ٩.

تفتح أبواب النص المغلقة له، وكذلك توحى ببعض الأفق الخاصة بالعمل الإبداعي، وتشبي بأبرز ملامحه^(١)، حيث إنه "وسيلة للكشف عن طبيعة النص، والمساهمة في فكِّ غموضه ... وعلامة دالة على النص"^(٢)، كما أنَّ العنوان يساعد على جذب اهتمام المتلقي، وهو عبارة عن أيقونة بصرية تأثيرية^(٣).

فالعنوان "مرجع يتضمَّن بداخله العلامة والرمز، وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يُثبت فيها قصده برمته كلياً أو جزئياً، إنه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص دون أن يحقق الاشتمالية وتكون مكتملة، والعنوان بهذا المعنى يأتي باعتباره تساؤلاً يجب عن النص إجابة مؤقتة للمتلقي"^(٤).

وقد اعتنى القرشي بعنونة دواوينه، فاختار لها أسماء تتسم بالرومانسية والعفوية، حيث إنه شاعرٌ يغرق في الرومانسية، ويغرف من بحرهما، وقد أدرك أهمية العنونة، وما تحكيه من نظرة أولية لمن يقع الديوان بين يديه، ليعرف ما بداخله من نتاج شعري يتّضح نوعه من خلال العتبات الأولى الدالة على ما فيه، حيث إنَّ العنوان يعدُّ فناً يجب الاعتناء به، "فهذا المفتاح الأهم بين مفاتيح الخطاب الشعري، وهو المحور الذي يحدّد هوية النص، وتدور حوله الدلالات وتتعالق به، وهو بمكانة الرأس من الجسد، والنص يسمى بعد إنتاجه إنتاجاً نهائياً وبعد أن يصبح قابلاً للاستهلاك، فعلى الاسم أن يكون

(١) انظر: عتبات النص في الرواية العربية: دراسة سيميولوجية سردية، د. عزوز علي إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص: ٧٤.

(٢) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، دار الثقافة، ط. الأولى، يناير ٢٠٠٥م، ص: ١١.

(٣) انظر: السابق، ص: ٧٩.

(٤) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ص: ١٢.

صالحاً للمسمى الدال عليه^(١)؛ بل إنَّ "دراسة العنوان تمثِّل في أهم جوانبها دراسة النصِّ كل النص، فالعنوان هو النص المكثَّف، أو هو نصٌّ قصيرٌ يختزل نصّاً طويلاً"^(٢).

وتمثِّل عتبة العنوان في الدواوين إحدى الركائز الرئيسة التي تجلَّى فيها ألم القرشي من خلال ما يلمحه المطلِّع على عنوانه من دواوينه منذ باكورتها وحتى آخر ديوان من دواوينه الشعرية، حيث إنها غارقة في لجة الألم.

وتعود هذه الآلام إلى طبيعة حياة الشاعر، وما مرَّ به من ظروف خاصة، إضافة إلى ما تأثر به من النتائج الأدبي، وخاصة المهجري، حيث خيم الحزن والألم على قلم الشاعر، وسيطر على ما خطَّه من كلمات وعبارات، فلا تكاد تقرأ ديواناً أو قصيدة إلَّا وللشكوى والتذمُّر والتألم نصيب فيها، وتكفي مطالعة أسماء الدواوين فقط، لنعرف مدى هذا الحزن المخيم^(٣)، ونظراً لما لدراسة العنوان من أهمية بالغة كان لزاماً أن نأتي عليها لنقف على الألم الذي يكتنفها، ومن خلال العنوان ندرك ألم شاعرنا وأحزانه، وسأقوم باستعراض سريع لعناوين دواوينه الشعرية، وما تحمله في داخلها من عنوان قصائد مليئة بالألم.

فباكورة نتاجه الشعري "البسمات الملونة"، مليء بمختلف الألوان والأشكال من البسمات التي مرَّت بالشاعر سواء ما كان منها مفرحاً أم مؤلماً، وهو ما ركَّز عليه الشاعر في مقدمته، حيث أشار إلى ما يعتري الشاعر من ألمٍ وغمٍّ، وخاصة مع حبيبته التي يصلها فتهجره، ويقبل إليها فتعرض عنه، ولكنه على كلِّ حال أراد من هذه البسمات أن تكون بسمات يملؤها الفأل والمرح أحياناً، ومع الصبر أحياناً آخر، وهذه من

(١) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر - دراسة، د. خليل موسى، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص: ٢٨.

(٢) السابق، ص: ٧٢.

(٣) انظر: حسن عبدالله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، د. ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص: ٩٨.

الوسائل التي يتكئ عليها الشاعر للهروب من آلامه ومواجهه^(١)، بل لا نبالغ إذا قلنا إنَّ هذا الديوان "لم يحمل من البسمات إلَّا الاسم، وبعض الترجيعات الفرحة، والأصوات الدافئة المتسريلة بغلالة رقيقة من التضور والمرارة"^(٢)، ولنقف على عنوان القصائد الموجودة في البسمات الملونة لنذكر ألم الشاعر ومعاناته من خلال تقصِّي العناوين: (بعد الحرمان، نجوى شاعر، ذكرى غاربة، حنين وهيام، أشواك وزهور، عشيقه الفجر، عتاب، لكي تستلذي الهجر، أواذي الحب، خبيثة آمال، حيرة، ضياع، ظمئت كأس، بقايا عطرها، على الوتر الباكي).

وفي ديوانه: "مواكب الذكريات" ما يحتمل الألم والفرح، فقد أتى بالعنوان مركباً من كلمتين، وجاء بهما على صيغة الجمع مما يحكي عن كمٍّ هائل مما يجيش في نفسه وخاطره، ومواكب عدة حملتها ذكريات الشاعر، وبعضها قد اتسم بالسعادة، وبعضها بالأنين والألم، وتتضح آلام القرشي من خلال عنوان القصائد في هذه الذكريات: (مناجاة، الحرب الثالثة، نجوى، في الظلام، نجوى لهيف، غربة، اليأس، عتاب على النيل، حوار شاعر حزين، كأس من الأحلام، البلبل السجين، شجون، وحشة، لهفة، ثورة، حيرة).

أما ديوانه "الأمس الضائع"، فقد بلغ الألم أشده من خلال تركيب العنوان من صفة وموصوف، فالأمس مؤلم، ووصفه بالضائع يزيد من شدة الألم، حيث إنَّ الأمس انفلت من الشاعر، وأصبح جزءاً من آلامه:

أَفَلَا تَ الْأَمْسُ مِنْ يَدِي لَمْ يُهْدَهُ هَذِهِ مَوْعِدِي^(٣)

(١) انظر: البسمات الملونة، حسن عبدالله القرشي، تقديم: المؤلف، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م، ص: ١٦-١٧.

(٢) حسن عبدالله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، ص: ٩٨.

(٣) الأمس الضائع، ص: ٤٤.

ولنطفُ بين عناوين قصائد الديوان، فمن خلال ذكرها يتبين لنا الألم بعوامله وبواعثه، ومحاولة البحث عن وسائل للهروب منه: (غربة، في ظلال الغار، سجين الحياة، نجوى، الأمس الضائع، ثورة الأحرار، انتظار، إلى أين، وهم، أشواق، بوح، أشواك، هجير، ضباب، رباه، حيرى، بعد الفراق، أنين).

أما ديوانه الموسوم بـ: **"ألحان منتحرة"** فإنَّ عنوانه يحكي الآلام التي عانى منها الشاعر كثيراً، حيث إنَّ ألحانه الشاعرية قد أصابها كثيرٌ من الحزن والعذاب، فهو يتحدث عن شعره في مقدمة الديوان قائلاً: "هو عذابي ... وراحتي ... وهو الذي صبغ حياتي بألوان الحزن وموجهاً بأطياف الأسى، وطبعها بطابع الحيرة والشقاء"^(١)، ثم يقول: "وألحان منتحرة) ديواني الخامس، وربما لا يرضى بعض أصدقائي عن تسميته هذه ولكنني رضيتها لأنها تسمية ترضى عنها الحقيقة، ويباركها واقع التجارب الشعورية التي عشتها في قصائد هذا الديوان"^(٢)، ولو أجلنا النظر بين عناوين قصائد هذه الألحان المنتحرة لوجدنا الألم طاغياً عليها: (في قيود العذاب، ضياع، شقية، ظمأ، إلى متمرده، أشواك، في الزحام، وحدة، غدر، تساؤل، ظلام، طفل عنيد).

ولا شكَّ أنَّ قوة العنونة وجودتها تدفع القارئ وتحفّزه على تناول الديوان وقراءة ما بداخله، والإبحار في محيطه الفني^(٣).

ويأتي ديوانه الموسوم بـ: **"نداء الدماء"**، ليمثِّل قمة الألم في عنونة الدواوين، ولسنا بحاجة إلى الوقوف على أبعاد اللفظتين اللتين حملتا العنوان، فهو لم يذكر الدماء بلفظة المفردة "الدم"، بل أتى بها بصيغة الجمع التي تدل على عظم الألم الذي انتابه من خلال هذا الديوان، كما أنَّ مناداة الدماء توحى بشيء من الوجع والشكوى عندما يرى القارئ

(١) ألحان منتحرة، حسن عبدالله القرشي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م، ص: ٥.

(٢) السابق، ص: ٦.

(٣) انظر: العنوان في الرواية العربية، ص: ١١.

عتبة العنوان في هذه المجموعة فيدرك أنَّ شيئاً مؤلماً تجاه الشاعر قد رسم معالمه من خلال وسمه بهذا التركيب الإضافي المؤلم، وقد جاء في مقدمة الديوان: "وليس ثمة شك في أنَّ الوطن العربي - في مجموعه - وشائج متماسكة، وروابط متحدة، وآلام مشتركة، وآمال متقاربة ... فشعور الأخوة، ونداء الدم يوحد بين جميع أبناء هذا الوطن، ويؤلف بين قلوبهم..."^(١)، ولتقف على هذه الدماء، ونسبر غورها من خلال النظر إلى عناوين قصائد هذه المجموعة الشعرية الصغيرة: (ثوار الجزائر، كفاح مقدس، هتفة مجروح، أماه، اللاجئين، أشعلوها).

وديوانه "النغم الأزرق" ينبئ عن الألم من خلال وصف النغم بالزرقة التي تشي بالعتمة والحزن والعنف والهيجان، وعند استعراضنا لعناوين قصائد المجموعة ندرك الألم المحيط بالشاعر، حيث جاءت عناوين: (النغم الأزرق، الهوى السحري، ثورة، لحن يهيم، جحود، كفاح لفلسطين، انتظار، سعال الليل، ألم، قلق).

أما مجموعته الشعرية "بحيرة العطش"، فإنَّ العنوان ينبئ عن ألمٍ يعانيه الشاعر، حيث إنه عطش معنوي يتجرَّع مرارته وألمه مما اعتراه في حياته، ويريد أن يتسلَّى بالشعر عما أصابه من آهات وآلام، حيث ذكر أنه "الحرارة التي تذيب جليد الألم، والوهج الذي ينير سبيل الحياة، وينطلق بها إلى عوالم سحرية بهيجة"^(٢):

الحُبُّ يَا صَغِيرِي

بُحَيْرَةٌ مِنَ الظَّمَا

وَكَيْفَ يَرْتَوِي الظَّمَاءُ مِنْ بُحَيْرَةِ الْعَطَشِ؟^(٣)

(١) نداء الدماء، (المقدمة) بقلم: حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت، ص: ٩.

(٢) بحيرة العطش، (مقدمة) بقلم: حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، ص: ٩.

(٣) السابق، ص: ٧٩ - ٨٠.

ولننظر إلى معالم هذه البحيرة، وما في عنونة قصائدها من آلام أظمت شاعرنا، ولم تروه في حياته: (ظماً، وحدي، صمت، رماد، سراب، بسمات حزينة، شهقة ذكرى، بحيرة العطش، في بحار التيه، بوح).

ونلمح الألم في عنوان ديوانه **"لن يضيع الغد"**، حيث إنَّ الشاعر يشير إلى شيء قد سُلِبَ من قبل، ولن يهدأ له بالٌ حتى يرجع الحق إلى أصحابه، إنه القدس الذي سُلِبَ من أهله، ومع ذلك فإنه يفتح باب الفأل من خلال نافذة الغد المشرق الذي سيعيد أمجاده:

"لَنْ يَضِيعَ الْغَدُ مَهْمَا أَمَلُوا وَالْأَمَانِي الْبَيْضُ لَنْ تُرْجَعَ يَأْسًا!"^(١)

وتأتي عنونة قصائد هذه المجموعة مليئة بالألم والحزن مع عدم إغفال بعض النوافذ التي يلجأ إليها الشاعر فألاً وأملاً بغدٍ مشرق: فالحزن والألم في عناوين: (فدائي العروبة، ثار، دمشق المكافحة، لن يضيع الغد، أخوة الثار، غريان، موعد، ضمائر، قلب جريح، حداد، مدفع، براكين، حصاد الغدرا)، ويأتي الفأل والأمل من خلال عناوين: (يا أخي، عيد، مواكب العرب، قمة، ربي القدس، فجر).

أما ديوانه: **"فلسطين وكبرياء الجرح"** فالألم واضح من خلال ما يكابده العالم الإسلامي أجمع من جرح عميق لضياح فلسطين، ولذا جاء العنوان مؤلماً حزيناً، مع ما يحمله من كبرياء العظماء الذين اتخذوا الصبر شعاراً لهم، والفأل معلماً يهرولون إليه، وسيصلون إليه يوماً ما:

أَعْذِرْنِي فِي دَمِي فِي خَاطِرِي كِبْرِيَاءُ الْجُرْحِ يُورِي مِنْ وَقُودِي
يَمْلَأُ الرُّوحَ ضَبَابٌ مِنْ أَسَى مُمْسِكٌ مِّنِّي بِأَوْتَارِ الْوَرِيدِ^(٢)

(١) لن يضيع الغد، حسن عبد الله القرشي، منشورات دار الآداب، بيروت، د.ت، ص: ٣٨.

(٢) فلسطين وكبرياء الجرح، حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠م، ص: ٤٥.

وقد جاءت قصائد الديوان بعناوين شتى نسجت خيوط الألم والحزن والحسرة على واقع فلسطين وأهلها. حيث جاءت العناوين المؤلمة: (صرخة الثَّار، فدائيون، كبرياء الجرح، شادي الجراح، يا فلسطين، دم الشهيد، درب النضال، شعب ماردي، سيف ويراع، شاطئ الضياع، زارع الأشواك، مذبح الحب)، ومع ذلك فقد عَنَوَنَ الشاعر لبعض قصائده بالتفاؤل وبزوغ الأمل لتكون منفذاً للهروب من الآلام، ولم يجعل اليأس مسيطراً مع الحياة، فجاءت عناوين (في رحاب الكرامة، صباح المجد، إصرار، عندما تترجل الفرسان، مهد الإسراء، فارسي الصغير، صديقنا القمر، مهاجران إلى القمر).

وفي مجموعته الشعرية **"زحام الأشواق"** عبارة ألم، وقلب مليء بالآهات، فالزحام يأتي بالضنك والتعب، ويجلب الهمَّ والملل، ولنخضُ في خضمِّ الزحام لنذكر الألم من خلال ما عَنَوَنَ به الشاعر قصائده، إذ تأتي عناوين: (ضحكات الريح، ينابيع الأسى، أشباح الذل الهاربة، عربدات الطائر المجروح، الجرح المدمي، نقش النار، حنين اليتامى، أطيايف من رماد الغربة، عتاب، هذب أرعن، زارع الشوك، خفوق، أخاف، نار، لحن جائع، الزامر الموحش، انتظار، عذاب الهوى، النجم الذي هوى، أحلام ضائعة، شقاء، حصاد الأشواق، عاشق المجهول، تجني، عذاب الشعر، شرود، سجن مؤبد)، فهذه وغيرها أبانت عن زحامٍ عند الشاعر، تجرَّع ما به من ألمٍ لا يدركه إلا الشعراء أنفسهم. ويظهر الألم في ديوانه **"عندما تحترق القناديل"**، من خلال ما نلمسه من أثرٍ إيجابي للقناديل في الحياة، ولكن كيف لهذا الأثر أن يأتي وهذه القناديل محترقة مما أصابها من صنوف الأسى والألم، وأنواع الزيف والقهر، وعندما نرى احتراق القناديل من خلال عتبة عَنَوَنَ الديوان فإنَّ عتبات القصائد من خلال عنونتها تشي بالألم المحيط بالشاعر من خلال: (حواري الحزن، فيم جئنا...؟! عندما تحترق القناديل، سيات الذئاب الصفر، في عذاب الصمت، من أطيايف الغربة، القدس والأطيايف الممزقة، وحدة نحن، أنشودة لنار حزينان)، وجميعها تمثِّل عنونة القصائد لهذه المجموعة الشعرية، مما يوحي بأنها خلت من أيِّ عنوانٍ يشي بفرح أو حتى نافذة من نوافذ الهروب من الألم.

وديوانه "زخارف فوق أطلال عصر المجون" يحكي الألم والضياع من خلال إضافة العصر إلى المجون؛ بل إنها أطلال وشتها الزخارف، ولم يبقَ منها إلّا ما تحكيه من خلال عناوين القصائد الموجودة في الديوان: (عندما تتقصف الخيام، رسالة من شجر النخل المسافر، بيروت في قبضة الظلام، عندما ينكسر الحلم، رحلة الدم الأصفر، زخارف فوق أطلال عصر المجون، المشي على سطح الماء، يوم موعود).

وفي ديوانه: "رحيل القوافل الضالة" حزن وأسى، فالرحيل مؤلم، والقوافل الضالة تائهة دون دليل أو معلّم تهتدي به، فكيف لها أن تصل إلى هدفها، ولو ارتحلنا مع هذه القوافل الضالة لوجدنا الألم في عناوين القصائد: (ارتهان الحصان، أمة العرب أفيقي، أكبر من غربة المستحيل، حقل النار، موت شاعر).

أما ديوانه الموسوم بـ: "أطياف من رماد الغربة" فعنوانه ليس بحاجةٍ إلى ذكر ما فيه من ألمٍ وعناء، وقد ذكر الشاعر أن "اسمه مستمدٌ من حياة الشعراء التي كلها اغتراب ونصب ومعاناة في المسيرة الشاقة التي فرضت عليهم"^(١)، وتحمل قصائد الديوان عدة عناوين مؤلمة، فهناك (غريبة بأوطان كل العروبة، قتلوه، ملحمة الفاو، ثقب في جدار العروبة، زمان الرماد، مصرع البطل، طبع ملول، أطفال الحجارة).

وفي ديوانه "المشي على سطح الماء" ألم الشعراء ومعاناتهم مع الحياة، فهو يقول: "فإذا كنتُ قد أسميت ديواني هذا (المشي على سطح الماء) فإنّ هذه التسمية ترجمةٌ أمينة لواقع حال الشاعر مع الشعر دون زيادة أو نقصان"^(٢)، وهو بذلك يشير إلى ألمه ومعاناته في الحياة، وفي عناوين قصائده ألم وحسرة، فهناك (في شباك العذاب،

(١) أطياف من رماد الغربة، (مقدمة) بقلم: حسن عبد الله القرشي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٩٩٠م. ص: ٧.

(٢) المشي على سطح الماء، (مقدمة بعنوان: كلمة) بقلم: حسن عبد الله القرشي، ص: ٨.

نهر السراب، سقوط أوراق التوت، موكب الغربان، في وادي التيه، النيل حين يثور، مصر في خضم الزلزال).

أما ديوانه الموسوم بـ: "سوزان" فهو أبهج العناوين، وأقلها ألماً، مع ما في داخله من عناوين قصائد ما هو مندوحة لبيان ما مرّ بالشاعر من آلام، : (جذوة، غيرة، عذال، هروب، حسد، غرام معرب، ستار الحذر، دموع الندم)، وهكذا نرى أن "بلاغة عنوان القصيدة تكمن في اختيار كلمة أو أكثر تشي بالفكرة الأساسية، وتومي إليها بدون أن تصرّح بها، كي تغري المتلقي بالقراءة للبحث عن هذه الفكرة، وفي ذلك ما يحقّق له متعة الكشف بنفسه"^(١).

ومن خلال الاطلاع على أسماء دواوين القرشي ندرك أنه "ليس مسكوناً بالرغبة في البوح والإفشاء عن ذات نفسه فقط، وإنما هو مهتم بما يطرأ به الواقع العربي من أحداث، وما يشغل أمتة من قضايا مصيرية، بل إنه متابع ومعنيٍّ ومعبرٌ عما يمور به العالم من صراعات"^(٢)، فألمه ناتج عن أمورٍ تتعلّق بذات نفسه، وأمور أخرى عامة محيطة به، ولذا فإنّ "عالم القرشي عالم هامس مسحور، نعيش في ظلاله حياة كاملة، لها ظروفها وقوانينها الخاصة، عالم فيه البسمات ملونة، والذكريات مواكب، والأمس ضائع، والألحان منتحرة، والنغم أزرق، والعطش بحيرة، كل شيء فيه ساجي الضفاف، هادئ السطح، ولكنه ثائر الأعماق، مشتعل الباطن"^(٣).

(١) حسن القرشي شاعر الجزيرة العربية، د. حسن فتح الباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص: ٥١ - ٥٢.

(٢) السابق، ص: ٤٥ - ٤٦.

(٣) القرشي شاعر الوجدان، د. عبدالعزيز الدسوقي، مطابع سجل العرب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ص: ٣٥.

٢. الألم في عتبة الإهداءات:

يولي المؤلفون الإهداء "أهمية كبيرة، عبر إدراجه في مقدمة كتبهم، وفوق الورقة الأولى بعد عنوان الكتاب، وبعد صفحة بيضاء لا معنى لها سوى إراحة النظر والتقاط الأنفاس قبل الشروع في القراءة يأتي الإهداء بخط متأنٍ وبارز، ليكون الجملة الوحيدة في النص التي لا يشك في نسبتها إلى الكاتب لا إلى أبطاله وتقمصاته"^(١).

إنَّ الإهداءات التي تكون للأعمال الإبداعية من شعر ونحوه تتسم بحسٍّ مختلف، ولغة محملة بالعديد من الإشارات والإيحاءات، وتكتنفها المشاعر والعواطف والانفعالات، وتميل إلى التكتيف والاختزال^(٢)، وهي بطبيعة الحال تشير إلى التقدير من المهدى إلى المهدى إليه، ومدى صدق المشاعر تجاه الآخر، والارتباط بينهما، حيث إنه يعدُّ نبراساً من خلال توجيهه إلى فردٍ في صورة ضيقة قاصرة، أو إلى جماعة في صورة أوسع وأشمل^(٣)، وأقصد بذلك "الإهداء المطبوع في جميع نسخ الكتاب، إذ يصدر عن قصد المؤلف ومعرفته بأن كل من سيقراً الكتاب - في أي زمان وفي أي مكان - سيعرف أنه يهدي عمله هذا إلى قيمة رمزية معينة قد تتجسد في شخص أو في جماعة أو في فكرة أو في عمل أو في مكان"^(٤)، فهو كلمات وعبارات يرسلها الشاعر إلى شخصٍ ما أو إلى مجموعة من المتلقين، ويكون الإهداء للديوان بأكمله، أو قصيدة معينة.

فالنوع الأول: وهو إهداء الدواوين يأتي على شقين: إهداء شعري، وآخر نثري.

(١) إهداءات الكتب، حمدي عبد العليم البدوي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص: ١٨ - ١٩.

(٢) انظر: السابق، ص: ٨ - ٩.

(٣) انظر: عتبات النص في الرواية العربية: دراسة سيميولوجية سردية، ص: ٣١٢ - ٣١٣.

(٤) إهداءات الكتب، محمد عبدالرزاق القشعمي، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص: ٢٥.

فمن الإهداء الشعري عند حسن القرشي: إهداء ديوانه "نداء الدماء" إلى ابنه الصغير عبد الله من خلال قصيدة مرسلة إليه تشي بالألم، وقسوة ما أصابه من حزن في حياته:

مِنْ اللَّظَى مِنْ وَهَجِ التَّنُورِ
نَسِيحُ شِعْرِ عُرِيٍّ وَصَدَى شُعُورِي
أَهْدِيكَ عَبْدَ اللَّهِ "يَا صَغِيرِي
دِيَّوَانِي الْمُلْتَهَبِ بَابِ السُّطُورِ
تَحِيَّةً لِعَظَمَةِ دِكِّ الْكَبِيرِ"^(١)

يظهر الألم بادياً في إهداء الشاعر ديوانه لابنه الصغير، حيث يريد منه أن يتذكّر في غده القريب ما كان يعانيه والده من آلام وصفها بالتنور الملتهب، وهذا من باب مبالغة الشعراء فيما يكابدونه في حياتهم، وما يواجهون من مشقةٍ وعنت، وهنا نلمح الوظيفة الاجتماعية للإهداء، وهي مشاركة الابن لوالده من خلال ما يحمله الإهداء من دلالات ومعان.

ومن الإهداء النثري الذي يشير إلى الألم والحزن عند القرشي إهداء ديوانه الموسوم بـ: "زحام الأشواق"، حيث جاء فيه: "إلى الحائرين في متاهات الدروب، الذين يؤرّقهم الشوق إلى المجهول، وإلى الباحثين عن الحقيقة في أعماق نفوسهم، وفي أصداء الحياة"^(٢)، فهو يعيش في بحر التيه والحيرة، ويجول بقصائده بحثاً عن مخرج منها.

(١) نداء الدماء، ص: ١٤.

(٢) زحام الأشواق، حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، صفحة الإهداء.

فيهدي قصائد ديوانه إلى مَنْ يريد الخروج عمّا هو فيه من ظروف قاسية، ومَنْ هو على مثله في الآلام والأحزان.

وفي إهداء ديوانه الموسوم بـ "النغم الأزرق" يقول: "إلى الذين سخرت منهم الذكريات. إلى اللاحقين بقافلة الأشواق. إلى الذين يغزلون من قلوبهم خفقات الحبّ والحنان. رغم الظمأ والأشواك. أهدي هذه القطرات. من "النغم الأزرق"^(١).

ويقول في إهداء ديوانه: "عندما تحترق القناديل": "إلى جملة مشاعل الحقيقة في أودية الزيف"^(٢)، فهو يشي بالأمّ الواقع الذي تعيشه الأمة، وما فيه من محن ورزايا.

أما ديوانه الموسوم بـ: "المشي على سطح الماء" فالإهداء فيه يغلي ألماً وحرقة، وذلك على واقع الضعف العربي المؤلم، يقول: "إلى جيل الغد من أبناء أمتنا العربية العريقة، الذي من مسؤولياته أن يحرّر هذه الأمة من: كوابيس الضعف، وسيطرة الطغيان، وانغلاق المسالك، وإحباط المساعي، وانبهام الغايات"^(٣).

وفي إهداء ديوانه: "أطياف من رماد الغربة" شيء من الألم الذي يعتصر قلبه من الواقع الفلسطيني، ويهدي لهم ديوانه قائلاً: "إلى شهداء الانتفاضة: الذين أثبتوا أنهم شهود عصرهم. في معارك التحدي، والذين قدّموا أرواحهم فداءً للوطن، وإنقاذاً لشرف العروبة!"^(٤).

ومن النوع الثاني: وهو إهداء القصائد. ما جاء مصدراً في قصيدته الموسومة بـ: "رسالة"، حيث صدّرت بقوله: "إلى التي توارت في ضباب رسالتها..."^(٥)، وفي باطن الإهداء

(١) النغم الأزرق، حسن عبد الله القرشي، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م، ص: ٥.

(٢) عندما تحترق القناديل، (الإهداء)، حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، د.ت، ص: ٥.

(٣) المشي على سطح الماء، صفحة الإهداء، بدون رقم للصفحة.

(٤) أطياف من رماد الغربة، صفحة الإهداء، بدون رقم للصفحة.

(٥) بحيرة العطش، ص: ٥٠.

ألم يجد الشاعر داخل نفسه، يعيشه بسبب رسالة قادمة ممن أحب، حيث اختفت المحبوبة بعد رسالة القطيعة والهجر.

ولا شكَّ أنَّ هذه العتبات من الإهداءات وغيرها "تنبه المتلقي إلى ما بداخل النص، فهي الومضات التي تنبئ بما سيكون عليه النص، حيث تمهّد له من إichاءات وإيماءات وإشارات تقود إلى تفسير النص ومحتواه، وتجعل منه قوة متعددة الدلالات والأبعاد، تختلف أو تتفق فيها رؤية متلقي عن متلقي آخر"^(١).

٣. الألم في عتبة المقدمات:

المقدمة هي "نصّ يتصرّف الكتاب، يكتبه المؤلف أو شخص آخر، ويتوجّه الكلام فيه إلى القارئ"^(٢)، وما يعنينا هنا هو النصّ الذي يكتبه الشاعر صدرًا لديوانه، حيث إنها تمثّل إضاءة للمتلقى حول ما ينتجه الشاعر من مجموعة شعرية توحى له بشيء مما في داخل هذه المجموعة من معانٍ وأفكار.

وقد أظهر القرشي ألمه في المقدمات التي كتبها في صدر دواوينه الشعرية، حيث اتسمت بالاختصار، وفيها بوح وشكوى، وهم ونجوى لمن حوله، يرسل لهم آهاته في عتبة مقدمات الديوان، ليدرك القارئ مدى معاناته، وشدة آلامه.

ففي مقدمة ديوانه "البسمات الملونة" يبين ألمه، وما أصابه من ظروف ومحن، يقول: "وحسن عبد الله القرشي ولنسمّه الشاعر ... امرؤ من ذلك الفريق، الذي خلع على الحياة بردة صباه، وأمنيات شبابه، فجوزي منها بألوان من الجحود والعقوق والإشاحة، كما لقنّته أفانين متغايرة من دروسها جعلته يحسُّ بشيخوخة نفسية تضغط على

(١) عتبات النص في الرواية العربية: دراسة سيميولوجية سردية، ص: ٤٦-٤٧.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص: ١٥٦.

روحه، وتسرق أنفاسه، وتنتقل به إلى عالمها الحسير الهامد عالم الضباب والكثافة والأشباح، كل شيء غريب على أحلامه وخیالاته وأمانیه^(١).

ويتحدّث القرشي عن آلام الشعراء في مقدمة ديوانه: **"مواكب الذكريات"** قائلاً:
"الشعر دمعات وابتسامات، وأفكار تتألق، وجراح تسيل على الورق، وقلوب وأكباد
تحترق"^(٢).

وفي مقدمة ديوانه **"المشي على سطح الماء"** أفصح الشاعر عن معاناته الشديدة مع داء الحب فقال: "والشعر صنو الحب .. كلاهما جذّابٌ وكلاهما عنيفٌ ومعدّبٌ.. وما
أعتقد أنّ شاعراً حقيقياً قد سلّم من عذاب الحب، وأمنَ لَوَازِعِ الوجدان"^(٣).

وفي مقدمة ديوانه **"زحام الأشواق"**، يعتصر الألم قلب القرشي، ويفصح عن معاناته قائلاً: "ليست هذه الحزمة من الأشواق إلا نزيهاً من القلب الجريح، ومزقاً من الروح الحائر... نعم إنها عصارة روح، وذوب قلب ضائع في متاهات الحب للحياة والأحياء، وقصارى ما يستطيع أن يهديه الشاعر إلى البشر هو ذوب قلبه، وعصارة روحه"^(٤). فهو يفضّض عن مشاعره تجاه أحداث مجتمعه، وما يشاهده في عالمه الخاص والعام من واقع مرير أصابه بالكمَد والحزن، فكان الشعر متنفساً له من خلال هذه المجموعة الشعرية.

وفي مقدمة ديوانه **"أطياف من رماد الغربة"** ألمٌ وشقاء، وتعبٌ وعناء، يقول:
"ولست أدري لماذا يسربل الشقاء حيوات الشعراء، ولماذا تظلل الكآبة نفوسهم – إلا
فيما ندر – ؟ قد يكون ذلك لأنّ شحنات الإحساس المختزنة في كيانه هم هي أضعاف ما

(١) البسمات الملونة، ص: ١٦ – ١٧.

(٢) مواكب الذكريات، حسن عبد الله القرشي، مطبعة الرسالة، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م، ص: ١٢.

(٣) المشي على سطح الماء، (كلمة) ص: ٨.

(٤) زحام الأشواق، (المقدمة)، ص: ٧.

هو مختزن في نفوس سائر الناس، ولأنَّ رهافة مشاعرهم، وسرعة تأثرهم، هما الأكثر – بما لا يقاس – بالنسبة لغيرهم من البشر، ولأنهم يحسّون من آلام الآخرين ما لا يحسّه هؤلاء أنفسهم، والشعر عذاب، ولكنه قدر الشعراء، ولذلك فلا ينبغي أن يغبط الشعراء على ما امتحنوا به مهما أصابوا من مجد، ومن شهرة، ونباهة شأن، فإنَّ ما يستنزف منهم لقاء ذلك هو أغلى من الدم، إنه أكسير الحياة، والشاعر هو كما وصفته في إحدى قصائدي بقولي:

أَوْسَعُوهُ أَلَمًا وَهُوَ الَّذِي عَاشَ يَأْسُو الْجُرْحَ وَالْدَاءُ عِقَامُ
يَا لَهُ مِنْ عَاشِقٍ مُغْتَرِبٍ فِي رُبَى مِلءَ حَوَاشِيهَا الضَّرَامُ^(١)

فالشاعر من جملة الشعراء الذين أنهكهم الألم، وساروا في طريقه يكتوون عذابه، ويعتصرون شقاءه، ويفقدون نعيم الحياة وملذاتها؛ بسبب حياتهم الخاصة، وطابعهم النفسي المشوب بالأحزان.

كما يأتي الألم عند القرشي في مقدمة ديوانه "نداء الدماء"، حيث قال: "كان لا بدّ للشاعر العربي والآلام تجتاحُ وطنه الحبيب والنكبات تتوالى عليه أن يحمل المشعل لأبناء هذا الوطن، وأن يسكب الضياء على صَوَى الطريق، وأن يحدو الركب المنطلق في سبيل الحرية والمجد، ليسير مجدّاً نحو غايته، لا ينتكس ولا يتراجع مهما اعترضته العوائق، ومهما انبثّت في سبيله الأشواك والألغام"، ثم يقول: "ليس ثمة شكّ في أن الوطن العربي – في مجموعه – وشائج متماسكة، وروابط متحدة، وآلام مشتركة، وآمال متقاربة... فشعور الأخوة، ونداء الدم يوحد بين جميع أبناء هذا الوطن، ويؤلف بين قلوبهم، مهما اختلفت المناطق، ومهما تباعدت المسافات، وتباينت الأجواء، وتغايرت

(١) أطياف من رماد الغربة، (المقدمة)، ص: ٧ – ٨.

المناخات”^(١)، فألامه منبثقة عن شعور الأخوة تجاه ما يصيب العالم العربي من أحداث مؤسفة، فالوطن واحد، والجراحات واحدة، يحزن عندما يرى الاضطهاد على فئة ضعيفة من أشقائه، فهو بأمانته وإخلاصه يرسل الآهات والأحزان من الواقع المؤلم، حيث إنَّ ذلك من واجبات الشاعر بصفته يحمل أمانة لإيصالها للآخرين بما أعطاه الله من ملهمة، وصوت يصل إلى قارئه.

ويتألم الشاعر في مقدمة ديوانه **”بحيرة العطش”**، وذهابه ضحية لأُمور مجتمعية، نتيجة لرسالته التي يؤدِّيها في حياته اليومية، يقول: **”والشاعر – وإن كان هو نفسه فريسة للآلام – يهمله أن يكون طبيباً نفسياً للآخرين يعالج مشكلاتهم النفسية، ويفسر لهم ظواهرهم الخفية، ويعبر بهم عالم المادة إلى عالم الروح وإن كلفه ذلك كثيراً، وأداه، وأثقله”**^(٢)، فهو ما إنَّ يقدِّم خدمة للآخرين إلَّا ويعود ذلك الأمر ضرراً ووبالاً عليه وحسرة.

وفي مقدمة ديوانه **”لن يضيع الغد”** يرسل آلامه وأحزانه للمتلقين من خلال عتبة المقدمة قائلاً: **”هذا ديوان... لم يُنشر ليطربك ويشجيك ويحملك على أجنحة الأحلام ويهيم بك مع الأطياف السحرية، ولن تنسَم منه عبير الغزل أو تتفياً فيه ظلال السكينة، ولكنك ستشم منه رائحة الكبد المحترقة، وتتجرع من خلاله مرارة الذكرى القريبة”**^(٣).

وهذه العتبات من العنوان والإهداء والمقدمة ... تمثِّل حلقة وصلٍ وربطٍ بين الداخل والخارج، حيث **”لا تشكّل هذه العناصر جزءاً حقيقياً من النص، بل عتبة تفصل بين النص وخارج النص (ما هو مكتوب عن النص)، يعبرها الداخل لا في اتجاهٍ واحدٍ بل**

(١) نداء الدماء، (المقدمة) ص: ٩.

(٢) بحيرة العطش، (المقدمة)، ص: ٩ – ١٠.

(٣) لن يضيع الغد، (المقدمة)، ص: ٧.

في الاتجاهين، إنها مكان مميز عملياً واستراتيجياً للتأثير في الجمهور، سعياً وراء استقبال أفضل للنص، وفهمٍ يوافق مقصد الكاتب^(١).

٤. الألم في عتبة المطالع:

اعتنى العرب بالمطالع عناية خاصة، ولم يختلف القدماء والمحدثون على أن المطالع من أهم أجزاء القصيدة، وينبغي أن ينال عناية واهتماماً خاصاً من الشاعر، وذلك أن المطالع الجيدة يكون تأثيرها أو تأثير القصيدة في النفوس أكثر^(٢)، ويؤكد الجاحظ على أهمية الابتداء بقوله: "إنَّ لابتداء الكلام فتنةً وعُجْباً"^(٣)، ولذا فإنَّ هناك قصائد اشتهرت بمطالعها، وأخرى عكس ذلك.

وقد شكَّلت المطالع عتبة من العتبات التي نقلت لنا آلام القرشي وأحزانه، حيث جاءت القصيدة مشوبة بالهمِّ والكدر من خلال الاستهلال الذي يصفح به القرشي متلقي شعره، ومن ذلك مطلع قصيدته الموسومة بـ: "غربة"، إذ يقول:

عَدْتُ وَحْدِي أَعِيشُ فَوْقَ الْبَرَائِكِ مِنْ وَأَحْيَا هُنَا حَيَاةَ الْأَسِيرِ^(٤)

وأيُّ ألمٍ يكتوي به الشاعر، وهو يعيش غريباً فوق فوهة البراكين والأحزان الملتهبة، أسيراً لا يستطيع الفكاك عن أحزانه وآلامه النفسية.

وفي مطلع آخر يحكي غربته وحزنه:

أَنَا كَالْفَرَاشَةِ هَائِمٌ مُتَفَرِّدٌ مَتَنَقِّلٌ بَيْنَ الْوُجُودِ غَرِيباً^(٥)

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، ص: ١٤٠.

(٢) مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، د. عبد الحليم حفني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص: ٤٩.

(٣) كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م، ١: ٨٨.

(٤) الأمس الضائع، ص: ١٧.

(٥) السابق، ص: ٨١.

فهو ما إنْ يذهب إلى مكانٍ إلّا ويجد نفسه غريباً، ولعلَّ مرد ذلك مبالغة بعض الشعراء كعادتهم في وصف ذواتهم وما هم عليه في الدنيا من غربةٍ وشقاء. ويأتي بمطلع آخر يحكي فيه ألمه وحزنه مما يجري من بعض الناس من خداع، وعدم صدق في التعامل:

إِنِّي سَكِمْتُ مِنَ الْأَنَامِ خِدَاعًا وَرَجَعْتُ مَكْلُومَ الْحَشَا مَلْتَاعًا^(١)

استهلَّ الشاعر قصيدته بالحديث عن فئة الخداع والكذب، مبيناً تبرمه منهم نتيجة لما وجده من عدم مصداقية في التعامل، مما يجعل الإنسان يحزن على وجودهم، ويأسى على تعامله معهم.

ويستهلُّ قصيدته الموسومة بـ"رباه" بالبوح عمّا يقاسيه من آلام الحب، وجذوة النار المستعرة في جوفه، إذ يلجأ إلى خالقه فإليه المأوى والملتجأ:

رَبَّاهُ هَذَا لَهَيْبٌ شَبَّ فِي جَسَدِي غَرَّائِزِي مِنْهُ فِي هَوْلٍ وَأَفْكَارِي^(٢)

فمنذ مطلع القصيدة والشاعر يتكئ على الألم الذي يعانيه، ويكتوي به داخل كيانه، وليس له إلّا الله -سبحانه- نصيراً ومعيناً ليخفّف عنه آلامه، تعفّفاً وطلباً لمغفرته ورضوانه عمّا قد يجول في خاطره من ألمٍ نفسي تجاه أمورٍ ليست في يده، ولكنها النفس التي تجعل الإنسان ضعيفاً في أمور دنياه.

ومن المطالع التي نقلت لنا ألم القرشي مما صوّره من بؤسٍ وحرمان يقاسيه ممن

يجب:

سَغَبٌ كُلُّهَا الْحَيَاةُ وَبُؤْسٌ إِنْ يَجْعُ خَاطِرِي إِلَيْكَ وَيَأْسَى^(٣)

(١) السابق، ص: ٨٩.

(٢) الأمس الضائع، ص: ١٠٥.

(٣) سوزان، حسن عبد الله القرشي، دار القرشي للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م، ص: ٤٥.

فهو يجعل الحياة بائسة، ويدبُّ في روحه اليأس والملل، حيث إنّ اللوعة والأسى تطفوان، ويظهر الألم والضنى، نتيجة لما حدث من هجران .
ويستهل القرشي مطلع قصيدته الموسومة بـ: "عاشق المجهول" بإظهار ألمه وتعبه:

الشَّوْقُ لِلْمَجْهُولِ يَقْتُلُنِي وَلَكُمْ أَحْسُ بِهِ ضَنَا الْبَدَنِ^(١)

فالألم متشبثٌ بالشاعر، أنهك بدنه، وأتعب مشاعره وأحاسيسه.

٥. الألم في عتبة الخواتيم:

تأتي الخاتمة في العمل الأدبي وخاصةً الشعري منه لتشير إلى النهاية الأليمة أو السعيدة، حيث إنّ لكلِّ نصٍّ مكتوب نهاية يتوقّف عندها الشاعر، ويختتم بها كلامه. والخاتمة "وسيلة فنية وبلاغية وفكرية تولّد في القارئ الإحساس ببلوغ الغاية"^(٢)، وهي آخر ما يرسخ في ذهن القارئ من القصيدة بعد انتهائه من قراءتها، وقد تكون مرتبطة في المطلع بالمعنى، بل إنّ بعض الشعراء يعيد المطلع ذاته. وقد جاءت بعض الخواتيم عند القرشي حزينة، تحكي همومه وأشجانه وآلامه، ومن ذلك:

فَابْعِدِي إِنْ شِئْتِ عَنِّي فَأَنَا طَيْفٌ غَرِيبٌ^(٣)

وترتبط هذه الخاتمة الحزينة بمطلع القصيدة في المعنى:

وَأَخِيرًا عُدْتُ لِي عُدْتُ لِمَاضِيكِ الْكَئِيبِ^(٤)

(١) زحام الأشواق، ص: ١٤٠.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، ص: ٨٥.

(٣) الأمس الضائع، ص: ٧٥.

(٤) السابق، ص: ٧٤.

كما أنَّ المطلع والخاتمة يرتبطان بعنوان القصيدة الموسومة بـ: "وأخيراً"، ولذا نرى تسلسل عتبات القصيدة، وترباطها مع بعض، فهناك انتظار في عنوان القصيدة، وعودة للمحبوبة في المطلع، وطرد وطلب بُعْد في الخاتمة، وجميع عتبات القصيدة تشي بالألم والشكوى وعدم الرضا عن الحال والمآل.

ومن ألم القرشي في خواتيم قصائده التي ربطها بالمطلع وكرّره لفظاً ومعنى قوله:

لَا تَسْأَلُوا لِمَ عُدْتُ قَرْدًا فِي الْوَرَى إِنِّي سَكَيْتُ مِنَ الْأَنَامِ خِدَاعًا^(١)

يبين الشاعر ألمه وشكواه من الأصدقاء، وتبرّمه من خداعهم، ويختتم قصيدته بالحنن الأليم على واقع الأخوة والعلاقات بين الناس، ويعزّز هذه الخاتمة الحزينة بما بدأه في مطلع قصيدته، حيث جاءت الخاتمة مكرّرة الشطر الأول من المطلع:

إِنِّي سَكَيْتُ مِنَ الْأَنَامِ خِدَاعًا وَرَجَعْتُ مَكْلُومَ الْحَشَا مُلْتَاعًا^(٢)

فحياة الشاعر مع نوع من الأصدقاء سأمٌ ومللٌ وخداع، ولذلك فضّل الوحدة على مصاحبتهم.

ومن الألم في الخاتمة عند القرشي تفكيره بمصير الإنسان في هذه الدنيا، وما اقتطفه من عملٍ، حيث الحساب والجزاء:

رَبِّاهُ إِنِّ مَصِيرِي فِي يَدَيْكَ فَلَا تَدْعُ زَمَامِي مَقْرُونًا بِأَوْزَارِي^(٣)

فالشاعر قلقٌ حزينٌ من مصيره، وطامعٌ في رحمة ربه، يختتم قصيدته بهذا البيت الذي يظهر من خلاله نجواه لخالقه طالباً منه تطهيره من أدران الأوزار والمعاصي.

(١) الأمس الضائع، ص: ٩٠.

(٢) السابق، ص: ٨٩.

(٣) السابق، ص: ١٠٦.

ويتألم الشاعر في خواتيم قصائده بسبب ما أحدثته محبوبته فيه من شقاء
وضياع:

فَمَا أَنْتِ إِلَّا شَقَاءُ الْحَيَاةِ يَدِدُ أَحْلَامِي الضَّائِعَاتِ^(١)

وما أقسى ألم المحبوبة التي تعذب صاحبها، وتستلذ به.

وفي خاتمة قصيدة أخرى يقول:

شَهَقْتُ لَهُ الذِّكْرَى فَأَجْهَشَ بَاكِئاً لَا تتركِيهِ عَلَى شَفِيرِ حِمَامٍ!^(٢)

فالبكاء على أعتاب الذكرى مؤلم ومحزن، اكتوى بها الشاعر، فجرته الآهات إلى
عزفٍ ونزفٍ في الخاتمة.

ويختتم القرشي إحدى قصائده بالألم والحزن بسبب الغربة التي وجدها في حياته،
حيث تبرم من المجهول الذي ينتظره على عادة الشعراء الرومانسيين عندما يتحدثون
عن ذواتهم وحسراتهم وما ينتظرهم من أيامٍ قادمة، وما أحدثته الأيام الماضية فيهم
من محنٍ ورزايا:

حَتَّامَ أَحْيَا فِي سَعِيرِ أَسَى وَأَعِيشُ رَهْنَ مَقَابِرِ الْحَزَنِ؟^(٣)

فالقرشي يختم كثيراً من قصائده بالألم والحزن، ولذا فإن أثر الخاتمة باقٍ في ذهن
المتلقي، حيث إنها آخر ما يعلق بالذهن من القصيدة.

٦- الألم في عتبة الغلاف والرسومات:

يمثل الغلاف عتبة من العتبات، بل إنه العتبة الأولى وليس العنوان كما نجده في
بعض الدراسات، ولم يأخذ الغلاف حقَّه لدى دارسي الأدب بوجهٍ عام والشعر بوجهٍ

(١) بحيرة العطش، ص: ٤٦.

(٢) السابق، ص: ٧٣.

(٣) زحام الأشواق، ص: ١٤٠.

خاص، حيث إنه يشي بشيء مما في داخل الديوان، ويقوم بترجمة ما فيه فنياً وبصرياً لا لغوياً، مما يلزم الدارسين ضرورة التركيز على دراسة الفن التشكيلي الذي يرتبط بصورة الغلاف في الكتب الأدبية، حيث إن ذلك له صلة بالذوق، وممهّد للأديب لأن يرسم لوحاته الأدبية من خلالها^(١).

ويتكوّن الغلاف من جناحين يضمّان الكتاب، ويساهم في إضفاء قيمةٍ ما إلى ما في داخله من نصوص، ويشكّل إضافة لما تريد أن تقولهُ القصائد، ويمكن التفريق بين الجناحين، فالأول يحمل غلاف العنوان وبياناته، بالإضافة إلى ما يحمله من لوحة تحلّ معظم حيز الغلاف، أما الثاني فيأتي خالياً من أيّ إشارة، وأحياناً تكتب فيه سيرة المؤلف، وما صدر له من مؤلفات^(٢).

وفي الأغلفة التي توشّحت بها دواوين القرشي من الفن التشكيلي والرسومات ما يُعبّر بصرياً عما في داخل الديوان من معانٍ وأفكار، فغلاف ديوانه: "أطياف من رماد الغربة" تتجلّى فيه صورة هزيلة أضنى الألم صاحبها، وأنهكته جسدياً من خلال الصورة الرمزية للجسد الضعيف الذي بدت فيه العظام بارزة؛ بل إنّ اللباس لم يستر كامل جسده، فكانّ الغربة والحزن مرّقاً رداءه، ولم يستطع أن يواريه فظهر الصدر مكشوفاً، وكذا نجد اليدين والقدمين، مما جعل من الغلاف رسالة عابرة، وومضة سريعة، وعتبة أولى تحكي ما بداخل الديوان من معاناة شديدة، وظروف أليمة، حيث إنّ "الفنّ التشكيلي والشعر مظهران من مظاهر النشاط النفسي الإنساني، يصدران عن نفس الملكة الإدراكية، فهناك رابط وثيق بينهما، فالرسام والشاعر على درجة من التقارب

(١) انظر: عتبات النص في الرواية العربية: دراسة سيميولوجية سردية، ص: ٤٧١.

(٢) انظر: عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي)، فرج عبد الحسيب محمد مالكي، قدمت الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الآداب في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين)، إشراف د. عادل الأسطة، ٥١٤٢٤، ٢٠٠٣م، ص: ٤٨-٥٢.

والالتصاق، بحيث يتشابهان في كثير من الأشياء، من ناحية المجال النفسي الذي ينبعان منه ويؤثران من خلاله ... كما أنَّ هذين الفنانين يلتقيان في إعادة تشكيل الواقع من جديد ومحاولة تجاوزه، وفي تحسين المفهوم، ومحاولة تقديمه مشخّصاً، وفي تقديم النموذج الفني وتعميمه، ولكن كل بحسب مادته التي تشكّله^(١).

ومن صور الغلاف التي أوحّت بالألم في دواوين القرشي غلاف ديوانه: **"نداء الدماء"**، فصورة الرجل المصلوب على جذع شجرة خالية من الأوراق المظلة من وهج أشعة الشمس المحرقة فوق الجسد الهزيل، وتحتة صورة المخالب المتجذرة في عروق الشجرة صورة مؤلمة، تعكس واقع ما في نداء الدم، وما يعانيه القرشي من آلام وأحزان مبكية، ومن خلال هذا الغلاف نجد أنَّ "الرسم أصبح شعراً صامتاً"^(٢) للمتلقيين.

وغلاف ديوانه **"المشي على سطح الماء"** يعبر عن التيه والضياع، والإبحار في عالم المجهول، من خلال ما رسمه الفنان من صورة جسدٍ طائر، لم يستطع السباحة والوصول للهدف من خلال نصف الغلاف البحري، كما أنه لم يستطع إدراك عالم الخيال الذي وشّح به النصف الآخر من الغلاف بالسواد، مما يدلُّ على الضياع وعدم تحقيق الأهداف، بسبب ما أشار إليه الشاعر في الإهداء من كوابيس الضعف، وعدم وضوح الغايات، وفشل المساعي، وانغلاق المسالك الموصلة إلى برِّ الأمان.

أما **"زحام الأشواق"**، فإنَّ الغلاف تتزاحم فيه الحروف والكلمات والألوان والرسومات، وتتقاطع جميعها مع بعض، لتمثِّل صورة للزحام الذي يصيب العقل بالحيرة والضيق والألم، فلا يستطيع فكَّ لغزها، ولا حلَّ تشابكها وتقاطعها، فكأنَّ ذلك حال

(١) جمالية الصورة "في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر"، كلود عبيد، مجد المؤسسة الجامعية

للدراستات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص: ٩.

(٢) السابق، ص: ١١.

الشاعر وواقعه الخاص أو العام في مجتمعه العربي مما نجده في قصائد الديوان المشوبة بالألم والكدر.

وفي غلاف ديوانه: **"بحيرة العطش"** صورة امرأة، وكأنها تتمنّع عن الشاعر الحزين، وتغريه حيناً بنظراتها المؤلمة، ويعضدّ هذا الألم صوت البلبل التي تشدو في أعلى غصن الشجرة المنبثق من رأس المرأة، وكأنه يرمز بالبلبل إلى نفسه، لنعرف مدى سرّ خروج الغصن من رأس المرأة، فكأنه ساكن في عقلها لا ينفك تفكيره عنها، وكذا تفكيرها به.

كما أنّ غلاف ديوانه **"سوزان"** يرمز إلى الألم من خلال الصورة الرمزية لسوزان، وهي تصارع الأمواج ذات اللون المتوشّح بالسواد بوقفها الثابتة، فهناك ألم محبوبة، وفي الجانب الآخر ألم حبيب، فالتقى الألم الخارجي المتمثّل في سوزان من خلال غلاف الديوان بالألم الداخلي المتمثّل في ألم الشاعر من خلال ما بين دفتيّ الديوان في بقية العتبات المتمثلة في الإهداء والعنونة والمطالع والخواتيم، لتتحقّق رباطة الجأش بين المتحابين على الرغم مما يعتري الحياة من ظروف قاسية، وآلامٍ عصبية.

وهناك بعض الرسومات الموجودة داخل دواوين القرشي، وهي تعطي ملامح للألم الموجود في القصيدة التي تلحق بها هذه الرسومات، ومن ذلك رسمة الرجل الذي يسير تائهاً في الشارع لا دليل له إلا لهيب الشمس المحرقة فوق رأسه، وسهم اللوحة الإرشادية الموجودة في الشارع والمكتوب فيها (إلى ...؟^(١))، فهو يسير بألم، ويضع يده عند جبينه حسرة مما أصابه من سوء الحال والمآل.

وفي رسمة أخرى من الرسومات الداخلية، صورة الوجوه المختلفة التي تعبّر عن قصيدة "صحيفة الوجوه"، وكيف ينظر القارئ إلى مجموعة من الرسومات التشكيلية للوجوه المقنّعة التي تحكي الواقع، وتدل على الألم، كما صوّرها القرشي في قوله:

(١) انظر: الأمس الضائع، ص: ٦٠ و ٩٦.

كَمْ ذَا أَطَالَعُ فِي الْوَجُوهِ صَحِيفَةً تَجَلَّوْا خَنَا وَتَجَسَّمُوا أَوْجَاعًا^(١)

وبعد أن وقفنا على مواطن الألم ومواقفه في العتبات الشعرية عند القرشي، حان لنا أن نقف على أهم الأسباب التي صبغت شعر القرشي بالألم والحزن.

أسباب الألم وبواعثه:

هناك أسباب أثرت في حياة حسن بن عبد الله القرشي، وأخرجت منه شعراً مؤلماً. يصف فيه حاله ومشاعره، وما أصابه من أحزان وآلام. ومن هذه الأسباب ما يلي:

١. وفاة والده:

نشأ حسن القرشي في كنف والده، حيث اعتنى بتربيته وتعليمه فحفظ القرآن صغيراً. ووجد من الرعاية الأبوية الشيء الكثير، حيث إنه الابن الوحيد من الذكور، ولكن سرعان ما انتقل الأب الرحيم إلى ربه وهو في ريعان شبابه، وترك فتى يافعاً تشوبه أمارات النبوغ والنجابة، حيث شكّلت صدمة نفسية له، وأخرجت مريثة فيه على الرغم من تجربته الشعرية المحدودة، حيث قال:

كُؤُوسُ الْمَنَآيَا عَلَيْنَا تَدُورُ وَتُزْجِي بِنَا فِي مَهَاوِي الْقُبُورِ
تَوَلَّى نَبِيلُ السَّجَايَا وَخَلَّ لَفَ جُرْحًا بِأَعْمَاقِ رُوحِي كَبِيرُ
لِمَنْ تَتْرَكُ الْقَلْبَ؟ لِلْحَادِثَاتِ؟ لِدُنْيَا تَعِجُّ بِكُلِّ الشُّرُورِ
حَنَائِيكَ، لَا تَنَالُ مَيِّقَ فِيٍّ ذِمَاءً، فَقَدْ عَادَ قَلْبِي ضَرِيرُ^(٢)

وقد كُتبت هذه الأبيات في سنٍّ مبكرة، وفيها ملامح موهبة فذة قادمة، وهي "تفصح عن وقدة الإحساس بالحزن ... وقد عبّر القرشي في أبياته هذه عن أول تجربة

(١) السابق، ص: ٨٩، و ١٢٨.

(٢) تجربتي الشعرية، ص: ٦-٧.

خاضها في الحياة، وهي تجربة الموت التي فجّرت ينابيع شاعريته^(١)، كما "كان لهذه الصدمة أثر كبير في إنتاجه الأدبي نلمحه في نغمة الحزن والوحدة في شعره"^(٢)، فكان هذا الموت المفاجئ لوالده سبباً من الأسباب التي ألبست كثيراً من شعره لباس الألم والحزن، حيث إنها صدمة عاطفية أليمة يتأثر بها كل صغير فكيف إذا كان شاعراً مرهف الإحساس.

وقد أثر هذا اليتيم في التجربة الشعرية عند القرشي، حيث جاءت مشاعر الشفقة والحزن والألم على الأولاد اليتامى في قصائد عدّة^(٣)، يقول في قصيدته التي أسماها ب: "اليتيم":

كَمْ يُنَادِي: أَيُّ تَعَالٍ فَإِنِّي حِرْتُ فِي النَّاسِ لَا أَرَى غَيْرَ كَاشِرٍ
أَذْنِي الْبَاسِ يَا أَيُّ وَتَوَى الدَّاءِ عٌ يَجِسُّمِي، وَأَرْقَتْنِي الْمَاسِرُ
أَوْ يَحُلُّوْكَ الْمَنَامُ قَرِيراً وَمِهَادِي هُنَا مُدَى وَخَنَاجِرُ؟

إلى أن قال:

رَبِّ رَحْمَاكَ بِالْيَتِيمِ تَرَدَّى مَا لِيْضَعْفِ الْيَتِيمِ غَيْرُكَ نَاصِرُ
مَا لِيْجُرِحَ الْيَتِيمَ غَيْرُكَ مِنْ آ سٍ وَقَدْ رَنَحْنَهُ هُوجُ الْأَعَاصِرُ
أَدَهُ الثُّكْلُ قَاطِفٍ مِنْ لَوْعَةِ الْمَسْدِ كَيْنَ تَهْدَأُ بِهِ الشُّجُونُ الثَّوَانِرُ^(٤)

(١) حسن القرشي شاعر الجزيرة العربية، ص: ٢٨ - ٢٩.

(٢) الحركة الشعرية في السعودية حسن عبدالله القرشي حياته وأدبه، د. صلاح عدس، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص: ٨.

(٣) انظر: حسن عبدالله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، ص: ٢٠٩.

(٤) البسمات الملونة، ص: ١٤٧ - ١٤٩.

يتعاطف الشاعر مع فئة اليتامى، نتيجة لما مرّ به من آلامٍ اكتوى بها عندما فقد والده، فكانت تجربة شخصية مثيرة له، تحكي شجونه وأحزانه كلما رأى هذه الفئة، "وعلماء النفس يحدّثوننا أنّ الصبي الذي يصادف مشكلة يزيد بها على أقرانه يظلّ يتأملها في انفعال"^(١).

٢. فشله في حبّه الأول:

عاش الشاعر قصة حبٍّ مع ابنة الجيران التي كانت تكبره سنّاً، وقد كانت على قدرٍ كبيرٍ من الجمال، وبادلته الفتاة المشاعر نفسها، ولكن هذا الحب لم يعمر طويلاً حيث انتهى بزواج الفتاة، وقد تألم الشاعر كثيراً لهذا الحب الأفلاطوني الصغير^(٢)، "ولا شكّ أنّ ألمه الكثير الذي حدثنا عنه كان نتيجة لتلك البصمات القاسية التي تركتها تلك التجربة على وجدان الشاعر"^(٣).

وقد نظم القرشي عدّة قصائد تحكي شجونه وهمومه وآلامه، وهذا الحرمان قد أرهف أوتاره، وأثار لوعته، حيث إنّ (أنبغ ما في الحياة الألم) كما يقول شوقي^(٤)، "وكان لهذه الصدمة الثانية أثر في شيوخ نغمة الإحباط والقهر في شعره"^(٥)، كما نتج عن هذه المعاناة زهرات من الإبداع الشعري، يقول القرشي في ذلك: "وتألمت كثيراً، ولكنني سرعان ما شغفت بحبّ نظير له جديد، وتتابع عني ألوان من الحبّ الذي أفادني فنياً، وكان بداية لتدرج العاطفة، وشبوبيها عندي"^(٦)، ومن حصاه المؤلم في ذلك:

أَحْرَقْتُ فَجْرِي الطَّرُوبَ المَوْشَى لَفَحَاتٍ مِنْ قَسْوَةِ المَقْدُورِ

(١) القرشي شاعر الوجدان، ص: ١٧.

(٢) انظر: تجربتي الشعرية، ص: ٧.

(٣) القرشي شاعر الوجدان، ص: ٢٠.

(٤) انظر: حسن القرشي شاعر الجزيرة العربية، ص: ٢٩.

(٥) الحركة الشعرية في السعودية حسن عبد الله القرشي حياته وأدبه، ص: ٨.

(٦) تجربتي الشعرية، ص: ٨.

فَحَصَادِي الْأَيْنِ مِنْ دَهْرِي الْجَا سِي، وَتَجَوَايَ لَوُعَتِي وَزَفِيرِي
وَنَثَارَاتُ غَابِرِ يَتَهَادَى مِثْلَ شَيْخٍ يَدْبُ فَوْقَ الصُّحُورِ
أَيُّ مَاضٍ نَسَجَتْ مِنْهُ أُمَانِي وَرَوَيْتَهُ بَقَايَا شُعُورِي^(١)

يقول الدكتور ياسين الأيوبي معلقاً على هذه الأبيات: "واضح أن الشاعر قد اتخذ من فشل حبه الأول أول خطوط الشعار، فرأى قسوة الظروف، تلاه الأين الذي أضى محصول عمره الموصول، الذي هيمن عليه الشعور بالعجز والشيخوخة قبل الأوان"^(٢).

٣. الغربة النفسية:

تشكّل الحالة النفسية لدى الشعراء همّاً يراودهم بين الفينة والأخرى، إذ يجد الشاعر نفسه غريباً في مجتمعه على الرغم من وجوده بين أهله وأصحابه، ومردّد ذلك طبيعة الشعراء وحساسيتهم المرفهة من أدنى الأمور.

وأقصد بالغربة ما يصوّره الشعراء من وحدتهم، وعزلتهم، حيث إنهم أصبحوا وحيدين يكتنفهم الحزن والألم، فهي عبارة عن "الإحساس بالوحدة، وشعور بانقطاع الإنسان عن الأشياء والأشخاص الذين يحيطون به، وشعور بالسأم والوحشة بين الأهل والناس وأبناء المجتمع دون أن يكون هناك أنيس أو قريب، وعدم الشعور بالتعاطف أو بالبهجة شعوراً صادقاً من أعماق النفس، بسبب العوامل النفسية الداخلية"^(٣).

وحسن القرشي أحد الشعراء الذين تحدّثوا عن غربتهم النفسية، ففي قصيدته الموسومة بـ: "غربة" ألم المغترب، المنعزل عن مجتمعه، الذي يطويه همّ، ويحيا حياة الأسير السجين:

(١) الأمس الضائع، ص: ١٧-١٨.

(٢) حسن عبدالله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، ص: ١٠٢.

(٣) الاغتراب والحنين بين شعر المشاركة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، مها بنت عبدالله الزهراني، نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ١٧.

عدتُ وَحْدِي أَعِيشُ فَوْقَ الْبَرَائِكِ
السُّفُوحُ الْخَضْرَاءُ ضَاعَتْ رُؤَاهَا
عدتُ وَحْدِي فِي قَبْضَةِ الْعَدَمِ الْمُرْ
غَارِقَا فِي مَتَاهَةٍ مِنْ شُجُونِي
فَحَصَادِي الْأَنِينِ مِنْ دَهْرِي الْجَا
سِنِ وَأَحْيَاهُنَّ حَيَاةَ الْأَسِيرِ
فَأَنَارَهُنَّ مَهْمَمِهِ وَهَجِيرِ
رَوْفِي مَجْثَمِ الظَّلَامِ الْكُفُورِ
ضَارِباً فِي دُجَى حَيَاتِي الضَّرِيرِ
سَيِّ وَنَجْوَايَ لَوْعَتِي وَزَفِيرِي

* * *

عدتُ وَحْدِي، كَلًّا، فَهَذَا شَقَائِي
أَتَرَاهُ أَيْنَ يَمَّمُ خَطْوِي
لَيْسَ يَرِيحِي لِحَيْرَتِي وَاضْطِرَابِي
عَادَلِي الْفُ وَحْدَتِي وَاغْتِرَابِي
مُمَعِنَا فِي تَعَقُّبِي وَطِلَابِي
أُوِيرِي مُشْفِقًا عَلَى أَوْصَائِي^(١)

هذه آلام القرشي، يسوقها بأسلوب الشاعر الحزين الذي أعياه الأنين، وأتعبه الشقاء، وهذه حياة الغريب؛ إذ إنَّ الإنسان من طبعه أن يألف ويسعد بصنوه، وإذا فقدته أحسَّ بالغربة التي لا تتواءم مع ما فطره الله عليه من الألفة والسعادة والمحبة والتعايش مع الآخرين.

وقد يكون للأدب المهجري أثرٌ في شعر القرشي من خلال اطلاعه عليه، وتكون هذه الغربة "لفظية أكثر منها فعلية، والهموم مكتسبة اكتساباً وليست متأصلة في حياة الشاعر"^(٢)؛

غَرِيَّةٌ رُوحِي بِهَذَا الْوَرَى
غَرِيَّةٌ غُرْبَةً إِنْ حُسَّاسِي

(١) الأُمس الضائع، ص: ١٧.

(٢) حسن عبد الله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، ص: ٩٩.

ضَقْتُ بِدُنْيَايَ وَمَا تَحْتَوِي حَتَّى لَقَدْ ضَقْتُ بِأَنْفَاسِي^(١)

ولا شكَّ أنَّ هذه من مبالغات الشعراء التي يعبرون فيها عن آهاتهم وأحزانهم،
ولا كيف يضيق الشاعر من أنفاسه؟! ولكنها ضيق النفس المعنوية وليست الحسية.

والشاعر غريب الروح والمشاعر حتى وإن كانت هناك أرض تحويه وتؤويه:
هِيَ غُرْبَةٌ لِلرُّوحِ بَاقِيَةٌ يَعْنُو لَهَا مَتَشَرَّدُ الْوَسَنِ
عَقْلِي لَهُ وَطَنٌ يَعْرِشُ بِهِ وَعَوَاطِفِي تَحْيَا بِلَا وَطَنِ^(٢)

هذه آلامُ شاعرٍ أضناه الألم، وأتعبه الحزن، فصورَّ عواطفه ومشاعره تائهة بلا
مأوى، حيث إنَّ "الاغتراب في علم النفس متعلِّق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية
وعقلية وما يستشعر من غربة في العالم، وفتور وجفاء في علاقته بالآخرين"^(٣).
ويؤكدُ غربته النفسية، وضيقه من الأسى والضياع والألم:

كَمْ أَعْبُرُ الْمَاضِي فِي وَحْدَتِي فَلَا أَرَى غَيْرَ الْأَسَى وَالشَّتَاتِ^(٤)

ومن آلام الشاعر وأشجانه التي نقلها لنا قصيدته الموسومة بـ: "إلى أين" حيث

تتجلَّى غربته من خلال العنوان ، وكذلك ما صوّره من ألمٍ وملل، وأسى وشقاء:

إِلَى أَيُّنَ؟ إِنِّي مَلَأْتُ الْمَسِيرُ
قَفَّارٌ وَشَاوُكٌ ظَلْتُ الْعُبُورُ
وَهَذَا السُّهُوبُ وَتِلْكَ الصُّخُورُ
كَأَنِّي حَاحٍ وَلَحِيٍّ أَدُورُ^(٥)

(١) الأمس الضائع، ص: ٣٦.

(٢) زحام الأشواق، ص: ١٤٠.

(٣) الاغتراب سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨م، ص: ٣٥.

(٤) الأمس الضائع، ص: ٢٨.

(٥) السابق، ص: ٦٠.

فالألم بادٍ من خلال أبيات الشاعر التي يصف فيها حاله، حيث إننا "أمام تجربةٍ شعريةٍ متكاملةٍ تسبح في جوٍّ من الحيرة والضيق والسأم والملل "إلى أين" هذا الاستفهام الإنكاري ينفذ بنا مباشرة إلى أعماق التجربة الشعرية للشاعر"^(١). وتزداد غربة الشاعر، ويحسُّ أنه الوحيد المتألم، فهو يعيش في سأمٍ ومللٍ، وعزلةٍ ووحدَةٍ، وسيظلُّ خدين الألم، غريب النغم، رهين العذاب:

إِلَى أَيِّنَ أَحْسَسْتُ صَمْتَ اللَّحُودِ
وَأَدْرَكْتُ أَنِّي طَرِيدُ الْوُجُودِ
أَتَمَّةٌ فِي الْكَوْنِ مِثْلِي وَحِيدٌ؟
وَأَعَزُّ زَلُّ قَدْ أَثْقَلَتْهُ الْقِيُودُ
إِلَى أَيِّنَ؟ أَدْرَكْتُ مَعْنَى السَّأَمِ
وَسِرَّ الْعَذَابِ وَلَفْحَ الْعَدَمِ
فَأَيُّنْتُ أَنِّي حَلِيفُ الْآلَمِ
وَأَنِّي رَوْحٌ غَرِيبُ النِّغَمِ^(٢)

ويزداد القرشي ألماً عندما كرَّر المقطع الأول في نهاية القصيدة فكأنه القرار النفسي الأخير الذي لا ينفكُّ عنه، وهو الألم الذي حطَّ رحاله عنده، ولذا فإننا "نعيش من خلال تجربته الشعرية أعمق تجارب الألم الوجودي بأبعاده المأساوية المخيفة"^(٣):

إِلَى أَيِّنَ؟ إِنِّي مَلَأْتُ الْمَسِيرَ؟

(١) القرشي شاعر الوجدان، ص: ٧٦.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٦٢ - ٦٣.

(٣) القرشي شاعر الوجدان، ص: ٧٩.

قَفَّارٌ وَشَاوُكٌ ظَلَّتْ الْعُبُورُ
وَهَـذِي السُّهُوبُ وَتِلْكَ الصُّحُورُ
كَأَنِّي حَـوَلَ حَيَّاتِي أُدُورُ...! ^(١)

ومن الألم عند القرشي نتيجة الغربة النفسية التي عانى منها:

أَوْ تَتْرُكُنِي؟

أَوْ تَتْرُكُنِي

أَنْسُ بِكِتَابِ وَحْدِي فِي الْحُجْرَةِ؟

أَسْمَعُ مُوسِيقَى "يَتَهَوَّفَنُ"؟

أُبْصِرُ فِي (التِّلْفِيزِيُونِ) رُؤَى بَلْهَاءُ

وَأَحَادِثُ فِي (الْهَاتِفِ) صَاحِبَتِي (نَجْلَاءُ)

وَأَعِيدُ أَكْرَرُ مَا أَفْعَلُ

كَالْقِطَّةِ فِي بَيْتٍ مَقْفَلُ

لَا يَا حَبِي ^(٢)

فالشاعر هنا "يوحي بنغمة الوحدة والملل من خلال صورٍ عصرية، وقاموس شعري جديد بألفاظه العصرية، كما أنَّ تركيب الجزئيات العادية من الحياة اليومية يعطينا صورةً كليَّةً للموقف، أو الجو النفسي" ^(٣).

٤. اليأس وفقدان الأمل:

(١) الأمس الضائع، ص: ٦٣.

(٢) زحام الأشواق، ص: ٧٣.

(٣) الحركة الشعرية في السعودية حسن عبد الله القرشي حياته وأدبه، ص: ٦٨.

ينتاب الشاعر إحساس بفقدان الأمل، واليأس من الحياة، وعدم التفاؤل بالمستقبل، نتيجة تعرضه لموقفٍ ما، أو شعوره بإحساسٍ غريب تجاه أمرٍ أصابه، أو ملامةٍ أحاطت به، فتتزاخم عليه الحياة، ويصوِّرها بصورة اليأس، وعدم الرضا عن واقعه المحيط به.

وقد يئس القرشي مما هو فيه، وأصابته المأساة من يومه، وفقد الأمل من غده:

يَوْمِي سَأَلْتُكَ عَنْ غَدِي وَالْيَأْسُ يُنْضِجُ فِي يَدِي
وَجَهَامَةُ الْمَاسَاةِ تَفْ جَوْنِي يَوْجُهُ مَرِيد
هَلْ فِيهِ صِدْقٌ لِلصَّدِي قِ فِيهِ زَهْرُ تَرْتُودِي؟
أَمْ أَنْ فِيهِ الشُّوْكَ يُنْ مِينِي وَيَأْوِي مَقْصَدِي
يَوْمِي أَجِبْنِي إِنَّنِي قَدْ عَفِيتُ كُلَّ تَجَلْدِ
وَلَقَدْ كَرِهْتَ تُرْنِحِي وَلَقَدْ سَأَيْمْتُ تَرْدِي
كَمْ هَزَّنِي لَفْحُ الشُّجُو نِ فَقُلْتُ مَرَحَى عَرْدِي
أَنَا لَمْ يَعْذِلِي مِنْ يَقِي نِ بَعْدُ حَتَّى فِي الْغَدِ^(١)

فالألم من فقدان الأمل، واليأس مما هو فيه أثار مكانم الوجع، وجعل النفس تسأم وتملّ، ولا ترى غير السواد أمامها دليلاً، ومعه جهامة الأسى يلوح في كل حين. ومن اليأس عند القرشي أن ما يلوح أمامه من أملٍ لا يتجاوز إلّا أن يكون سراباً خادعاً، فضاعت عنده الأمانى والأحلام:

كَلَّمَا شِئْتُ فِي حَيَاتِي تَبْعاً سَحَرَ النَّبْعُ فِي فَكَانَ سَرَابِي

(١) بحيرة العطش، ص: ٢١.

أَوْ تَنَوَّرْتُ فِي مَسِيرِي طَرِيقًا رَبَّضْتُ نَارَهُ عَلَى أَعْتَابِي^(١)

فالأمل بالمستقبل أصبح سراباً أمام الشاعر، وناراً يكتوي منه الألم في محطة حياته.

وقد وصل الشاعر إلى حدِّ اليأس، وفقدان الرجاء لدرجة أنه لا يدري إلى أين يسير، ولا إلى أيِّ مكانٍ يتجه، ولم يجد إلا الأسى والشقاء طريقاً يسلكه:

إِلَى أَيُّنَ؟ إِنِّي ذَرَعْتُ الْفَضَاءُ

فَلَمْ أَلْقَ غَيْرَ الْأَسَى وَالشَّقَاءِ

طَمَاحِي عَادَ وَتَوَلَّى وَأَنْطَوَاءُ

وَيَأْسِي قَدْ غَلَّ مِنِّْي الرَّجَاءُ^(٢)

ومن شدة اليأس عند الشاعر أنه أصبح يتبرّم من المشفقين عليه، ويضيق منهم، فكأنه أصبح متألماً من كلّ شيء، حتى ممن يتعاطف معه، ويرحم حاله:

بَرِمْتُ حَتَّى ضِيقْتُ بِالْمُشْفِقِينَ مَاقِيْمَةُ الرَّحْمَةِ لِلْيَاسِ

هَذَا كَيْانِي الْيَاسُ حَتَّى انْطَوَى فَمَا يُرَى مِنِّْي سِوَى بَاسِ^(٣)

والألم داء منهك، يسببه اليأس وفقدان الأمل:

كَمْ تَمْشَى بِنَا مَرَضُ الْحَقْدِ

أَنْهَكَنَا الْيَاسُ

أُزِرْتُ بِنَا ذِكْرِيَّاتُ الْمَسَاءِ

(١) الأمس الضائع، ص: ١٩.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٦١.

(٣) السابق، ص: ٣٧.

تَقَهَّقَرَتِ السُّحْبُ

وَأُنْسَحَقَتْ تَمْتَمَاتُ الْحَيْنِ^(١)

فهذا هو اليأس، وهذا هو فقدان الأمل الذي أدّى بالقرشي إلى الشعور بالآلام والتعب النفسي.

٥. الأصدقاء:

من طبيعة الإنسان أن يسعد مع بني جنسه، ويأنس بهم، ويألفهم ويألفونه، فكلمة الصداقة تحمل معنى التضامن والتلاحم والتكافل والتآزر والوقوف مع الصديق في السراء والضراء، "فالصحة والصداقة والمودة والأخوة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع، وركن شديد بها يمنع الضيم، وتنال الرغائب، وتنجح المقاصد"^(٢)، وتزداد هذه الأخوة متانة ومودة وترابطاً إذا كانت الصداقة في الله، والمحبة فيه، وقد جاء في الحديث الشريف: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى"^(٣).

ولكن التجارب اليومية مع الأصدقاء تحدث ردة فعل في بعض الأحيان، مما يجعل الأمور تنقلب رأساً على عقب، فتصيب الإنسان بالآلم والحزن، وقد سأم القرشي من الأصدقاء، فمنهم الكاذب، ومنهم المخادع:

إِنِّي سَأْنَمْتُ مِنَ الْأَنَامِ خِدَاعًا وَرَجَعْتُ مَكْلُومَ الْحَشَا مُلْتَاعًا

(١) أطياف من رماد الغربية، ص: ٢٥.

(٢) الصداقة والأصدقاء في الشعر العربي، محمد عبدالرحيم، دار الراية الجامعية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص: ١١.

(٣) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠ / ٨.

كَمْ ذَا أَطَالُ فِي الْوَجُوهِ صَحِيفَةً تَجَلَّوْا الْخَنَا وَتَجَسَّمُوا الْأَوْجَاعَا
كُلُّ يَبَادِلِكَ الْمَوَدَّةَ كَانِزًا فَإِذَا اخْتَبَرْتَ وَجَدْتَهُ خَدَاعَا
بُنِسْتُ خَلَائِقَ كَالسَّرَابِ خَوَادِعُ تُخْفِي الْأَذَى وَتَبْدِلُ الْأَوْضَاعَا^(١)

فقد أصبح القرشي يصارع الألم بسبب تصرفات بعض الأصدقاء، ولذا أصابه السأم منهم، ولا يكاد يجد صاحباً يرتاح إليه، وتطمئن نفسه له إلا وتبدو عليه أمارات الخداع، فخاب ظنه في كثير من أصحابه، فهم أشبه بالسراب الذي يرى من بعيد ماء، ثم لا يلبث أن ينجلي عن خواء، إذ إنهم يتلونون حسب مصالحهم الدنيوية، وفي الحقيقة أن "الإنسان يحار في ظاهرة تعرض الشرفاء لغدر وخيانة الأصدقاء، هل هو سوء الحظ أم البلاء؟ وهل الشريف يغري الصديق بخيائته بسبب شرف طبعه، ونبل نفسيته، وترفعه عن العقاب؟ أم أن الحسد يحرك ذيله في نفس الصديق الذي يبر بنفسه علو مكانة صديقه الشريف، فيغار ويحقد وينتقم"^(٢).

ومع الألم المحيط بالشاعر من بعض أصدقائه - كما يذكر - فإنه يعرف قيمة الأصدقاء في الحياة، وأهميتهم في الملمات، فهو حريص على اصطفتائهم، ولكن الأمل الذي يتجدد لا يلبث أن يختفي سريعاً مع خذلانهم له، ويبقى حينها هائماً في لجج الأسى متجرعاً منه ألواناً:

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَرَأَى صَدِيقُ لِي فِي ثِيَابِ الْحَمَلِ الْوَادِعِ
أَحْسَبُهُ الْفَرَحَةَ مِنْ بَعْدِ ضَيْقِ إِذَا بِهِ كَالْأَلَمِ الْقَارِعِ^(٣)

(١) الأمس الضائع، ص: ٨٩.

(٢) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص: ٨٢.

(٣) نداء الدماء، ص: ٥٥.

وفي موضع آخر يعلن تبرمه من أبناء زمانه، وعدم ارتياحه من تصرفاتهم:
وَضِقتُ بِأَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ كَوَاسِرَ كَالذِّبِّ وَالْعَاسِقِ! (١)

وقد تعجّب حسن القرشي من بعض أصدقائه، حيث إنهم كانوا مرتجى له، ولكنه تفاجأ بخذلانهم وأذاهم، وإصابته بالألم الشديد:

عَجِبْتُ أَنْ كَانَ الَّذِي أَرْتَجِي يَسْكُبُ فِي النَّفْسِ أَلِيمًا صَدَاهُ
فَمَنْ أَعَادِيهِ وَمَنْ أَجْتَوِي مَا هَوْلُ مَا يَغْمُرُنِي مِنْ أَذَاهُ؟ (٢)

فالشاعر يفتقد أهم الحاجات النفسية الضرورية لسعادته، وهي الإحساس بالطمأنينة والرضا عمن حوله من الأصحاب، فهو يتفاجأ بأن ألمه يزداد، بسبب ما يواجه من أفعال تؤذيه، وتجلب له الهم والحزن.

وقد بحث القرشي عن رفيق يواسيه ويسلّيه، ويخفف عنه آلام حياته، ولكنه لم يجد ذلك:

وَمَا مِنْ رَفِيقٍ وَمَا مِنْ خَلِيلٍ
يُشَارِكُنِي السَّيْرَ بَيْنَ الطُّلُولِ (٣)

إنها الحياة، وطبيعة الظروف النفسية التي يمرُّ بها الإنسان، فما إن تضيق نفسه من موقف، أو يمرُّ به عارض إلّا ويتبرم من حياته، ويضيق من أصدقائه، لأنهم لم يقفوا معه، ويخففوا مصابه وآلامه.

٦. المرأة:

(١) مواكب الذكريات، ص: ١٧.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٣٦.

(٣) السابق، ص: ٦١.

تشكّل ظاهرة حبّ المرأة ألماً كبيراً عند الشعراء، حيث تناولوها كثيراً، ويظهر الانشغال بالحبّ من خلال غزارة الأسماء التي وسّم بها الشعراء ما عانوه من المرأة، فأسموه بالحبّ، والهوى، والصبا، والعشق، والشّجن، والوصب، والحزن، والكمد، والحرق، والسهد، والأرق، والحنين، واللوعة، والغرام، والهيام، والوله، وغير ذلك من المسمّيات العديدة التي جاءت على ألسنة الشعراء^(١).

ومن طبيعة الرجل الميول إلى المرأة، لوجود عاطفة الحبّ الإنساني الخالدة بجميع أحاسيسها ومشاعرها، فالرجل والمرأة يشكّلان قضية الاستمرار الإنساني في الوجود، وهما باب من أبواب التواصل الشعوري من خلال نوافذ الحبّ، والعاطفة، والرحمة، والحنان.

”وقد أحبّ القرشي كثيراً، وشغف بالمرأة، وقاسى في سبيل الوصول إليها والارتواء من معين جمالها الهادر في كيانه وضميره“^(٢)، وقد وصل شغف الشاعر بالمرأة وحبها إلى الاصطلاء بعذابها، والاكتواء بنيران لوعتها، فهو حبّ صادق يستعذب ألم الحرمان، وحرقة الشوق، ويتسامى فيه عشق الروح على عشق الجسد:

أَقَمْتُ لِحَبِّكَ مِحْرَابَهُ	وَلَمْ أُخْشَ فِي الْحُبِّ بَطْشَ الْوَعِيدِ
تَعَالَيْ هُنَا زَفَرَاتُ الشَّجِيِّ	هُنَا لَفَحَاتُ الْمُعْنَى الْعَمِيدِ
أَحْمَرَاءُ يَأْتُونَ فِي الصُّدُورِ	تَلْظَى، وَيَا شُعْلَةً فِي الْوَرِيدِ
تَعَالَيْ هُنَا ظَمَأُ عَارِمٍ	إِلَى مَنْهَلٍ مِنْكَ عَذْبِ الْوُرُودِ

(١) انظر: ظاهرة الحب في الفكر العربي الإسلامي: نماذج مختارة، منصف شعرانة، مركز النشر الجامعي،

تونس، ٢٠٠٢م، ص: ١١.

(٢) حسن عبد الله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، ص: ٤٣.

وَلَا تَتْرُكْنِي أَجُوبُ الظَّلَامَ وَأَقْضِي حَيَاتِي رَهَيْنَ الْحَدِيدِ^(١)

ويزداد الألم عند القرشي في حال صمود المرأة، وفي حال الهجر والبعد:

أَرْهَقْتَنِي بِالصِّدِّ زَادَ الْأَسَى وَزَادَ فِي صَدْرِي لَهَيْبُ الظَّمَا^(٢)

فهذه آلام الشعراء التي يقاسونها والحرقة التي تعتمل في قلوبهم بسبب الهجر والصد، حيث تضج أشعارهم بالقلق والألم واليأس والشكوى^(٣).

ولذا فإنَّ القرشي اكتوى بداء المرأة، وأصبح خدين عذابها، أسير أحزانه، لا تفارقه طيلة أيامه:

اتْرُكْنِي لَوْحَدَتِي لَاغْتِرَابِي لِعَذَابِي إِنِّي أَلْفَتُ عَذَابِي!

اتْرُكْنِي وَلَا تَبَالِي بِدَمْعِي إِنَّ فَيْضَ الدَّمُوعِ أَصْفَى شَرَابِي

اتْرُكْنِي وَلَا تَقُولِي كَيْبٌ خَيْرُ زَادِي تَوْجُعِي وَكُتَّابِي

فِيمَ تَرْتِينَ لِي وَقَدْ كُنْتَ يَأْسِي وَشَقَائِي وَكُنْتَ أَصْلَ مُصَابِي؟^(٤)

وقد سببت المرأة له الألم والحرمان والبؤس، وهي تصنع ذلك دون أن تشعر بما قدّمته من آلام وأهات للشاعر، جعلت حياته أحزاناً وآلاماً:

هَلْ تَحْسِبِينَ الْحُبَّ إِلَهِيَّةً أَهْفُوَلَهَا مِنْ غَيْرِ وَجْدَانٍ؟

حَتَّى تُرِيقِي لِلْأَسَى أَمَلِي وَتَرَوِّعِي مِنْ قَلْبِي الْحَانِي

(١) مواكب الزكريات، ص: ١٦.

(٢) ألحان منتحرة، ص: ٥٥.

(٣) انظر: الجواهر في المرأة والحب والغزل، عبد الفتاح محمد الدراويش، الأهلية للنشر والتوزيع، ط. الأولى،

٢٠٠٦م، ص: ٨.

(٤) ألحان منتحرة، ص: ٨٠-٨١.

أَنَا (حَبِيبَةٌ) شَاعِرٌ وَلَهُ قَدْ صِغَ مِنْ شَغَفٍ وَتَحَنَانٍ
تَبَعُ مِنَ الْآهَاتِ مُضْطَرِمٌ وَنَشِيدُ أَفْرَاحٍ وَأَحْزَانٍ
يُنْكِي لِغَيْرِ جَوَى فَكَيْفَ بِهِ إِنَّ غَالَهُ غَدْرُ الْهَوَى الْجَانِي
لَنْ تُذْرِكِي مِنْ قِصَّتِي وَطَرًّا حَتَّى تَذُوقِي بُؤْسَ حِرْمَانِي^(١)

ولكن المرأة لم تسبب للشاعر إلا الدمار والهلاك، والأسى والحسرة، والعيش بهمٍّ ونكد:

أَوَأَنْتِ الَّتِي نَسَجْتِ هَوَاهَا مِنْ حَبِيبِي وَفَرَحَتِي وَأَنْهَارِي؟
تَزْرَعِينَ الْأَشْوَاكَ فِي رُوحِي الْحَيِّ رَى وَتَمْضِينَ بِي لِغَيْرِ قَرَارِ
فَإِذَا بِالْهَوَى الْجَمِيلِ سَرَابٌ وَإِذَا بِي أَسِيرُ رَهْنٍ قِفَارِ
مُثْقَلِ الْخَطْوِ مُتَعَبِ الطَّرْفِ لَهْفًا نَ وَحِيدًا مُضْطَّعِ الْأَوْطَارِ
أُسْتَعِيدُ الْمَاضِي وَلَنْ يُرْجَعَ الْمَا ضِي لِقَلْبِي غَيْرَ الْأَسَى وَالْدَّمَارِ^(٢)

هذه هي "تجارب الحب" التي تركت بصماتها الواضحة في تاريخ الأدب كانت دائماً تتسم بالشقاء والتعاسة والبؤس، وشدة الوجد، وغلبة الحزن، وكثرة الدموع والعاشق مولع بكل ذلك، وما يدور في فلكه، ومستريح له^(٣).

ويؤمل الشاعر كثيراً في بعض من أحب من النساء، ولكن الأيام تمر، وينكشف المستور، ويبقى وحيداً يصارع الحرمان، وتلعب بعاطفته الذكريات:

(١) زحام الأشواق، ص: ٨٦ - ٨٧.

(٢) ألحان منتحرة، ص: ٦٦ - ٦٧.

(٣) ثلاثية الحب والحرب والموت في مسيرة الأدب الجاهلي، أ.د. رفعت التهامي محمد عبدالب، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص: ١٩٦.

أَعْبُرُ الْأَيَّامَ وَخُدِي فِي صَحَارِي مُوَحِشَاتِ
ضَيَّعْتُ رُوحِي مَنْ كَانَتْ لِرُوحِي خَفَقَاتِي
فَعَدَا الْقَلْبُ حُطَاماً مِنْ أُنِينِ الذِّكْرِيَّاتِ^(١)

والمرأة عند القرشي أنهكت قواه، ولم يعد يرتوي من حياته، فهو في ألمٍ مستمر:

عَلَى جَنَاحِ مَوْجَةٍ مِنَ الشَّغَفِ
تَقُولُ لَمَّا أُرْتَوِي

أَنَا شَهِيدَةُ الْقُرُونِ يَا مُعَذِّبَ الْجَبِينِ
وَهَلْ أَنَا أُرْتَوَيْتُ يَا حَبِيبَتِي؟

سَلِي اشْتَعَالَ النَّارُ فِي حَقِيبَتِي

الْحُبُّ يَا صَغِيرَتِي

بُحِيرَةٌ مِنَ الظَّمَا

وَكَيْفَ يَرْتَوِي الظَّمَا مِنْ بُحِيرَةِ الْعَطَشِ؟^(٢)

فالشاعر لم يرتو طول حياته؛ لأنَّ منهله ومورده بحيرة العطش؛ والري في نظر القرشي هو الحب وامتلاك المحبوب، ولكن حبه تحول إلى بحيرة من الظما، وهي لا تفيد حبيباً، ولا تشفي غليلاً.

ومن الألم الذي عانى منه الشاعر ما حدث له مع المرأة الحسناء في الطائرة، حيث دار بينهما حوار، وأحبها حباً شديداً، وما لبث أن ودعته بعد هبوط الطائرة، وكان المؤمل كبيراً، ولكنها قصة انتهت بالمأساة والألم والحسرة:

وَلَجَّاتُ لِلصَّمْتِ الْعَمِيقِ

(١) بحيرة العطش، ص: ٨٤.

(٢) السابق، ص: ٧٩ - ٨٠.

وَيَخَافِقِي يَطْفُو حَرِيقُ
وَفَتَحْتُ ثَمَّ حَقِيئَتِي السَّوْدَاءَ أَعْبْتُ فِي شُرُودُ
يَلْهُوِيَّ الْحُلْمُ الْبَدِيدُ^(١)

إنها رؤى شاعر حزينة، وما أعمق الألم الإنساني الذي تثيره تلك العبارات "أعبت في شُرود"، فهو يعبت في ماضيه، ويفكر في حياته وما استودع فيها من أسرار تحمل الذكريات، وما أصابه من تعب، وأي حقيبة يعبت بها؟ إنها حقيبة سوداء، كناية عن الحزن والألم، "ثم تأمل هذه الكلمات الأربع التي يطلقها الشاعر كالقذائف المدمرة: يلهو بي الحلم البديد، إنها صورة عاتية الضراوة والقسوة، فلم تعد التجربة مجرد حسناء تلهو به في الطائرة، بل تحول الشاعر في التجربة إلى شيء... شيء يلهو به الأمل المبدد... وتفجر هذه الكلمات صورة شيء مربوط في حبل يمسك بطرفه عملاق أسود، ويطوحه بعنف وضراوة في الهواء - الحلم المبدد - وبديد هذه تشع كل هذه الصورة - الحلم البديد - يلهو بالشاعر ويطوح به في الهواء، إنها لحظات من الهول والحزن والألم تجيء في نهاية تلك الرحلة الرشيقة، واللقاء العابر بين شاعر وحسناء أحببت أن تعابته"^(٢).

وفي حب آخر ينفجر الشاعر باكياً مما أصابه:

قَدْ كَرِهْتُ يَا هَذَا تَذَرِينِي مَا يَبِي؟
أَنْتِ حُلْمِي وَتَشِيدِي وَعَذَابِي
أَنْتِ أَسَى لِبُعْدِي وَاقْتِرَابِي
أَنْتِ أُنْكِسِي لِصَدِّ أَوْ غِيَابِي

(١) الأمس الضائع، ص: ١٣٢.

(٢) القرشي شاعر الوجدان، ص: ٨٨ - ٨٩.

إِنَّمَا آسَى وَأَبْكِي لِشَبَابِيْ

وَلَفَقْدَانِ نَعِيمٍ مُّسْتَطَابٍ^(١)

يفجّر هذا المقطع شحنات من الحزن، والنشيج المكتوم، والأنين المثقل بالألم، فقد أفسدت هذه المرأة عليه أيام شبابه، وأفقدت نعيم حياته المستطاب، بسبب صدودها وإعراضها عنه^(٢).

ومن خلال النماذج السابقة ندرك أنّ القرشي تألم من المرأة، وشكى واشتكى، "ونادراً ما نجد في تجاربه الشعرية أوصافاً للجسد، أو مغامرات دونجوانية، وإنما نجد نغمة الإحباط والفشل"^(٣)، ويسوده الحزن، "وتتجلى في معانيه الأسى والحرمان، والظماً والتيه، والضياع والغربة، واليأس"^(٤).

٧. وفاة والدته:

للأمّ منزلة كبيرة عند أبنائها، فهي الحضن الدافئ، والملاذ الآمن، ومهما كبر الابن فإنه محتاج إلى عطفها وشفقتها، وقد فقدَ الشاعر والدته، فأصابه ألم اليتيم وحزنه:

هَـا نَحْنُ يَا أُمّاهُ أَيُّ	تَأمَّ بِمَا يَدَةُ الْخُطُوبِ!
حَطَّتْ بِكَ كَاهِهَا وَتَا	ءَ يَحْمِلُهَا صَبْرُ اللَّيْلِ
وَهَفَّتْ، فَأَنْحَبَسَ الْجَوَا	بُ وَكُنْتُ كَالسِّنِّ الْخَطِيبِ
أُمّاهُ، هَلْ تُصْغِينَ؟ مَا	عَوَّدَنِي صَمْتُ الْغَرِيبِ

(١) ألحان منتحرة، ص: ١٨-١٩.

(٢) انظر: القرشي شاعر الوجدان، ص: ١١٨.

(٣) الحركة الشعرية في السعودية حسن عبد الله القرشي حياته وأدبه، ص: ٩.

(٤) الألم في الشعر السعودي: دراسة موضوعية وفنية، ص: ١٤٢.

هَلْ تَسْمَعِينَ نَجَاءَ مَفٍّ — جُوعٌ بِمَحْبِسِهِ الْجَدِيدِ؟
يُنْكِي، يَنْثَنُّ، وَمَا تَعَوَّ

دَفِي الْأَسَى سَيْلَ النَّحِيبِ! (١)

إنه ألم الابن المكلوم الذي فقد والدته، وليس هناك ما يعوضه إلا الدموع والآهات.

٨. الليل والظلام:

يشكّل الليل مدلولاً واسع الإيحاءات والرموز، وذلك فيما يسيّبه من ألمٍ بظلامه المخيف، وأصواته الموحشة، فالليل مأوى وسكن، والنهار كسبٌ ومعيشة، ولذا فإنّ الشعراء وصفوا ليلهم المؤلم، وظلامه الدامس، وتجربة القرشي مع الليل عميقة استغرقت جزءاً من خطابه في الألم والحزن، وهذا الليل مخيفٌ للشاعر بظلامه وأشباحه، فهو ليل الخوف والرغبة والأحلام الضائعة:

أَسْجُومَعُ اللَّيْلَ فِي دُنْيَا رَغَادَتِهِ — فَيُفَعِّمُ اللَّيْلُ بِالْأَنْعَامِ أَسْحَارِي
وَاللَّيْلُ دُنْيَا مِنَ الْأَحْلَامِ طَافِحَةً — لِمَنْ يَعِيشُ مِنَ الْبُلُوَى عَلَى نَارِ (٢)

فالحزن مقيم، وبصيص الأمل غير موجود، والأحلام ليس لها موعدٌ آتٍ، وإنما هي طيفٌ يأتي ليلاً، سرعان ما يزول بانبلاج الصباح.

والليل بعتمته همٌّ يطارد الشاعر، وأشباح تخيفه، وليس له حيلة في مقاومة سلطته

الطاغية:

هَوِّمْتُ أَسْبَحُ فِي الظَّلَامِ لَعَلَّنِي — أَجِدُ الظَّلَامَ مُوَسِّياً لِحِرَاحِي؟
فَإِذَا الظَّلَامُ يَكَادُ يَخْنُقُ خَاطِرِي — وَأَحْسُ مِنْهُ كَمَبْضَعِ الْجَرَّاحِ!
وَكَاثَفْتُ أَشْبَاحَهُ حَتَّى غَدَتْ — جَيْشاً يُصَارِعُ هِمَّتِي وَطِمَاحِي! (٣)

(١) نداء الدماء، ص: ٥٩ - ٦٠.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٣١.

إنَّ صوت الألم يطالعنا من وراء هذه الأبيات عندما مدَّ الليل جناحه، وجثم فوق الشاعر بظلامه الدامس، فهو ليل الخوف والوحشة والظلمة القاتمة الذي تطول ساعاته بالأرق والألم الذي لا ينفذ النور إليه، نظراً لما يعانيه الشاعر من هموم وأحزان ثقيلة، وهذا الليل بأشباحه، وظلامه المخيف يولد الرعب والخوف، وتزداد الآلام فيه^(١).

ويلاحق الألم الشاعر بسبب الليل المظلم، فيترأى له مثل الكابوس المخيف:

أَتَرَاهُ فِي الظَّلامِ كَكَاَبُو سِي يَشْنُ الوَغَى عَلَى أَغْصَايِي
مُؤْغِلًا فِي الْأَدَى مُطِيفًا بِحِسِّي زَمَجَرَاتِ الْأَسُودِ وَسُطَّ الْغَابِ^(٢)

وقد أصبح الليل مزعجاً للشاعر، مخيفاً له، متمادياً في غلظته، وخاصة على قلب شاعر رقيق، ليس له من يسليّه، أو يقف معيناً له:

إِلَى أَيْنَ؟ هَذِي أَقَاعِي الْخَرِيفِ
وَهَذَا فَحِيجُ الظَّلامِ الْمُخِيفِ
يُسْرِيْنِي صَاعِقَاكَ الْحُتُوفِ
أَمَّا تَمَرُّوْحٌ لِقَلْبِي الشَّفِيفِ؟^(٣)

٩. حال الأمة العربية والإسلامية:

تألم الشاعر كثيراً بسبب الأحداث التي أصابت الأمة العربية والإسلامية، فالكيان واحد، والجسد واحد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

(١) مواكب الذكريات، ص: ٤٢.

(٢) انظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، عالم المعرفة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ص: ١٦٤.

(٣) الأمس الضائع، ص: ١٩.

(٤) السابق، ص: ٦٢.

وقد تألم القرشي للزلزال الذي وقع في أغادير في الستينات، وآلمه ما أصاب إخوانه

هناك:

وَكَمْ مِنْ وَلِيدٍ عَلَى الْإِدِ يَنَادِي وَقَدْ صَعَّقَتْهُ الشُّرُورُ
وَكَمْ مُطْفِلٍ شَاهَدَتْ طِفْلَهَا وَقَدْ حَلَّ فِي جَدَثٍ مِنْ صُخُورٍ
وَكَمْ تَاكِيلٍ رَنَحَتْهُ الْجِرَاحُ يَصِيحُ وَلَا مَنْ يُجِيبُ الْكَاسِيرُ
حَنَاتِيكَ رَبَّاهُ أَنْتَ الَّذِي تَرُدُّ الْأَذَى وَتُوَاسِي الْفَقِيرُ^(١)

فالشاعر في رسالته الاجتماعية والإنسانية يألم عندما يسمع أو يشاهد صوراً وأحداثاً مؤلمة، فيشارك بكلماته في وصف ما حدث، وخاصة إذا كان المصاب طفلاً أو امرأة ممن يستندون الرحمة والشفقة.

ويتألم القرشي من الأوضاع العربية والإسلامية، والشتات المؤلم، وعدم اتحاد الدول في صف واحد:

أَرْهَقْتَنَا الْهُمُومُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ فَكُنَّا مِنْهَا عَلَى مِيعَادٍ^(٢)

وتألم الشاعر كثيراً لحال إخواننا في فلسطين، وما يكابدونه من ظلم العدو، فنزفَ قلمه قصائد عدّة، يشكي فيها الحال، والضعف والهوان، ويطلب بأخذ الثأر:

انْكُتُوا جُرْحِي
فَلَنْ يَلْتَامَ جُرْحِي
رَهْنٌ وَغَرْ وَدُمُوع
لَنْ يُطِيبَ الْجُرْحُ

(١) نداء الدماء، ص: ٣١.

(٢) المشي على سطح الماء، ص: ١٨.

لَنْ يُطْلَعَ فَجْرِي
دُونَ أَنْ أُدْرِكَ تَارِي
مِنْ عَدُوِّي
ذَلِكَ الْبَاغِي
الَّذِي أُرِثَ تَارِي
دُونَ أَنْ يَجْتَاكَ ذُلِّي
سَيْلَ نَصْرِي
بَعْدَ قَهْرِي^(١)

إنها آلام ومشاعر كثير من المسلمين التي يعبرون فيها عن ضعف الحال، والحسرة على واقعهم المرير، وخاصة ما يكابده إخواننا في فلسطين من سلب ونهب وقتل وتشريد.

وسائل الهروب من الألم:

اتخذ القرشي بعضاً من الوسائل والنوافذ للهروب من الأسى والألم المحيط به، حيث إن ذلك يبعث راحة نفسية تؤدي به إلى الاطمئنان والهناء بالعيش والحياة، فالشعر وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها الشاعر في حياته للهروب من آلامه وأحزانه، ومن هذه الوسائل:

١. حب المرأة والتغزل بها:

يتلذذ الشعراء بالحديث عن النساء وملاطفتهن، وذكرهن على ألسنتهم، والافتتان بما حباهن الله من سحر وجمال، وتعد النساء من النوافذ التي يهرب إليها الشعراء من آلامهم وهمومهم، بحثاً عن الاطمئنان والراحة النفسية، فالمرأة مطلوبة

(١) نداء الدماء، ص: ٧٤ - ٧٥.

والشاعر خاضع لسلطان حبها، راغب في وصالها^(١)، والقرشي أحد الشعراء الذين شكّلت المرأة لهم نافذة واسعة يسلكونها، فيجدون فيها راحة وطمأنينة، وابتعاداً عن الهمّ والألم:

كَفَّفِي الهمَّ عَنْ شَفِيفِ السِّمَاتِ وَأَرِينِي تَلَالُؤَ الْبَسَمَاتِ
وَأَنِيلِي كَفْيَكِ قِيَارَةَ الْحُبِّ وَزُقِّي فَرَائِدَ النِّعَمَاتِ
أَنْتِ تَأْسَيْنَ مِنْ جَوَى وَبِقُلُوبِي ذَرَّةٌ تَسْتَفِزُهُ لِلْحَيَاةِ
كَفَّفِي الْيَأْسَ أَيُّ مَعْنَى لِيَأْسٍ بَدَّدَتْهُ نَوَافِحُ الْجَنَّاتِ
الصَّبَاحُ الْحَيِّبُ يُشَدُّو خُطَاَنَا وَالزَّمَانُ الْمُطِيفُ بِالذِّكْرِيَاتِ
وَالظَّلَالُ الرِّغَابُ تُرْعَى هَوَانَا بِأَكَالِيلِ عَذْبَةِ الزَّهْرَاتِ^(٢)

ويزول اليأس، ويذهب الحزن، وتتجدد الآمال عند ذكر النساء، والحديث عن لقائهن، والبحث عن الحب، ومعانقة اللذة:

فَأَنجَابَ مَوْجُ الْيَأْسِ عَنْ خَاطِرِي أَحِبُّ بِلُقْيَا الْحُبِّ مِنْ مَشْهَدِ
فَرَأَشَتِي أَنْتِ وَحُورِيَّتِي وَعِطْرُ مَاضِيٍّ وَسِحْرُ الْعَدِ^(٣)

والحديث عن النساء ضرب من الخيال أحياناً، ولكن الشعراء يجدون أنفسهم في ملذّةٍ ونعيمٍ عندما يتحدثون عن لقائهن وجمالهن الذي يجدونه فيهن دون غيرهن، وذلك من أجل خروجهم من دائرة السأم والملل الذي يحيط بهم إلى عالمٍ آخر مليء بالفرح والسعادة، ولذا يقول ابن حزم عن خصيصة استعذاب الآلام والدموع لدى

(١) انظر: ثلاثية الحب والحرب والموت في مسيرة الأدب الجاهلي، ص: ١٧٦.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٨٥-٨٧.

(٣) بحيرة العطش، ص: ٦٧.

العاشق: "والحبُّ أعزَّك الله داء عياء، وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقامٌ مستلذٌ وعلةٌ مشتهاة، لا يودُّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الإفاقة، يزيّن للمرء ما كان يأنف منه، ويسهّل عليه ما كان يصعب عنده"^(١).

ويسعد القرشي بالتغزل بالنساء وملاطفتهن، فهنَّ له بلسمٌ شافٍ، وطبيبٌ مداوٍ، فبذكرهنَّ يزول الألم، ويختفي الحزن والوجع:

وَفِي فِكَ خَمْرٌ تَرَشَّفْتُهَا فَكَأَنْتَ لِرُوحِي أَحْلَى الْغِنَاءِ
وَكَأَنْتَ لِقَلْبِي الْكَلِيمِ الْوَدِيعِ بَلَّاسِمَ تَزْجِي إِلَيْهِ الشِّفَاءُ^(٢)

ويؤكد القرشي سلوكه لهذا المنفذ الواسع للهروب من آلامه، فهو الداء المحبب له، والسعد الذي يأمله:

أَتَسْتَطِيبُ مُجَافَاتِي وَقَدْ عَلِمْتُ عَيْنَاكَ أَنَّكَ لِي كَالْبَلْسَمِ الْغَالِي؟
وَأَنَّكَ النُّورُ فِي عَيْنِي وَفِي ظُلْمِي وَأَنَّكَ السَّعْدُ فِي صَحْرَاءِ آمَالِي؟^(٣)

ولذا فإنَّ "الحبَّ يوفرُّ للمحبين سعادةً نادرةً، تقلِّل - عادةً - من تأثير الآلام التي يعانون منها أشدَّ المعاناة، وفي أغلب فصول الحب ومراحلها يرتبط الألم بمسرات العشق، وتبادل الهدايا، ولم تذكر كتب تاريخ الحب أنَّ العشاق ذمُّوا الهوى بسبب متاعبه وعذابه الكثيرة؛ بل وبالعكس ذلك هي زاخرة بقصص استقبال الألم والتشوق إليه إذا كان في ذلك ذكر للمحبوب، أو تقربٌ إليه"^(٤).

(١) طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مطبعة حجازي، القاهرة.

١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، ص: ١١.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٢١-٢٢.

(٣) مواكب الذكريات، ص: ١١٦.

(٤) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، ص: ١٣٤.

وهكذا نجد أنَّ جمال المرأة كان ولا يزال وسيبقى ملهم الشعراء ومهوى أفئدتهم وغذاء عيونهم فنراهم يقفون عند المرأة يصفون جسدها، ولا يكادون يتركون شيئاً فيها دون وصفٍ، إذ يتعرضون لجبينها وخديها وعنقها وصدرها وعينها وفمها، وقد يتعرضون لبعض مغامراتهم العاطفية معها^(١).

٢. الفأل والأمل؛

اتَّخذ القرشي الأمل والفال منفذاً للهرب من آلامه، وهذه هي الحياة يأسٌ وأمل، وعسرٌ بعده يسر، ولا بدَّ أن يتمسَّك الإنسان بخيوط الفجر المشرق، فالأيام تتغيَّر، والظروف تتحوَّل من حالٍ إلى حال:

أَيُّ فَجْرٍ مُرْقِرٍ فِي شُعُورِي أَيُّ سِحْرِ مُرْقِرٍ فِي ضَمِيرِي
شَاقِنِي وَالسَّنَا يُخْضِلُ جَفْنِي وَفِي الْقَلْبِ خَشْيَةٌ لِلْقَدِيرِ
وَيُرْوِحِي رَوَافِدُ الْأَمَلِ الضَّا حِي وَرُوحِي هَيْمَانَةٌ بِالْعَبِيرِ^(٢)

ونلاحظ أنَّ القرشي يلجأ في تجربته الشعرية إلى عبارات الفجر المرقق، والنور المشرق، وذلك من أجل النزوح بالنفس عن مواطن الحزن والألم إلى مواطن الفرح والسعادة.

وكثيراً ما تمسَّك حسن القرشي بالفجر المشرق بعد الظلام الدَّامس، ففيه آمال الابتسامات، والأفراح بعد الأحزان والآلام والآهات:

لَا تَهْرِقِي الْكَأْسَ فَالْأَفْرَاحُ تَقْتَرِبُ كَمْ عَادَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْإَيْنِ مُغْتَرِبُ
وَالصُّبْحُ بَعْدَ الدُّجَى كَمْ لَحَ طَالِعُهُ وَكَمْ تَبَسَّمَ تَغَرُّرٌ كَانَ يَنْتَجِبُ

(١) انظر: الجواهر في المرأة والحب والغزل، ص: ٧.

(٢) الأمس الضائع، ص: ١٠٠.

مَهْمَا شَقِينَا فَإِنَّ الْحُبَّ فِي دَمِنَا سَعَادَةٌ تَرْفُضُ الشُّكُورَى وَتَنْسَكِبُ^(١)

وَيَتَمَسَّكُ الشَّاعِرُ بِأَيِّ بَصِيصٍ لِلأَمَلِ، مِنْ خِلَالِ مَجِيءِ الصَّبَاحِ بِإِشْرَاقِهِ الْجَمِيلَةِ.
وَإِطْلَالَتِهِ الْبَهِيَّةِ:

حَسْبِيَ لَدَى الصُّبْحِ إِشْرَاقٌ يُهْدِدُنِي وَفِي الْمَسَاءِ مُحْيَا الْكَوْكَبِ السَّارِي^(٢)

فَهُوَ بِذَلِكَ يَدْرِكُ حُلَاوَةَ الْغَدِ، وَيَنْتَظِرُهُ بِأَمَلٍ، فِيهِهِ الْأُمْنِيَّاتُ تَقْتَرِبُ:
وَلَيْ فِي الْغَدِ الْمَأْمُولِ أَشْهُى عَلَالَةٍ وَتَجَوَّى الْمُنَى أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ وَالْمَنَى!

وَمَعَ عِبَثِ الظَّالِمِ، وَتَمَرُّقِ الشَّاعِرِ النَّفْسِيِّ، فَإِنَّ الْأَمَلَ يُضِيءُ نَفْسَ الْقَرَشِيِّ، وَيَبْرِقُ
بَيْنَ أَسْتَارِ الظَّلَامِ الَّتِي تَضِلُ فِيهَا أَحْلَامُهُ^(٣):

لَنْ يَعِيشَ الطُّغَاةُ فِي مَرَبِضِ الْأَسَدِ دِلَتَابِي حَتَّى ذَوَاتُ الْوَشَاحِ

لَنْ يَظْلُوا بِدَارِنَا عَزَّتِ الدَّاءُ رُعْلَى كُلِّ غَادِرٍ طَمَّاحٍ^(٤)

وَالنَّصْرُ آتٍ، وَالْأَسَى لَنْ يَسْتَمِرَّ، وَسَتَذْهَبُ الْأَلَامُ عَنْ قَرِيبٍ:
إِنْ تَكُنْ هَبَّتْ أَعَاصِيرُ الْأَسَى سَوْفَ تَلْوِي فِي سُرَى النَّصْرِ الرِّيحُ

لَنْ يَعِيشَ اللَّيْلُ فِي أَجْوَانِنَا مَا لِلَّيْلِ الْخَطْبُ فِي الْغَابِ جَنَاحٍ^(٥)

وَيَتَشَبَّثُ الشَّاعِرُ بِبَصِيصِ الْأَمَلِ، فَهُوَ بِأَمَلٍ بِأَيِّ مَنْفَذٍ يَلْجُ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ مِنَ الْأَلَمِ.
وَالِابْتِعَادِ عَنِ الْأَيْنِ وَالْوَحْدَةِ:

(١) زحام الأشواق، ص: ٤٩.

(٢) الأمس الضائع، ص: ٣١.

(٣) السابق، ص: ٩٧.

(٤) انظر: القرشي شاعر الوجدان، ص: ١٠٢.

(٥) فلسطين وكبرياء الجرح، ص: ٧٢-٧٣.

(٦) السابق، ص: ٥٣.

إِلَى أَيِّنَ؟ مَا تَمَّ لِي مِنْ مَقِيلٍ؟
وَمَا مِنْ رَفِيقٍ وَمَا مِنْ خَلِيلٍ
يُشَارِكُنِي السَّيْرَ بَيْنَ الطُّلُولِ
سِرْوَى أَمَلٍ مُهْطَعٍ لِلْأُفُولِ^(١)

فهذه القدرة التعبيرية "بين هذا الجو الحائر الضائع المتوحد بين الطلول يبرق فيه أمل ضئيل في الرجوع هو الذي يدفعه إلى المسير بعد أن تقطعت به رحلة الحياة ... إنه أمل مهطع للأفول، يا لله لذلك الأمل الخائف المذعور الذليل"^(٢).

ويعطي الشاعر حكمة في الفأل، وهي أن الغائب يعود، والحبیب العنید لا يدوم في عناده، فليس بعد العسر إلا اليسر، وليس بعد الهم إلا الفرج:

يَا زَمَانَ الرَّمَادِ مَهْمَا اسْتَبَدَّتْ صُورُ الْبَأْسِ، وَارِيَاتِ الزَّنَادِ
قَدْ يَعُودُ الْحَبِيبُ بَعْدَ عِنَادِ وَيَوْوَبُ الْغَرِيبُ بَعْدَ ابْتِعَادِ^(٣)

ولا غرابة في كثرة الفأل عند القرشي في شعره، ففي مقدمة ديوانه "البسمات الملونة" يقول: "ولئن غلبت على أكثر شعر هذا الديوان نزعة التفاؤل، والاستبشار، والمرح فذلك لأن النفس لا تطرب لغير الأمل، ولا ترتاح إلّا إليه"^(٤).

٣. اللجوء إلى الله:

يلجأ حسن القرشي إلى الله - سبحانه وتعالى - ليفرج عنه الهم والحزن، ويبعد عنه الألم، وهذا ديدن المؤمن قريباً إلى خالقه، يلجأ إليه فيجد الفرج عنده، يقول الحق في

(١) الأمس الضائع، ص: ٦١.

(٢) القرشي شاعر الوجدان، ص: ٧٨.

(٣) أطيايف من رماد الغربة، ص: ٥٤.

(٤) البسمات الملونة، المقدمة، ص: ١٨.

كتابه الكريم: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ النمل: ٦٢، ولذا فإن القرشي نادى خالقه

ليشرح صدره، ويبسر أمره، ويزيح عنه آلامه:

رَبِّاهُ مَا لِي أَمَلٌ يُرْتَجَى	غَيْرَ لِيَإِذِي بِكَ يَا مَوْطِلِي!
أَصْبَحَ صَدْرِي ضَيْقًا مُحَرَجًا	وَأَسْتَشْرِفَتْ رُوحِي إِلَى مَنْهَلٍ
فَمِنْكَ يَا رَبَّاهُ يُشْفَى الظَّمَا	لِلشَّارِدِ الصَّادِي إِلَى كَوْثَرٍ
جِئْتُكَ رَبِّي حَائِرًا مُسْلِمًا	رُوحِي إِلَى بَارِئِهَا الْأَكْبَرِ ^(١)

إنه الخيار الآمن للشاعر لزوال ألمه، وجلاء همِّه، ورجاء أمله.

ويستكين الشاعر لمولاه، فالهمُّ والألم قد أثقلاه:

فَأَقْبَلُ شَكَاتِي إِنَّنِي مُثْقَلٌ	إِنِّي غَرِيبٌ عِشْتُ بَيْنَ الْبَشَرِ
مُسْتَغْفِرًا جِئْتُكَ لَا أَحْمِلُ	إِلَّا إِلَى ذَاكَ رُوحِي الْأَشِرِ ^(٢)

ومنفذ الأمل بالله - سبحانه - كبير؛ لتبديل الحزن إلى سعادة، والآلام إلى أفراح.

فإليه الملجأ، وعليه التوكُّل:

وَمَا لِي الرَّحْمَةُ مِنْ سُوءٍ	مَا أَخْفَقَ الْقَاصِدُ مُحْرَابَهَا
شِعَارُهَا إِنَّقَادُ ذِي شِدَّةٍ	سَدَّتْ عَلَيْهِ النَّاسُ أَبْوَابَهَا ^(٣)

(١) نداء الدماء، ص: ٥٥ - ٥٦.

(٢) السابق، ص: ٥٦.

(٣) السابق، ص: ٥٦.

٤. الصبر:

الصبر خصلة حميدة، وسجية مرغوبة، وعاقبته جميلة، وآثاره حميدة، يعود على صاحبه بالفوائد الجمّة، فهو ينير الطريق له، ويأخذ بيده إلى أنجح المقاصد وأنجح السبل، وقد يكون الصبر على ما أمر الله به من الطاعات والعبادات، أو الصبر عما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، أو الصبر على المصائب والأحزان^(١).

ولذا فإنّ الصبر منفذٌ جميلٌ، وبابٌ واسعٌ للهروب من الآلام، والقضاء عليها، وتسليّة النفس بالفرج القريب، والتلذُّذ بتحمّل الصبر، وقضائه على كلّ حزنٍ وسوء، وما دامت النفس قانعةً بما لديها، صابرةً بما أصابها فهي في رضا وسعادة، وأنسى ودعة. وقد تحدّث القرشي عن نفسه في مقدمة ديوانه (البسمات الملونة) عن وسيلة الصبر، واتكأه عليها من أجل الهروب عن آلامه فيقول: "ولكنه يحاول وبكلّ ما أوتي من صبرٍ وصمود أن يتغلّب على هذه الشيوخوخة النفسية الضاغطة، وعلى جهام حياته وعبوسها مبادلاً تجهمها ابتساماً، وسخريتها استسلاماً، وعلقمها وصابها شهداً وترياقاً"^(٢).

ويلجأ القرشي إلى الصبر للتخفّف من آلامه، وتسليّة نفسه عن الحزن:

وَحِينَ دَنَا الْبَيْنُ الْمُسْتِ وَلَمْ تَزَلْ عَلَى شَفَتَيْنَا نَشْوَةٌ لِلْجَنَى الرَّطْبِ
بَسْمَنَا، وَقَدْ يُنْبِي عَنِ الْحُزْنِ مَبْسِمٌ وَفِي الصَّبْرِ خَصْبٌ كَمْ تَعَالَى عَلَى

إنّ الصبر يتحوّل إلى خصب، ويبعد المرء عن كلّ جذبٍ أصابه في حياته، ففي الصبر تسمو النفوس، وتزداد قوة وتحملاً.

(١) انظر: الصبر، د. صالح بن ناصر الخزيم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

ص: ١٤ - ٢٩.

(٢) البسمات الملونة، المقدمة، ص: ١٧.

(٣) بحيرة العطش، ص: ٦٣.

ومن الصبر الذي لجأ إليه الشاعر تجاه الألم الفلسطيني الذي أدمى قلوب الملايين من المسلمين، ويؤمل نفسه بالتئام الجرح قريباً:

قَدْ صَبَرْنَا كَيْ يَطْوِيَ الْبَغْيُ مَكْرًا أَوْلَتْنَايَ عَنْ غَيْهَا الظَّلَامُ
أَوْلِيَانِي عَنْ "هَيْئَةِ الْأُمَمِ" الْبُرُ ءُفَيْدُنَا مِنَ الْجِرَاحِ التِّئَامُ^(١)

ولكن هيئة الأمم لم تأتِ بعلاج للجرح العربي الإسلامي، ولم يتخذ المسلمون حلاً إلا الصبر على مأساتهم وانتظار الفرج من الله – سبحانه – وحده دون سواه.

* * *

(١) شاعر الجزيرة العربية، ص: ٥٩.

خاتمة البحث:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الألم في شعر حسن بن عبد الله القرشي، ومعرفة بواعثه والأسباب المؤدية له، ومحاولة الشاعر إيجاد نوافذ للهروب من آلامه والتسلية عنها، وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- يعدُّ الشاعر حسن بن عبد الله القرشي من الشعراء المكثرين للشكوى، وإظهار الألم والحزن في أشعارهم.

- تعددت مواضع الألم في شعر القرشي، حيث جاءت في جميع مواضع قصائده، وقد تركّزت الدراسة على إظهار مواطنها في العتبات، وذلك لأهميتها للمتلقي، فكان الألم في الغلاف، والعنوان، والإهداء، والمقدمة، والمطلع، والخاتمة.

- تنوّعت الأسباب المؤدية للألم في شعر القرشي، فكانت هناك ظروفٌ خاصة تتعلّق به شخصياً، ومنها: موت والده وهو صغير، وفشله في حبِّه الأول، والغربة النفسية والعزلة، واليأس وفقدان الأمل، وملله من بعض الأصدقاء وتلونهم في الحياة، وتلاعب المرأة بمشاعره وعواطفه، ووفاة والدته، ووحشة الليل والظلام، كما أنّ هناك ظروفًا عامة ومن أهمها: أوضاع الأمتين العربية والإسلامية مما يندى له الجبين، ويحزن عليه كل مسلمٍ غيور.

- بحث الشاعر عن وسائل للهروب من آلامه وأحزانه، وتتلخص في: حبِّ المرأة والتغلُّل بها، وتسلية النفس في الحديث عنها، وفي الصبر، والتفاؤل بغدٍ مشرقٍ في انجلاء الآلام وذهاب المواجه، وفي اللجوء إلى الخالق - سبحانه - ليزيح الهم، ويزيل الغم.

كما توصي الدراسة بما يلي:

- البحث عن مزيدٍ من الظواهر في شعر القرشي لدراستها، وتأسيس البحث فيها، والخوض في غمارها كالرمز، واستدعاء الشخصيات في شعره، وتوظيف الموروث، وظاهرة الحجاج، وفلسفة المكان عنده، وغير ذلك من الظواهر الفنية أو الموضوعية.

وأخيراً :

فإنني أحمد الله على ما تفضّل به وأنعم من تيسير في عملية البحث، والكشف عن الألم، ومواطنه في شعر حسن بن عبد الله القرشي، والأسباب المؤدية لشيوعه عنده، وأهم الوسائل التي سلكها للهروب من آلامه وأحزانه.

* * *

ثبت مصادر البحث ومراجعته:

١. القرآن الكريم .

الكتب المطبوعة:

٢. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، عالم المعرفة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٣. أطيار من رماد الغربة، حسن عبد الله القرشي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٤. الاغتراب سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨م.
٥. الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٦. الاغتراب والحنين بين شعر المشاركة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، مها بنت عبد الله الزهراني، نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٧. ألحان منتحرة، حسن عبد الله القرشي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.
٨. الأمس الضائع، حسن عبد الله القرشي، دار المعارف بمصر، ١٩٥٧م.
٩. إهداءات الكتب، حمدي عبد العليم البدوي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٠. إهداءات الكتب، محمد عبدالرزاق القشعمي، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
١١. بحيرة العطش، حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
١٢. البسمات الملونة، حسن عبد الله القرشي، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.
١٣. تجربتي الشعرية، حسن عبد الله القرشي، دار القرشي للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م.
١٤. ثلاثية الحب والحرب والموت في مسيرة الأدب الجاهلي، أ.د. رفعت التهامي محمد عبد البر، مكتبة الرشيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٥. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٦. جمالية الصورة "في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر"، كلود عبيد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٣٢هـ ٢٠١١م.
١٧. الجواهر في المرأة والحب والغزل، عبدالفتاح محمد الدراويش، الأهلية للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ٢٠٠٦م.
١٨. الحركة الشعرية في السعودية: حسن عبدالله القرشي حياته وأدبه، د. صلاح عدس، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
١٩. حسن القرشي شاعر الجزيرة العربية، د. حسن فتح الباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٠. حسن عبدالله القرشي في مسار الشعر السعودي الحديث، د. ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٢١. ديوان حسن عبدالله القرشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
٢٢. زحام الأشواق، حسن عبدالله القرشي، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
٢٣. سوزان، حسن عبدالله القرشي، دار القرشي للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م.
٢٤. الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
٢٥. الصبر، د. صالح بن ناصر الخزيم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٢٦. الصداقة والأصدقاء في الشعر العربي، محمد عبدالرحيم، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٢٧. طوق الحمامة في الألفه والألاف، ابن حزم، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مطبعة حجارى، القاهرة، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٢٨. ظاهرة الحب في الفكر العربي الإسلامي، منصف شعرانة، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٢م.

٢٩. عتبات النص في الرواية العربية: دراسة سيميولوجية سردية، د. عزوز علي إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.
٣٠. عندما تحترق القناديل، حسن عبدالله القرشي، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.
٣١. العنوان في الرواية العربية، عبدالمالك أشهبون، النابا للدراسات والنشر والتوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٣٢. فلسطين وكبرياء الجرح، حسن عبدالله القرشي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠م.
٣٣. قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، د. خليل الموسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
٣٤. القرشي شاعر الوجدان، د. عبدالعزيز الدسوقي، مطابع سجل العرب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
٣٥. كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
٣٦. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٣٧. لن يضيع الغد، حسن عبدالله القرشي، منشورات دار الآداب، بيروت، د.ت.
٣٨. المشي على سطح الماء، حسن عبدالله القرشي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥-١٩٩٤م.
٣٩. مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، د. عبدالحليم حفني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
٤٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٤١. معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٤٢. مواكب الذكريات، حسن عبدالله القرشي، مطبعة الرسالة، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.

٤٣. نداء الدماء، حسن عبد الله القرشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت.
٤٤. النغم الأزرق، حسن عبد الله القرشي، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.
٤٥. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، دار الثقافة، ط. الأولى، يناير ٢٠٠٥م.

الرسائل الجامعية:

٤٦. الألم في الشعر السعودي: دراسة موضوعية وفنية، منى بنت صالح الرشادة، رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير تخصص الأدب والنقد، كلية الآداب للبنات بالدمام، إشراف أ.د. مسعد بن عيد العطوي، العام الجامعي ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، وهي موجودة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، المملكة العربية السعودية، ورقم الاستدعاء: (٨١١.٩٥٣١٠٠٩ / ٨٦٤ ر).
٤٧. عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي)، فرج عبد الحسيب محمد مالكي، (قدمت الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الآداب في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين)، إشراف د. عادل الأسطة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

الصحف والمجلات :

٤٨. جريدة الشرق الأوسط، الخميس ١٤ ربيع الثاني، ١٤٢٥هـ، ٣ يونيو، ٢٠٠٤م، العدد ٩٣١٩.
٤٩. مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد ١٢، ٢٠١١م.

* * *

Academic Dissertations

46. Al-Rashadah, Mona. Al-alam fiAl-Shi'rAl-Su'oudyah: Objective Study.

Dammam: Art College, 1425AH-2004AD.

47. Maliki, Faraj. 'atabatAl-'inwan fiAl-RiwayahAl-Falastiniyah.Palestine: Al-

Najah National Univesity, 1424AH-2003AD.

48. Magazines & Newspapers

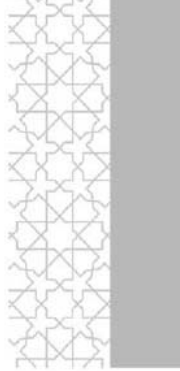
49. Al-Sharq Al-Awsat Newspaper, 14/04/1425AH-3/06/2004AD, Issue No.

9319.

50. Basra Studies Journal, Seventh Year, 2011AD, Issue No. 12.

* * *

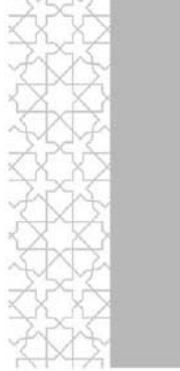
37. Al-Qurashi, Hasan. LanYadi‘Al-Ghad. Beirut: Dar Al-Adab Publications, (n.d.).
38. Al-Qurashi, Hasan. Al-Mashy ‘ala’ Sath Al-Ma’. 1st ed. Cairo: Dar Al-Shorug Publishing, 1415AH-1994AD.
39. Hanafi, Abdulhalim. Matla‘Al-Qasidah Al-Arabiyyah wa Dalalatuhu Al-Nafsiyyah. GEBO, 1987AD.
40. Mustafa, Ibrahim et al. Al-Mu‘jam Al-Wassit. 2nd ed. Istanbul: Al-Makatabah Al-Islamiyyah, 1392AH-1972AD.
41. Zaytuni, Lateef. Mu‘jam Mustalahat Naqd Al-Riwayah. 1st ed. Lebanon: Dar Al-Nahar, 2002AD.
42. Al-Qurashi, Hasan. Mawakib Al-Zikrayat. Al-Risalah Press, 1370AH-1951AD.
43. Al-Qurashi, Hasan. Nidaa’ el-dimaa’. 2nd ed. Beirut: Dar Al-‘awdah, (n.d.).
44. Al-Qurashi, Hasan. Al-Nagham Al-Azraq. 1st ed. Beirut: Dar Al-Adaab Publications, 1996AD.
45. Halifi, Shu’aib. Hawiyat Al-‘alamat fi Al-‘atabat wabina’ Al-Ta’wil. 1st ed. Dar Al-Thaqafah, 2005AD.



27. Ibn Hazm. Tawq Al-Hamamah fi Al-Olfahwa Al-Alaf. Ed. Al-Sairafi, Hasan. Cairo: Hijazi Press, 1369AH-1950AD.
28. Sha'ranah, Munsif. Zhahirat Al-Hob fi Al-Fikr Al-Arabi Al-Islami. Tunisia: Markaz Al-nashr Al-Jami'ey, 2002AD.
29. Isamael, Azzouz. 'atabat Al-Nas fi Al-Riwayah Al-Arabiyyah: Narrative Semiological Study. Cairo: GEBO, 2013AD.
30. Al-Qurashi, Hasan. 'indama Tahtariq Al-Qanadil. 2nd ed. Beirut: Dar Al-'awdah, (n.d.).
31. Ashhaboun, Abdulmalik. 'Al-'unwan fi Al-Riwayah Al-Arabiyyah. 1st ed. Damascus: Al-Naya & Muhakah, 2011AD.
32. Al-Qurashi, Hasan. Filistin wakibria' Al-Jurh. Beirut: Dar Al-'awdah, 1970AD.
33. Al-Musa, Khalil. Qira'at fi Al-Shi'r Al-Arabi Al-Hadith wa Al-Mu'asir. Publications of <http://darsafi.net/Arab Writers Union>, 2000AD.
34. Dosouqi, Abdulaziz. Al-Qurashi Sha'ir Al-Wujdan. 2nd ed. Cairo: Sijil Al-Arab Press, 1976AD.
35. Al-Jahidh, 'Amro. Kitab Al-Hayawan. Ed. Abdulsalam Muhammad Harun. 3rd ed. Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, 1388AH-1969AD.
36. Ibn Manzhur. Lisan Al-Arab. 6th ed. Beirut: Dar Sadir, 1417AH-1997AD.



- 
17. Al-Daraweesh, Abdulfattah. Al-Jawahir fiAl-Mar'ahwa Al-Hub wa Al-Ghazal.1st ed.Ahliyah, 2006AD.
 18. Adas, Salah. Al-HarakahAl-Shi'riyah fiAl-Su'udiyah: Hasan Al-Qurashi,his Life and Literature.1st ed. Cairo: MaktabatMadbouly, 1411 AH-1991AD.
 19. Fathalbab, Hasan.Hasan Al-Qurashi: Sha'irAl-JazirahAl-Arabiyyah.1st ed.Cairo: Al-Dar Al-MisriyyahAl-Lubnaniyyah, 1418AH-1997AD.
 20. Al-Ayoubi, Yaseen. Hasan Al-Qurashi fiMasarAl-Shi'rAl-Su'udiAl-Hadith. 1st ed. Beirut: Dar Al-Hilal, 1994AD.
 21. _____. Diwan Hasan Abdullah Al-Qurashi.1st ed.Beirut:Dar Al-'awdah, 1972AD.
 22. Al Qurashi, Hasan.ZihamAl-Ashwaq.2nd ed. Beirut:Dar Al-'awdah,1979AD.
 23. Al Qurashi, Hasan.Suzaan. 4th ed. Jeddah: Dar- Al-Qurashi, 1993AD.
 24. Ismael, EzzAl-Deen. Al-Shi'rAl-ArabiAl-Mu'asirQadayahwazhawahiruhAl-FaniyahwaAl-Ma'nawiyah. 3rd ed. Dar Al-FikrAl-Arabi, 1996AD.
 25. Al-Khozaim, Saleh. Al-Sabr.Imam University Press, 1407AH-1987AD.
 26. Abdulrahim, Muhammad. Al-Sadaqahwa Al-Asdiqa' fiAl-shi'rAl-Arabi. 1st Ed. Beirut: Dar Al-Ratib, 1420AH-2000AD.



9. Al-Badawi, Hamdi. Ihda'atAl-Kutub.1st ed.Cairo:TaybahFoundation, 2009AD.
10. Al-Qash'ami, Muhammad. Ihda'atAl-Kutub.1st ed.Riyadh:MatabiAl-Hmaidhi,1429AH-2008AD.
11. Al-Qurashi, Hasan. Buhayrat Al-'atash.2nd ed. Beirut:Dar Al-'awdah, 1972AD.
12. Al-Qurashi, Hasan. Al-Basamat Al-Mulawanah. 1st ed.(n.p.), 1366AH-1947AD.
13. Al-Qurashi, Hasan. TajrubatiAl-Shi'riyah. 1st ed. Dar Al-Qurashi, 1366AH-1993AD.
14. Abdulbar, Ref'at. ThulathiyatAl-Hob waAl-Harbwa Al-Mawt fi Masirat Al-Adab Al-Jahili. 1st ed. Riyadh: Maktabat Al-Rushd, 1429AH- 2008AD.
15. Al-Naysabouri, Muslim. Al-Jami'Al-Saheeh Al- MusammaSaheeh Muslim.Beirut:Dar- Alma'rifah, (n.d.).
16. Ebaid, Klod.Jamaliyat Al-Sorah fiJadaliyatAl-'ilaqahbaynAl-Fan Al-Tashkiliwa Al-Shi'r.1st ed. Beirut:Majd Al-Mo'assasah Al-Jami'yah, 1433AH-2011AD.



Sources and references:

1. The Holy Qur'an

Printed Books

2. Abbas, Ihsan. Itijahat Al-Shi'r Al-Arabi Al-Mo'asir. Alam Al-Ma'refah, 1398AH - 1978AD.
3. Al-Qurashi, Hasan. Atyaf min Ramad Al-Ghurbah. 1st ed. Cairo: Dar Al-Shorouq, 1990AD.
4. Rajab, Mahmoud. Al-Ightirab Sirah wa Mustalah. Alexandria: Dar Al-Ma'arif, 1978AD.
5. Jasim, Aziz. Al-Ightirab fi Hayat wa Shi'r Al-Shareef Al-Radhi. 1st ed. Dar Al-Andalus, 1406AH-1986AD.
6. Al-Zahrani, Maha. Al-Ightirab wa Al-Haneen bayn Shi'r Al-Mashariqah wa Al-Andalusyin fi Al-Qarn Al-Sadis Al-Hijri. 2nd ed. Dammam: Nadi Al-Mantiqah Al-Sharqiyah Al-Adabi, 1425AH-2004AD.
7. Al-Qurashi, Hasan. Al-han Montahirah. 1st ed. Beirut: Dar Al-'ilm li Al-Malayin, 1964AD.
8. Al-Qurashi, Hasan. Al-'ams Al-Dhaya'. Egypt: Dar Alma'arif, 1957AD.

The Phenomenon of Suffering in
Hassan bin Abdullah's Poetry Content Study

Dr. AbdulRahman bin Ahmed bin Al-Sabet

Department of Arabic Language – College of Education
Al-Majmaah University

Abstract:

Agony is considered a significant poetic phenomenon, especially in the modern era. Poets usually express their pain, suffering and sorrow in their poems. Thus, the main concern of this paper is to handle this phenomenon in the *poetry* of the Saudi poet, Hasan Ibn Abdullah Al Qurashi.

The study is intended to highlight the meaning of *agony* in the poetry of Al Qurashi through his textual thresholds as expressed in his titles, either those of poems or poetic collections. The meaning is also traced in the manifestation of agony in dedications of poems or collections. The study underlines *agony* in his hand-written introductions to his poetic collections and the openings and conclusions of his poems, in addition to collection covers and their illustrations.

The study traces the causes and sources of personal agony like the death of the poet's father and mother, his first unsuccessful love story, his inner alienation, his despair, his resentment of being failed by some of his friends and the nightfall darkness around him alongside with his *collectiveagony* caused by the desperate circumstances of the Muslim and Arab worlds.

The study also highlights the poet's way of relief and escaping his *agony* through courtship and stressing the beauty of woman, trying to be more hopeful, praying to God, the Exalted, for relieving his cares and grief, in addition to patience as definitely God's relief comes after hardships.